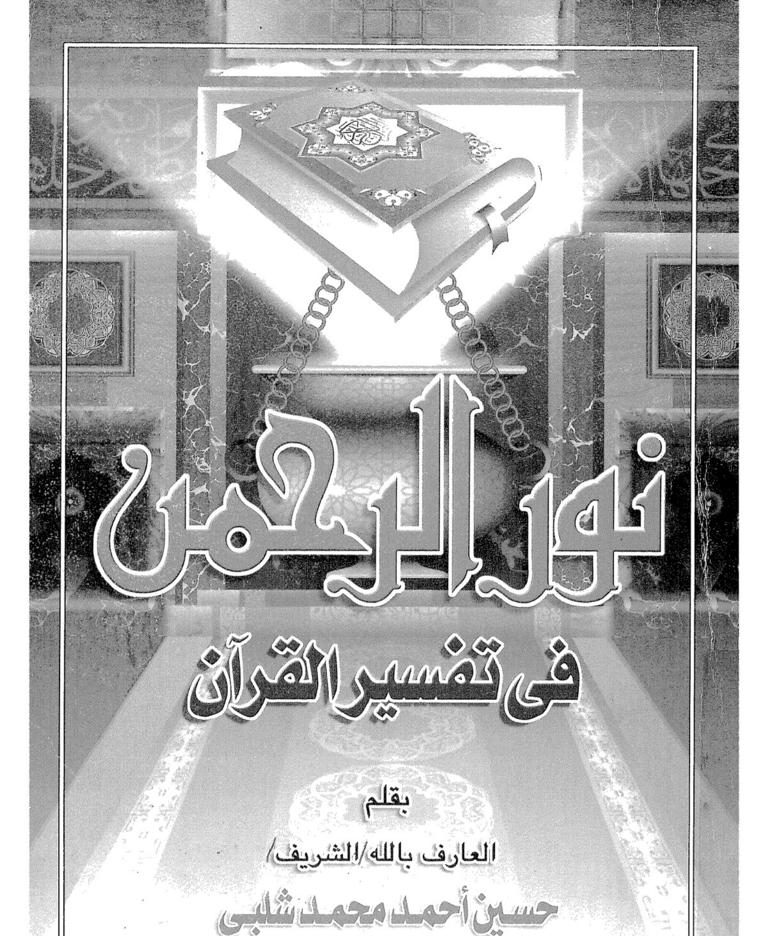
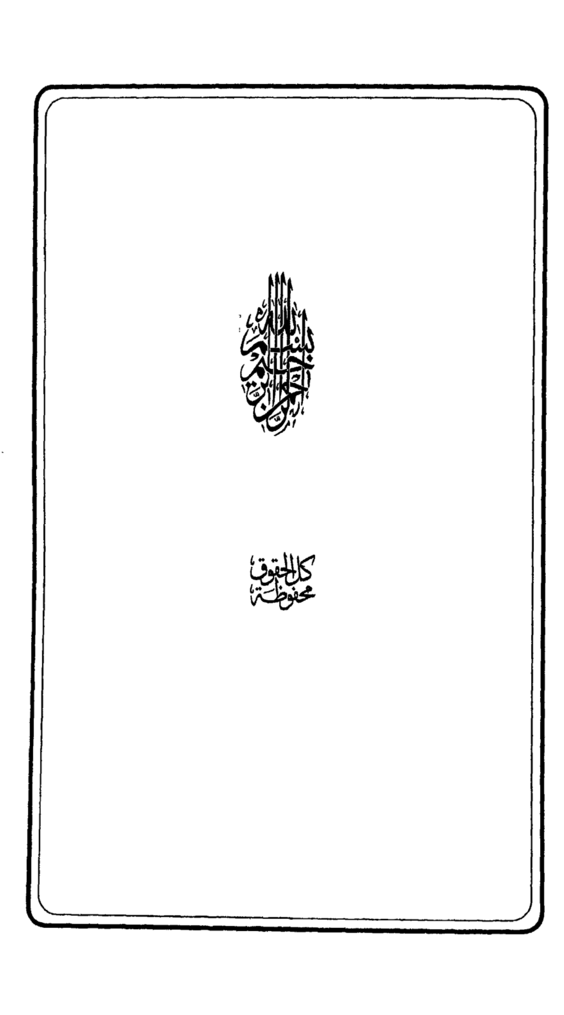

نور الرحمن
فى تفسير القرآن
بقلم
العارف بالله/الشريف/
حسين أحمد محمد شلبى


بسم الله الرحمن الرحيم
كل الحقوق محفوظة

اهداءات ٢٠٠٣

د/ رقية حسين احمد شلبى

القاهرة

نور الرحمن

في تفسير القرآن

بقلم

العارف بالله تعالى

الشـــريف

حسين أحمد محمد شلبي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» صدق الله العظيم».

إنه كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحمده، وأستعينه وأستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، أنزل الله عليه القرآن الكريم ليبلغه الى الناس كافة وهدى ورحمة للمتقين، لينقذ البشرية من ضلالة الكفر إلى حقيقة التوحيد، ومن براثن الجهل إلى نور المعرفة ومن عبادة الأصنام إلى حقيقة الإيمان، ومعرفة الخالق القادر جل علاه المستحق للعبادة دون سواه، فهو الخالق البارئ المصور له الحمد في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، وتباركت ياذا الجلال والإكرام يا صاحب الملك والملكوت يا صاحب العزة والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت، ما أعظم شأنك، وما أجل قدرك، أرشدتنا إلى الطريق القويم، وهدتينا إلى صراطك المستقيم، سبحانك ربي سبحانك.

وبعد..

فهذا تفسير جليل القدر لذكر الله العزيز الحكيم ، ونتقرب به إلى الله العلي العظيم تيسيرا على طلاب العلم، ونبراسا لكل من أراد الهداية والرشاد، وطريقا مستقيما لمن يريد الوصول إلى حب الله، وحب رسوله صلوات الله وسلامه عليه، نرتشف من رحيقه، ونرتوى من منهله العذب، به تحيا القلوب وتنشرح الصدور. نتوسل به إلى المولى الكريم، لنحظى بسعادة الدارين، ونعمل على مرضاة الله ورضوانه الذي بيده ملكوت كل شي وهو على كل شيء قدير، إنه نور الله يهدي الله لنوره من يشاء.

اللهم انفع بهذا الجهد أمة سيدنا محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها فينشرون دينه ويعلون شأنه، لينالوا رضوان الله ورضاه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو أن هدانا الله».

بقلم
الشريف
حسين أحمد محمد شلبي
١٤ شارع أحمد قاسم جودة ـ مدينة نصر ـ القاهرة.

عام ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠م.

تَفْسِيرُ جُزْءِ قَدّ سَمِعَ

مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ

سـورة «المجادلة»

نزلت بالمدينة، وآياتها اثنان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا

معاني الكلمات:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ﴾: استجاب الله دعاء. ﴿تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: تحاورك وتراجعك الكلام في زوجها.

أسباب نزول السورة الكريمة

«خولة بنت ثعلبة»

عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: إلى آخر الآية، وعنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شئ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني «اللهم إني أشكو إليك» قالت: فما برحت حتى أنزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. قالت: وزوجها أوس بن الصامت «وكان أوس امرءاًبه لمم» (جنون) فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من زجته، وإذا ذهب لم يقل شيئا فأتت رسول الله ﷺ تستفيه في ذلك وتشتكي إلى الله فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

التفسير

عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني عن

وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ

﴿وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تظهر إلى الله ما بها من مكروه. ﴿يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾: يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾: إن الله لا يخفى عليه شئ من الأصوات عليم بأحوال جميع الناس.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: يحرمون نساءهم تحريم أمهاتهم.

نفسي قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه». قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا ـ ثم قرأ عليَّ ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾». قالت: فقال لي رسول الله ﷺ «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال «فليطعم ستين مسكينا، وسقا من تمر» قالت: فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ «فإنا سنعينه بفرق من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال «قد أصبت وأحسنت» فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت: ففعلت.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن

أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾: ليس نساؤهم أمهات لهم في الحقيقة.

﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾: ليس أمهاتهم في الحقيقة إلا اللائي ولدنهم من بطونهم.

﴿مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ﴾: كلام قظيفا يخالف الشرع.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾: إن الله كثير العفو والمغفرة لمن إرتكب إثم الظهار.

الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من إمرأته قال لها ـ أنت عليَّ كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ قالت: وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري. قال: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾. قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال: ﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها قال: فدعا بشطر وسق ثلاثون صاعا، والوسق ستون صاعا. فقال: ليطعم ستين مسكينا وليراجعك. «وبذلك حوَّل الطلاق ظهارا».وجعل في الظهار الكفارة ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ إستدل الجمهور بقوله ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب. وقوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت عليَّ كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك، إنما أمه التي ولدته ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ﴾: أي كلاما فاحشا باطلا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾: أي عما كان منكم في حال الجاهلية، وأيضا على ما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه المتكلم فلا يقع طلاقا .

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ

﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾: يرجعون عن قولهم ويرغبون في الإستمتاع بزوجاتهم.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: فعليه أن يمنح عبدا حريته.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: من قبل أن يستمتع كلا منهم بالآخر.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الحكم بالكفارة. ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ تزجرون بهذه الكفارة لإرتكابكم هذا المنكر.

﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾: لا يفصل يوم عن يوم، ولا شهر عن شهر بفطر.

عن أبي داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختي فقال: «أختك هي؟» فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وغيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك. ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾: قال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة. عن ابن عباس أن رجلا قال: يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال «ما حملك على ذلك يرحمك الله» قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال «فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز جل» وقوله تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن﴾: «أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا» والرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان. عن بن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال إني ظاهرت من إمرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول ﷺ: ألم يقل الله تعالى ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ قال: أعجبتني، قال: «أمسك حتى تكفر». ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾: أي تزجرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم.

يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لتصدقوا بما جاء به الرسول، وتعملوا بما أمركم به الله. ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شرائعه وأحكامه التي لا يجوز تعديها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وللجاحدين المعتدين حدود الله عذاب مؤلم. ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يعادون الله ورسوله فيتخذون لهم شرائع غير الشرائع التي أنزلها الله على رسوله. ﴿كُبِتُوا﴾: أذلوا وأخزوا. ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: حججًا وأدلة واضحات من القرآن. ﴿مُّهِينٌ﴾: يهينهم ويخزيهم. ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾: يحييهم بعد الموت ليحاسبهم على أعمالهم في الدنيا. ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: فيخبرهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي شرعنا هذا لهذا وعليكم أن تؤمنوا بما شرعه الله لرسوله فتصدقوه وتعملوا به. وهذه حدود الله شرائعه، يجب أن تتبعوها، وكفارة الظهار على ثلاثة أنواع وهي مرتبة:

الأول: تحرير رقبة، أي عتق عبد من الرق وجعله حرا سواء أكانت هذه الرقبة ذكر أم أنثى - الثاني: صيام شهرين متتابعين أي متوالية أيامهما بالصوم، فلا يفصل بالفطر يوم عن يوم. أو شهر عن شهر. والثالث: إطعام ستين مسكينا مرة واحدة، طعام من غالب قوت البلد. والذين يعادون الله ورسوله لهم الذل والهلاك في الدنيا، كما أذل الله من سبقوهم من كفار الأمم السالفة وأهلكهم، ولهم في الآخرة عذاب مهين، فيحاسبهم في الآخرة على أعمالهم في الدنيا، التي يعددها عليهم واحدة واحدة على رءوس

﴿ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾: ألم تعلم أن الله يحيط علمه بكل شئ؟.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: لا يحصل سر بين ثلاثة إلا علمه الله كأنه رابع معهم.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: ولا أقل من هذا العدد.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾: في أي مكان كانوا. ﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾: يخبرهم يوم القيامة بالذي عملوه في الدنيا إظهار القبائحهم. ﴿نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: طلب منهم أن يكفوا عن المسارة التي تؤذي المؤمنين. ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: يتسارون بالذنب والجور والظلم.

الأشهاد تشهيرا بهم وتوبيخا لهم، لا يترك منها كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها الله عليهم، وإن كانوا قد نسوها. وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: يسع علمه كل ما في السماوات والأرض ولا يغيب عنه شئ ولا يخفى ولا ينسى شيئا - فتبارك الله رب العالمين.

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقربائهم، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم ألا

بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: يقولون فيما بينهم. ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾: إن كان محمد نبيا كما يزعم، فلماذا لا يعذبنا الله بدعائنا عليه.

﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾: تكفيهم جهنم. ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾: يدخلونها ويقاسون عذابها. ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: فبئس المرجع والمآل جهنم!

يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقوله تعالى ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم والعدوان وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها.

وقوله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت:فقال رسول الله ﷺ «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ "أوما سمعت أقول وعليكم؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: وفي الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة. وأن رسول الله ﷺ قال: إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا. قال رسول الله ﷺ "إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك: أي عليك ما قلت. وقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾: يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن، لأن الله يعلم ما نسره، فلو كان نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾: أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ

وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

﴿تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾: تحدثتم حديثا سرا فيما بينكم.
﴿بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾: بالخير والخوف من الله. ﴿تُحۡشَرُونَ﴾: تجمعون أمامه يوم القيامة ليحاسبكم على أعمالكم.
﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: المسارَّة التي تكون في الإثم والعدوان من عمل الشيطان. ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ليؤدي هذا إلى حزن المؤمنين، لتوهمهم أن المسارة لسبب نكبة أصابتهم. ﴿وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا﴾:

ٱلۡمَصِيرُ﴾: يدخلونها ويقاسون عذابها. وبئس المرجع والمآل جهنم. ثم قال الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن والاهم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها. يقول رسول الله ﷺ (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. ثم قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا﴾ (١٠)

ولا يضر المؤمنين أن يتحدث المنافقون عنهم في السر.

﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾: توسعوا في المجالس ولا يضايق بعضكم بعضا فيها. ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: فليوسع كل منكم لغيره، يوسع الله لكم في رحمته ومنازل جنته.

إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شئ بإذن الله. وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذٍ على مؤمن عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان من دون صاحبهما فإن ذلك يخزيه وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يخزيه».

يقول الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾: وقرئ: في المجلس. ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: وذلك أن الجزاء من جنس العمل ففي الحديث الصحيح «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة» وفي حديث آخر «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» قال تعالى ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ في الصفة وفي مكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول

الله ﷺ «فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان، وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال "رحم الله رجلا يفسح لأخيه" فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعًا فيفسح القوم لإخوانهم ـ عنه ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال "لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا" وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل أفسحوا» وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام الوارد على أقوال فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث «قوموا إلى سيدكم» ومنهم من منع ذلك محتجا بحديث «من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين قوموا إلى سيدكم. وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، فأما اتخاذه ديدنا فهو من شعار العجم، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك. وكان رسول الله ﷺ يجلس حيث إنتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلس عن يمينه، وعمر عن يساره، وبين يديه غالبا عثمان

تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ

﴿ٱنشُزُواْ﴾: انهضوا لتوسعوا للمقبلين عليكم.

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فإن نهضوا يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر في الدنيا ويؤوهم في غرف الجنات في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾: ويختص العلماء بعلو شأنهم بدرجات فوق درجات المؤمنين.

وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك.

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول «ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم» وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه. وعن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله» وفي الحديث الصحيح بينما رسول الله ﷺ جالس إذا أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخبر الثلاثة، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه».

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يفرق بين إثنين إلا بإذنهما». وعن ابن عباس وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾: يعني في مجالس الحرب. قالوا ومعنى قول ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾: أي إنهضوا للقتال. وقال قتادة إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل: إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها. وقوله تعالى ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: أي لا تعتقدوا أنه

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: إذا أسررتم إليه حديثا.

﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾: فتصدقوا قبل مناجاة الرسول.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: أزكى لنفوسكم.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾: أخفتم ذهاب المال في الصدقة، وبخلتم أن تقدموه قبل مناجاتكم؟ ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: فإذ لم تقدموا الصدقة قبل المناجاة عجزا منكم أو بخلا بمالكم.

﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: خفف الله عليكم وأزال عنكم المؤاخذة بترككم تقديم الصدقة قبل المناجاة.

إذا فسح أحد منكم لأخيه أن يكون ذلك نقصا في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال الله تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي خبير بمن يستحق ذلك ومن لا يستحقه.

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: أي إذا أراد أحدهم أن يناجيه أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ وقوله ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾: أي إلا من عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فما أمر بها إلا من قدر عليها.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أي خفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فنسخ وجوب ذلك عنهم. عن مجاهد قال علي رضي الله عنه آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت الرسول ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي. عن ابن عباس قوله ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾: وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: فوسع الله عليهم ولم يضيق. قال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ عن مجاهد قال علي ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة من نهار والله من وراء القصد.

* * *

من الآية ١٤ وحتى نهاية السورة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى

﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾: هم المنافقون الذين تولوا اليهود واتخزوهم أولياء وأصدقاء مع غضب الله عليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: ليس المنافقون منكم أيها المسلمون وليسوا من اليهود ولكنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

أسباب النزول

كان المنافقون يجالسون النبي ﷺ، ثم ينقلون حديثه وأخبار المسلمين إلى اليهود، وكان رأس المنافقين عبد الله بن أبّي بن سلول، وعبد الله بن نبتل وكان النبي ﷺ جالسا بين أصحابه يومًا، إذ قال لهم: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل» وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية ـ فقال عليه الصلاة والسلام «علام تشتمني أنت وأصحابك»؟ فحلف بالله ما فعل ذلك فقال له النبي ﷺ ـ فعلت ـ فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزل قول تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ ... إلى آخر الآية.

التفسير

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ﴾ يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطل ثم قال تعالى ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثم قال تعالى ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني المنافقين يحلفون على

ﭐلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ

﴿عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾: على ادعائهم الإسلام، مع أنهم كاذبون. ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: وهم يعرفون أنهم متعمدون الكذب.

﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: بئس الأعمال أعمالهم.

﴿أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: جمع يمين وهو الحلف والقسم. ﴿جُنَّةٗ﴾: وقاية وستار.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فمنعوا الناس عن الإسلام بالتثبيط.

الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ثم قال تعالى ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ أي في مقابلة ما إمتهنوا من الحلف بإسم الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة. قال تعالى ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي لن يدفع ذلك بأسا إذا جاءهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ثم قال تعالى ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا نغادر منهم أحدا.

﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ أي يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والإستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لأن من عاش على شئ مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الناس ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ

أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: ويظنون أن حلفهم على الكذب ينجيهم من العذاب.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: استولى الشيطان عليهم وغلب، وتملك نفوسهم وأحاط بهم.

﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: جماعته وجنده.

﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾: يعادون الله ويخالفونه.

﴿فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾: في زمرة من هم أذل خلق الله.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: قضى.

شَىْءٍ﴾ أي حلفهم ذلك لربهم عز وجل، ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب ثم قال تعالى ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي إستحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عز وجل، وكذلك يصنع بمن إستحوذ عليه. قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » قال السائب يعني الصلاة في الجماعة، ثم قال تعالى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ يعني الذين إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ثم قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ يقول الله تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله المجانبون للحق مشادُّون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن

وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ

﴿يُوَآدُّونَ﴾: يحبون.

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: أثبته ومكنه في قلوبهم

﴿وَأَيَّدَهُم﴾: قواهم.

﴿بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾: بإيمان وهدى ونور ألقاه الله في قلوبهم.

الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، هذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين.

قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ... إلى آخرها ، في أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر. ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ في الصديق هم بقتل إبنه عبد الرحمن.

﴿أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ.

﴿أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ. وقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿مِّنْهُ﴾ أي قواهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم ورضاهم عنه لما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم، وقوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة ـ قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدًا ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته إليَّ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان والله أعلم.

من أسرار إعجاز السورة الكريمة (المجادلة)

١ـ صيغ المبالغة في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ وفي ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢ـ الإطناب بذكر الأمهات ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ زيادة في التقرير والبيان

٣ـ الطباق بين أدنى وأكثر.

٤ـ عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ دخلوا في المؤمنين ثم خصوا بالذكر تعظيما لهم.

٥ـ الإستفهام والمراد منه التعجب في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾؟

٦ـ يعلمون ويعلمون ـ جناس ناقص.

٧ـ المقابلة بين أولئك حزب الله وبين أولئك حزب الشيطان ـ لتأكيد المعنى وتقويته.

٨ـ تحلية الجملة بفنون المؤكدات مثل ألا، وإن، وهم، في قوله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٩ـ توافق الفواصل في الحرف الأخير ـ الخاسرون، الكاذبون، خالدون.

ما نتعلمه من السورة الكريمة (المجادلة)

١ـ تناولت سورة المجادلة أحكاما تشريعية كثيرة كأحكام الظهار والكفارة التي تجب على المظاهر. وحكم التناجي، وآداب المجالس وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول، وعدم مودة أعداء الله وتحدثت عن المنافقين واليهود.

٢ـ خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار، شكته إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: ما أراك إلا قد حرمت عليه. فكانت تجادله وتقول يا رسول الله: ما طلقني ولكنه ظاهرني ثم قالت: اللهم إني أشكوا إليك فاستجاب الله دعاءها وفرج كربتها وشكواها.

٣ـ حكم كفارة الظهار: الظهار محرم ـ وكفارته تحرير رقبة فمن لم يستطع فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

٤ـ التناجي: وهو الكلام سرا بين إثنين فأكثر وكان هذا من دأب اليهود والمنافقين لإيذاء المؤمنين ونهاهم رسول الله ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعصوا رسول الله ﷺ.

٥ـ كان اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: السام عليكم، بدلا من السلام عليكم،

والسام: الموت "وهو ما أرادوه بقولهم" وكان رسول الله ﷺ يقول لهم - وعليكم - لا يزيد عنها.

٦- وكانوا يقولون هلا يعذبنا الله بهذا القول لو كان محمد نبيا؟ فلو كان نبيا حقا لعذبنا الله على هذا الكلام. قال تعالى ردا عليهم ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

٧- أمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ ليتساوى الناس في الأخذ من حظهم من رسول الله ﷺ - وفي الحديث «لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا أو تفسحوا يفسح الله لكم في المكان والرزق والصدر والقبر والجنة.

٨- يرفع الله المؤمنين بإمتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين منهم خاصة أعلى المراتب، ويمنحهم أعلى الدرجات الرفيعة في الجنة ترغيبا في العلم، إن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس.

٩- عتاب رقيق بالمؤمنين رفيق، حين أمرهم الله سبحانه وتعالى بتقديم صدقة إذا أرادوا محادثة الرسول ﷺ ثم نسخ الله سبحانه وتعالى الحكم تيسيرا على المؤمنين، نسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة.

١٠- اتخذ اليهود المغضوب عليهم أولياء من المنافقين يناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين، هؤلاء ليسوا من المؤمنين الخلص، ولا من الكافرين الخلص، لا ينتسبون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، هيأ الله لهم بسبب نفاقهم عذابا في نهاية الشدة والألم.

١١- استولى الشيطان على قلوب المنافقين واستولى عليهم وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم، هؤلاء هم أتباع الشيطان وأعوانه وأنصاره إن أتباع الشيطان وجنوده هم الخاسرون الكاملون في الخسران والضلالة؛ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم، وعرضوها للعذاب المقيم.

١٢- إن الذين يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما، أولئك في جملة الأذلاء المبعدين من رحمة الله؛ فقد قضى الله وحكم أن الغلبة لدينه ورسله وعباده المؤمنين.

١٣- إن من أحب الله عادى أعداءه، ولا يجتمع في قلب أحد حب الله وحب أعدائه، كما لا يجتمع النور والظلام، لقد نهى الله عن مصادقة ومحبة الكفرة والمجرمين؛ حيث لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله، فإذا حصل في القلب محبة أعداء الله لم يحصل فيه إيمان.

١٤- لو كان هؤلاء المحادون لله ورسوله أقرب الناس إليهم كالآباء والأبناء والإخوان والعشيرة. فإن قضية الإيمان بالله تقتضي معاداة أعداء الله. بدأ بالآباء لأن طاعتهم واجبة على الأولاد، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب ثم بالإخوان لأن بهم التعاضد، ثم العشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة على الأعداء.

١٥- وعد الله المؤمنين بالنصر على أعدائهم وسيدخلهم في الآخرة بساتين فسيحة تجري من تحت قصورها الأنهار ماكثين فيها أبد الآبدين، هؤلاء رضي الله عنهم ونالوا ثوابه فرضوا بما أعطاهم، ورضوان الله عليهم بعد دخولهم الجنة أعظم النعم وأجل المراتب اللهم متعنا يوم القيامة بالنظر إلى وجهك الكريم أولئك أولياء الله وخاصته اللهم اجعلنا منهم ببركة القرآن العظيم.

* * *

سورة «الحشر»

نزلت بالمدينة، وآياتها أربعة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

معاني الكلمات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾: مجد الله ونزهه عن كل شئ في السماوات والأرض.

أسباب نزول السورة الكريمة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنه لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا السلاح فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾. فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء فأخلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم الله في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ - الآية - قال المفسرون: نزلت هذهالآية في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، وقبل رسول الله ﷺ منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين، قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراه لا ترد له راية، فلما غزا أحد وهزم المسلمون، نقضوا العهد، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ ثم صالحهم على الجلاء من المدينة.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: القوي الذي دبر الأشياء بحكمه.

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: يهود بني النضير. ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾: كانت في قرية تبعد ميلين عن المدينة. ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: الحشر: الجمع. عند أول جمع. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: باغتهم الله بالقهر والهزيمة. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾: من حيث لم يقع في حسبانهم وظنهم. ﴿وَقَذَفَ فِى

التفسير

يخبر تعالى أن جميع ما في السماوات والأرض من شئ يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي منيع الجناب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه. وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني يهود بني النضير كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم، فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من خصونهم الحصينة وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، وأجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف أمر رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من العذاب الأليم.

﴿الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: ألقى في قلوبهم الخوف.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: اتعظوا يا أصحاب العقول والألباب.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ﴾: حكم وقضى عليهم. ﴿الْجَلَاءَ﴾: ترك الديار مع الأهل والولد. ﴿شَاقُّوا اللَّهَ﴾: خالفوه وعادوه.

وقوله تعالى ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي الخوف والهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه، وقوله ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب أخر من القتل والسبي - عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجوا من أرضهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعير أو سقاء والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى، وعن محمد بن سلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام. وقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي حتم لازم لابد منه. وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ

معاني الكلمات:

﴿لِّينَةٍ﴾: نخلة. ﴿أُصُولِهَا﴾: سيقانها. ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: قطعها وتركها بإذن الله. ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ليستذلهم ويغيظهم لأنهم خرجوا عن طاعته. ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾: ما أراد الله على رسوله، وصيره من أموال بني النضير، ليس للأغنياء حق فيه.

أسباب نزول الآية الكريمة

عن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عز وجل ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما حاصر النبي ﷺ بني النضير، وكان بعض الصحابة قد شرع يقطع ويحرق في نخيلهم، إهانة لهم وإرعابا لقلوبهم فقالوا: ما هذا الإفساد يا محمد؟ إنك كنت تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار فأنزل الله هذه الآية الكريمة.

التفسير

قال تعالى ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ واللين نوع من التمر وهو جيد وقال كثير من المفسرين: اللينة ألوان التمر سوى العجوة. وقال ابن جرير: هو جميع النخل ولما نزل النبي على حصون بني النضير بعد أن نقضوا العهد الذي كانوا أبرموه معه وتحالفوا هم وقريش عليه. حاصرهم وأمر بقطع بعض نخيلهم فشق ذلك عليهم، وقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح؟ أفمن الإصلاح قطع النخل وحرق الشجر! فلم يلتفت إليهم

﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾: فما ركبتم خيلا وركضتموها في الحرب واغتنمتم منها هذا المال - أي لم تحصلوا عليها بمشقة الحرب والركاب: الإبل.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع عن ماله.

أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ

رسول الله ﷺ، لأنه لا يفعل شيئا إلا بإذن الله، ثم أمر النبي بالكف عن قطع النخيل، ونزلت الآية مصدقة بأن قطع ما قطع من النخيل، وترك ما ترك منه كان بإذن الله، نكاية باليهود ووهنا لهم، حتى يخرجوا من ديارهم، ويتركوها للمسلمين. يقول تعالى ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا﴾ ركاب فما الفئ وما حكمه؟ فالفئ: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾ أي من بني النضير ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ يعني الإبل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شئ ثم قال تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني البضير ولهذا قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إلى آخرها فهذه مصارف أموال الفئ ووجوهه.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾: كي لا يكون مال الفئ دائرا ومتداولا بين الأغنياء لأنه حق الفقراء.

﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: وما أمركم به الرسول فاتبعوه.

عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله قوت سنته وما بقي جعله في الكراع (الخيل) والسلاح في سبيل الله عز وجل. فألفيء هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار بلا حرب ولا جهاد، إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يؤدونها عن رءسهم، أو مال يفتدون به أنفسهم من سفك الدماء.

والغنيمة: هي المال الذي حصل للمسلمين من أموال الكفار بالحرب والجهاد ـ أما أموال الفئ فليس لأحد من المقاتلين باعتبارهم مقاتلين حق فيها، لأنهم لم يتحملوا مشقة في الحصول عليها، ولم يسرعوا على ظهور الخيل والإبل لاستخلاصها من أيدي الكفار بالحرب والقتال. ولكنها أموال خالصة للرسول يضعها حيث يشاء، وأما الغنائم فقد جعل الله أربعة أخماسها من حق المقاتلين: للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد؛ وخمسها يأخذه الرسول وذوو قرباه واليتامى والمساكين وأبناء السلبيل، وقد طلب المسلمُون من النبي أن يقسم عليهم الفئ لما جلا بنو النضير عن أوطانهم وتركوا الأموال والإبل والخيل كما قسم غنائم بدر ويعطي المقاتلين أربعة أخماسها، ويجعل الخمس الباقي للرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فبين الله عز وجل أن هذه الأموال لم تؤخذ بغلبة أو قتال ولم تركب لها الخيل والإبل، حتى تكون كأموال الغنائم، ولكن الله سلط نبيه على هؤلاء القوم فتركوا إليه حصونهم وأموالهم

﴿فَانتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨﴾

﴿فَانتَهُوا۟﴾: فاجتنبوه.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: يطلبون رزقا في الدنيا، ورضا الله في الآخرة.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾: أولئك هم الكاملون في صدق دعواهم الإيمان.

وأصبحت خالصة لرسول الله ﷺ دون المؤمنين ولكن النبي آثر بها المهاجرين وثلاثة من الأنصار كانوا فقراء، وقد بين الله لنبيه ما يصنع بأموال الفيء، فأمره أن ينفقها كلها على الخمسة المذكورين، لأنها من حق الفقراء يعيشون بها، ولا ينبغي أن يعطي الأغنياء منها شيئا يتداولونه بينهم، ويتكاثرون به، كما كان الرؤساء في الجاهلية يستأثرون بالغنائم، لأنهم أهل الرياسة والغلبة وقوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا۟﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» وعن سعيد بن جبير عن عمروا بن عباس أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن «الدباء والحنتم والنقير والمزفت» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي خرجوا من ديارهم وخلفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء سادات المهاجرين.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾: هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة. ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾: وصدقوا الإيمان وأخلصوه. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من قبل

التفسير

قال تعالى مادحا للأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم. قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. قال الحسن البصري ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ﴾ يعني الحسد ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعني فيما أعطى إخوانهم. عن أنس قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة «فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال: نعم، قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة،

﴿صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾

أن يهاجر المسلمون من مكة إليهم. ﴿حَاجَةً﴾: حسدا. ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾: مما أعطى النبي المهاجرين من أموال الفيء. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: ويفضلون المهاجرين على أنفسهم. ﴿خَصَاصَةٌ﴾: احتياج وفقر شديد.
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: ومن يحفظ الله نفسه من البخل والحرص الشديد.

ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال: ما هو إلا ما رأيتَ فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا حسدا على خيرأعطاه الله إياه. قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق.

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعني مما أوتوا المهاجرين، وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ وقوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدأون بالناس قبلهم في حال إحتياجهم إلى ذلك. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» وقوله تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ "أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح" وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: هم التابعون الذين جاءوا بعد موت النبي ثم الذين يلونهم إلى يوم القيامة.

﴿غِلّٗا﴾: حقدا وحسدا.

عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا» عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك. قال سمعت الله يقول ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذاك البخل وبئس الشئ البخل. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة» وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ وقد إستنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافض الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفئ نصيب وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم» وعنها أنها قالت: أمرتم بالإستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» وعلى التابعين أن يحبوا من سبقوهم من أصحاب رسول الله ﷺ، ويدعون أن تشملهم وإياهم مغفرته ورضوانه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: ألم تعجب من المنافقين أمثال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل؟.
﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾: لا نطيع محمدًا في قتالكم.
﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾: لينهزمُنَّ.
﴿رَهْبَةً﴾: خوف وخشية.
﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يفقهون مقدار عظمة الله وقدرته.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل وأضرا بهما حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه، ولهذا قال تعالى ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾: أي لا يقاتلون معهم. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾: أي قاتلوا معهم. ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: وهذه بشارة مستقلة بنفسها ثم قال تعالى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: يعني أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ

﴿مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾: من خلف حيطان يستترون بها لخوفهم وجبنهم.
﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: عداوة بعضهم لبعض شديدة.
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: تظنهم مجتمعين ذوي ألفة وإتحاد.
﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: وأهواؤهم متفرقة. ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: شأنهم كشأن كفار قريش يوم بدر، فقد انتقم الله منهم من زمن قريب.

قال تعالى ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: أي عداوتهم فيما بينهم شديدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الإختلاف يعني أهل الكتاب والمنافقين. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: إن تشتت أهوائهم وتفرق قلوبهم وكفرهم لدليل على أنهم لا يتصرفون تصرف العقلاء ثم قال تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي مثل يهود بني النضير في معاداتهم محمدا وتنكيل محمد بهم، كمثل كفار قريش الذين قاتلوا من عهد قريب محمدا يوم بدر فذاقوا وبال أمرهم، وعجل لهم العقوبة، فحلت بهم الهزيمة والقتل في الدنيا، كما أعد لهم عذاب النار في الآخرة.

وقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾: يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصركم. ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول

﴿ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ﴾

﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: لاقوا سوء عاقبة كفرهم. ﴿قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾: أغراه بالكفر. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أدوا فرائضه، واجتنبوا معاصيه لتقوا أنفسكم عذابه. ﴿مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾: ما

للإنسان ـ والعياذ بالله ـ الكفر فإذا دخل فيما سوَّل له تبرأ منه وتنصل وقال ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نهيك قال: سمعت عليا ﷺ يقول: أن راهبا تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال : فجاء وابها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت هذا بك أطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ﴾: أي كان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي جزاء كل ظالم، وذلك هو الجزاء العدل للظالمين.

قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شئ». ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما نهى عنه وزجر ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا إدخرتم لأنفسكم

﴿ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ﴾

عملت من خير للآخرة، وأريد بالغد الآخرة لقربها.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تركوا ذكر الله عز وجل، ولم يفعلوا ما أمرهم به.

﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾: فأنساهم حق أنفسهم، فلم يفعلوا لها الخير.

﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله.

من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ تأكيد ثاني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي إعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ولا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أي لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم. من خطبة لأبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضى أجله وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط. قد صاروا تحت الصخر والآبار. فلا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم. ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة

﴿ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي﴾

﴿ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: المقربون المكرمون، الناجون من النار. ﴿خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا﴾: خاضعا متشققا. ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾: السر والعلانية. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: الرحمن: عام الرحمة بجميع مخلوقاته، وهو من أسماء الله خاصة. والرحيم: كثير الرحمة بعباده المؤمنين.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ أي الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل. ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لوفهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه. فينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد.

قال تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فهو باطل وأنه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: المنزه عن القبائح. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: الذي يهب للمؤمن السلامة والأمن. ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الذي يؤمن أولياءه من الظلم والخوف والعذاب. ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الرقيب على كل شئ، الحافظ له. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب الذي لا يغلب ولا ينال. ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: العظيم الذي يخضع له غيره، القهار ذو الجبروت. ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: المترفع المتعظم عما لا يليق من الصفات. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزهت ذاته عما يصفه به المشركون.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ أي الطاهر والمبارك تقدسه الملائكة الكرام ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ عن ابن عباس: أي أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله إنه الحق. وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ أي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي الذي قد عز كل شئ فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه. قال تعالى ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته وفي الصحيح « العظمه إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منها عذبته » وقال قتاده الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء. وقال ابن جرير: الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم لما فيه صلاحهم. وقال قتاده: المتكبر عن كل سوء ثم قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الخلق التقدير والبرء هو التنفيذ وإبراز

ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل. ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ أي الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصوره التي يختار كقوله تعالى ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار:٨] ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها وقوله تعالى ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي له الأسماء الدالة على محاسن المعاني. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى تسعة وتسعين إسما مائه إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر» «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف. مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور. وقوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ كقوله تعالى ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يرام جنابه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره. عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه

حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة. والله بصير بالعباد.

من أسرار إعجاز السورة الكريمة (الحشر)

١- ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ طباق السلب.

٢- ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ مقابلة لطيفة.

٣- ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وضع الضمير بين المبتدأ والخبر لإفادة الحصر.

٤- ﴿تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ إستعاره حيث شبه الإيمان المتمكن في نفوسهم بمنزل ومستقر للإنسان نزل فيه وتمكن فيه حتى صار منزلا له.

٥- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الإستفهام يراد به الإنكار والتعجب.

٦- ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ طباق بين جميعا وشتى.

٧- ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

٨- ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ كناية، كنى عن القيامة بالغد لقربها.

٩- ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ﴿الْجَنَّةِ﴾ و ﴿النَّارِ﴾ طباق.

ما نتعلمه من السورة الكريمة (الحشر)

١- المحور الرئيسي الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن غزوة بني النضير وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول ﷺ فأجلاهم عن المدينة المنورة.

٢- الكون وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد شاهد بوحدانية الله وقدرته وجلاله، ناطق بعظمته وسلطانه.

٣- من مظاهر قدرة الله، ومظاهر عزته إجلاء اليهود عن ديارهم وأوطانهم مع ما كانوا فيه من الحصون والقلاع، وكانوا يعتقدون أنهم في عزة ومنعة لا يستطيع أحد

عليهم، فجاءهم بأس الله وعذابه من حيث لم يكن في حسبانهم.

٤- وضحت السورة الكريمة الفرق بين الفئ والغنيمة، ووضحت الحكمة من تخصيص الفئ بالفقراء لئلا يستأثر به الأغنياء وليكون هناك بعض التعادل بين طبقات المجتمع بما فيه خير الفريقين، وبما يحقق المصلحة العامة.

٥- أثنت السورة الكريمة على أصحاب رسول الله ﷺ بالثناء العاطر، فنوهت بفضائل المهاجرين ومآثر الأنصار، فالمهاجرين هجروا الديار والأوطان حبا في الله، والأنصار نصروا دين الله وآثروا إخوانهم المهاجرين بالأموال والديار على أنفسهم مع فقرهم وحاجتهم.

٦- ذكرت السورة الكريمة المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد الإسلام وضربت لهم أسوأ الأمثال، فمثلتهم بالشيطان الذي يغري الإنسان بالكفر والضلال ثم يتخلص عنه ويخذله - وكان هذا شأن المنافقين مع إخوانهم اليهود.

٧- وعظت السورة المؤمنين بتذكر ذلك اليوم الرهيب، وبينت الفارق الهائل بين أهل الجنة وأهل النار ومصير السعداء ومصير الأشقياء في دار العدل والجزاء.

٨- وختمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وتنزيهه عن صفات النقص.

٩- عليك أيها المسلم: أن تقرأ في الصباح والمساء وتقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم تقرأ أواخر سورة الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إلى آخر السورة من قرأها حين يصبح ثلاث مرات أو حين يمسي وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا.

١٠- الحذر من الشقاق والنفاق والسمعة والرياء. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا، ومن تخلص من هذه الأربعة أتى الله بقلب سليم، وأدخله في مستقر رحمته. وبالله التوفيق والرشاد.

* * *

سورة «الممتحنة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا

معاني الكلمات:

﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أصدقاء وأنصار.
﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: توصلون إليهم مودتكم.

أسباب نزول السورة الكريمة «الممتحنة»

كان سبب نزول هذه السورة الكريمة قصة «حاطب بن أبي بلتعه» وذلك أن حاطب هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي ﷺ بالتجهيز لغزوهم وقال: اللهم عَمِّ عليهم خبرنا «فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع إمرأة من قريش إلى مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ إستجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ـ أرسل عليا والزبير والمقداد وقال إنطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ» مكان على بعد قليل من المدينة، فإن بها ظعينة ـ أي مسافرة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا لها أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا لها: لتخرجِّن الكتاب أو لنلقينَّ الثياب فأخرجته من عقاصها أي من ضفائر شعرها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: ما هذا يا حاطب؟ فقال يا رسول الله: لا تعجل عليَّ إني كنت إمرءاً ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا وارتدادا

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: من دين الإسلام القـرآن. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: يخرجون الرسول ويخرجونكم معه من مكة.	جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى

﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أجل أن آمنتم بالله. ﴿جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى﴾: لأجل الجهاد في إعلان دين الله.

عن ديني فقال عمر «دعني يا رسول الله أضرب عنقه هذا المنافق!!! فقال عليه الصلاة والسلام: إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

التفسير

ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه بعث سارة مولاة بني هاشم وأنه أعطاها عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها في الجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم، وعن ابن عباس وقتادة وغيرهما أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن بلتعة فقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء. ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان عندهم من الأموال والأولاد وقوله تعالى ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ فيه تهييج على عداوة المشركين وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد والإخلاص وإخلاص العبادة لله وحده،ولهذا قال تعالى ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين.

سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾: تبلغونهم سرا مودتكم لهم.

﴿ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأ طريق الهدى.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: إن يظفروا بكم.

﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: يؤذوكم أشد الأذى بأيديهم وألسنتهم.

﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾: تمنوا إرتدادكم عن الإسلام وعوتكم إلى الكفر. ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ﴾: لن ينفعكم أقربائكم ولا أولادكم الذين بقوا على كفرهم وخلفتموهم بمكة.

وقوله تعالى ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ﴾ أي كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم.

وقوله تعالى ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالفعال والمقال.

﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ ويحرصون على ألا تنالوا خيرا فهم عداواتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ أي قرابتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر

يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرق الله بينكم وبينهم ويفر بعضكم من بعض. ﴿بَصِيرٌ﴾: مطلع. ﴿أُسْوَةٌ﴾: قدوة. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: الذين آمنوا به. ﴿بُرَآءُ﴾: جمع بريءٌ - متبرئون. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: كفرنا بدينكم وآلهتكم.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: استثناء من أسوة حسنة.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من ثواب الله وعقابه. ﴿أَنَبْنَا﴾: رجعنا.

وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء.

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي أتباعه الذين آمنوا معه. ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ أي تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي بدينكم وطريقتكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم. ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي إلى أن تؤمنوا وتوحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، وقوله تعالى ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومة أسوة حسنة تتأسون بها إلا في إستغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل ﴿مَا

ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع يوم القيامة. ﴿فِتْنَةً﴾: إبتلاء ومحنة. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: القوي الحسن التدبير. ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: يطلب ثواب الله، ويخشى عقابه يوم القيامة. ﴿يَتَوَلَّ﴾: يعرض. ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: المستغني عن خلقه، الحميد لمن أطاعه.

كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وحين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم أي قوم إبراهيم لجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي المعاد في الآخرة، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال مجاهد معناه: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم ظهروا علينا لحق هم عليه. وعن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا. وقوله تعالى ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي واستر ذنوبنا عن غيرك وأعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي الذي لا يضام من لاذ بجنابك، في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذا تأكيد لما تقدم لأن هذه الأسوة المثبته هنا هي الأولى بعينها، وقوله تعالى ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي عما أمر الله به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ عن ابن عباس: ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ

﴿عَسَى﴾: فعل يستعمل للرجاء. ﴿عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾: عاديتم من أهل مكة. ﴿مَّوَدَّةً﴾: ميلا وحبا بهدايتهم إلى الإسلام. ﴿غَفُورٌ﴾: يغفر ما سبق من الذنوب.

شئ سبحان الله الواحد القهار. و ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة قال تعالى ممتنا على الأنصار ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾

وفي الحديث: «أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونًا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما».

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان.

أسباب نزول الآيتين الثامنة والتاسعة

كانت لأسماء بنت أبي بكر أم مشركة، فذهبت هذه الأم إلى إبنتها وكانت مطلقة من أبي بكر - ومعها بعض الهدايا فأبت أسماء أن تقبلها، ورفضت أن تدخلها بيتها وطلبت من أختها من أبيها: عائشة زوج النبي ﷺ أن تسأل رسول الله ﷺ في هذا الأمر، فأنزل الله هاتين الآيتين، فأمر الرسول أسماء أن تقبل هدية أمها، وأن تدخلها

فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي

﴿تَبَرُّوهُمْ﴾: تحسنوا معاملتهم.
﴿وَتُقْسِطُوٓاْ﴾: تعدلوا.

بيتها، وأن تكرمها وتحسن لقاءها.

التفسير

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم.
﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ أي تعدلوا.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال نعم صلي أمك، وأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ ففي الحديث الصحيح «المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا».
وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ إنما ينهاكم الله عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فمن يصادق هؤلاء

﴿ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى﴾

﴿فِي ٱلدِّينِ﴾: بسبب الدين.
﴿وَظَٰهَرُواْ﴾: عاونوا.
﴿تَوَلَّوۡهُمۡۚ﴾: أي تعاونوهم.
﴿مُهَٰجِرَٰتٖ﴾: منتقلات من مكة إلى المدينة.
﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾: إختبروهن بالحلف أنهن خرجن رغبة في الإسلام.﴿عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾: غلب على ظنكم إيمانهن بعد حلفهن.

أو يناصرهم فهم ظالمون لأنهم وضعوا صداقتهم ومناصرتهم، موضع ما يجب أن يكونوا عليه من العداوة والبغضاء.

أسباب نزول الآيتين ١٠و١١ من سورة الممتحنة

في سنة ست من الهجرة، عقد بين رسول الله ﷺ وبين قريش في مكة عهد الحديبية «وهي قرية قريبة من مكة سميت بإسم بئر هناك» على أن من أتى محمدا من قريش رده عليهم، ومن جاء قريشا من محمد لم يردوه عليه، ولما كان العهد لا ينسحب على النساء، جاء إلى النبي ﷺ بعض المؤمنات مهاجرات من مكة إلى المدينة فنزلت هاتان الآيتان لبيان أحكام هؤلاء المهاجرات.

التفسير

عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان إمتحان رسول الله ﷺ النساء قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله. وعن ابن عباس: كان امتحانهن أن يشهدن ألا إله إلا الله وأن محمد عبد الله ورسوله. وقال: فامتحنوهن فاسألوهن عما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو

﴿ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾

﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: إلى أزواجهم من الكفار. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾: انقطعت صلة الزواج بينهم وبين أزواجهن. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾: أعطوا الأزواج من الكفار ما سبق لهم دفعه من مهورهن. ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: لا إثم ولا ذنب. ﴿تَنكِحُوهُنَّ﴾: تتزوجوهن. ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن. ﴿تُمْسِكُوا۟﴾: تتمسكوا وتحافظوا. ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: بزواج زوجاتكم اللتي بقين على كفرهن أو إرتدوا.

سخطة أو غيره ولم يؤمن فأرجعوهن إلى أزواجهن. وقال عكرمة يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾. وقوله تعالى ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقوله تعالى ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهم من الأصدقة.

وقوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فأنكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من إنقضاء العدة والولي وغير ذلك وعن مروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساءه من المؤمنات فأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ إمرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والإستمرار معهن وقوله تعالى.

وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ

﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾: أطلبوا أيها المسلمون. ﴿مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾: ما دفعتم إلى نسائكم الكافرات من المهور. ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾: وليطلب الكفار ما دفعوا من المهور لأزواجهن المهاجرات. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: جميع ما ذكر في الآية.
﴿فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾: ذهب وضاع شئ من مهور زوجاتكم الكافرات.
﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾: فأصبتم الكفار بالعقوبة في غزوة وغنمتم منهم. ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾: فأعطوا المسلمين الذين ذهبت أزواجهم من الغنيمة.

﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ أي في الصلح وإستثناء النساء منه والأمر كله هو حكم الله يحكم بين خلقه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ أي عليم بما يصلح عباده، حكيم في ذلك، عن الزهري قال: أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ عن ابن عباس في هذه الآية: يعني إن لحقت إمرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة، قال مجاهد: ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ يعني مهر مثلها وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللآتي تؤخذ من أيدي الكفار.
عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر

ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ

﴿يُبَايِعْنَكَ﴾: يعاهدنك، كأنهن يبعن أنفسهن في سبيل طاعة الله.
﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: لا يئدن أولادهن خشية الفقر أو العار.

إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .. قال عروة: قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ «قد بايعتك كلاما»، ولا والله ما مست يده امرأة في المبايعة قط، ما يبايعنه إلا بقوله «قد بايعتك على ذلك»، وعن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾... الآية، وقال «فيما إستطعتن وأطقتن» قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة، وعن سلمى بنت قيس قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال «ولا تغششن أزواجكن» قالت فبايعناه ثم إنصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله ﷺ «ما غش أزواجنا»؟ قالت فسألته فقال «تأخذ ماله فتحابي به غيره»

جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى»، وعن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «تبايعونني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم وقرأ الآية التي نزلت على النساء ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه

﴿أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: بكذب يدعينه، بنسبة ولد لقيط إلى أزواجهن.
﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾: ولا يعصينك فيما تأمر به من طاعة الله. ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: اقبل معاهدتهن.

فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» أخرجاه في الصحيحين. عن هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ فهل عليَّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» وقوله تعالى ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو غيره. وقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال بن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: حين نزلت آية الملاعنة «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ولن يدخلها الله الجنة»، «وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين».

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عن منكر. ولم يجعل الله طاعة لنبيه إلا في المعروف طاعة. وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف، وعن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ ألا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا ويلا كما نهانا عن اتباع الجنائز والنياحة. قال رسول الله ﷺ «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» وفي الصحيحين عن أبي موسى أن

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟﴾: لا تصادقوا ولا تناصروا ولا تحالفوا.

﴿يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: يئسوا من ثواب الدار الآخرة لكفرهم وعندهم. ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: يئس الكفار الذين ماتوا وسكنوا القبور وتبينوا حرمانهم من الجنة.

رسول الله ﷺ برئ من الصالقة ـ وهي التي ترفع صوتها بشدة ـ والحالقة والشاقة، وعن مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والإستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت».

وقال «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ «لعن النائحة والمستمعه» عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي النوح، وينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل.

وقوله تعالى ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا لقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه. قال ابن عباس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو

يبعثهم الله عز وجل، وقال الحسن البصري ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا.

والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير، وعن ابن مسعود ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وحرم من الجنة ونعيمها.

اللهم اهد العصاة إلى طريق الله وتوحيده وتمجيده وتقديسه.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم في سورة (الممتحنة)

١- ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ طباق لأن الإخفاء يطابق الإعلان.

٢- ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الأصل توكلنا عليك، وأنبنا إليك لإفادة القصر لأن التوكل والإنابة مقصورة على الله عز وجل - وهذا من باب تقديم ما حقه التأخير.

٣- قدير، غفور، رحيم، وهي من صيغ المبالغة.

٤- ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ثم قال ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية من طباق السلب.

٥- ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ الجملة الإعتراضية للإشارة إلى أن للإنسان الظاهر والله يتولى السرائر.

٦- ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ العكس والتبديل وهو من أنواع البديع.

٧- ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ كنى بذلك عن اللقيط.

٨- ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ تشبيه مرسل مجمل.

ما نتعلمه من السورة الكريمة «الممتحنة»

١- الحب والبغض هو أوثق عرى الإيمان. وقد نزل صدر السورة عتابا لحاطب بن أبي بلتعة حين كتب كتابًا لأهل مكة أن رسول الله ﷺ قد تجهز لغزوهم.

٢- بينت السورة حكم موالاة أعداء الله والتحذير من موالاتهم، لأنهم أذوا المسلمين واضطروهم إلى الهجرة وترك الديار والأوطان في مكة.

٣- إن القرابة والنسب والصداقة في هذه الحياة لا تنفع الإنسان أبدا يوم القيامة حيث لا ينفع الإنسان إلا الإيمان والعمل الصالح.

٤- إبراهيم الخليل وأتباعه من المؤمنين ضربوا المثل في الإيمان حين تبرءوا من قومهم المشركين، وعلى المؤمنين أن يقتدوا بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في معاداة أهل الشرك والمشركين.

٥- البر بالذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وعدم موالاة من عادى المسلمين وحاربهم واضطرهم إلى الهجرة رغما عنهم.

٦- امتحان المؤمنات عند الهجرة، وعدم ردهن إلى الكفار إذا أثبتن إيمانهن وعدم الإعتداد بعصمة الكافرين.

ومبايعة النساء للرسول ﷺ وشروط هذه البيعة هي:

- ألا يشركن بالله شيئا من مخلوقاته والأصنام وغيرها، وألا يسرقن، وألا يزنين، وألا يقتلن أولادهن خشية العار والفقر وألا يأتين بكذب يدعينه فنهى الله النساء أن تكذب المرأة على زوجها بإلصاق ولد ليس من صلبه إليه، وألا يعصين الرسول فيما يأمر به من معروف وينهى عنه من منكر كالنواح على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب وجز الشعور، وقد بايعهن الرسول ﷺ على الوفاء بهذه الأشياء ومع ما في المبايعة من ضمان الثواب، فقد أمر الله رسوله أن يستغفر لهن فإنه واسع المغفرة كثير الرحمة إن وفَّين بما عاهدن عليه الله ورسوله.

٧- النهي عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار من قوم استحقوا غضب الله عليهم مهما كانت الدعاوى وهو النهي عن موالاة الكفار أعداء الله وهو بمثابة التأكيد للكلام وتناسق الآيات في البدء والختام، والله أعلم.

* * * * *

سورة «الصف»

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

معاني الكلمات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مجد الله ونزهه عما لا يليق به كل شئ في الكون.
﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

أسباب نزول سورة «الصف الكريمة»

عن عبد الله بن سلام: أن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل. فلم يذهب إليه أحد منا وهِبْنَا أن نسأله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلًا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة. وعن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملنا.

فأنزل الله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال ابن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعي قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير.

التفسير

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي نزه الله ومجده عما يليق به كل شئ في الكون. ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره. ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾: عظم عند الله يفضا قولكم مالا تفعلونه، والمقت أشد البغض، من أجل إرتكاب ذنب أو دناءة.

وتدبيره. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ إنكار على من يعد وعدًا أو يقول قولًا لا يفي به، واستدل علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: «أية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان» وقد أكد الله هذا الإنكار عليهم بقوله ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسول الله صلى عليه وسلم «وما أردت أن تعطيه»؟ قالت: تمرًا فقال: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة».

وقد حمل الجمهور الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم. عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ قال: كان أناس من المؤمنين قبل أن يفرض الله الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ وقال مقاتل بن حيّان: قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه تعالى فقال ﴿إِنَّ

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي﴾

﴿صَفّٗا﴾: مصفوفين أمام الأعداء.

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ وقال: «أحبكم إليَّ من قاتل في سبيلي» ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر. وقال الضحاك: نزلت توبيخًا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك، وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صُفُّوا للصلاة، والقوم إذا صُفُّوا للقتال» وقال سعيد بن الجبير: كان رسول الله ﷺ «لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم» هذا تعليم من الله للمؤمنين. وقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ أي ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال. وقال ابن مسعود: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض. وقال قتادة: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وأن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾

﴿زَاغُوٓاْ﴾: عدلوا عن الحق، بإيذائه وعصيانه.
﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: أمال قلوبهم عن الهدى.
﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعة الله. ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: يا ذرية يعقوب، وهم اليهود.
﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾: لما نزل قبلي.
﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾: الكتاب المنزل على سيدنا موسى. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الدالة على رسالته.

أخذ به، عن أبي بحيرة قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ ويقول الله تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه ﴿لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ أي لم توصلون الأذى إليّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال «رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنهم الشك والحيرة والخذلان.

وقوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ يعني التوراة قد بشرت بي وأما مصداق ما أخبرت به وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ﴾

﴿مُّبِينٌ﴾: بيّن ظاهر. ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: إدعى واختلق الكذب على الله. ﴿يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: يدعى للدخول في الإسلام. ﴿نُورَ اللَّهِ﴾: دينه وشريعته وبراهينه.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بطعنهم فيه بأنه سحر وكهانة.

المكي «أحمد» فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» أي فلا نبي بعدي.

عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» وحدثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فلما جاءهم أحمد أي المبشر به المنوه بذكره في القرون السابقة، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي بين ظاهر. يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادًا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص. قال تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن

﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾

﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾: مظهر دينه، ومبلغه غايته، وناشره بين العالمين.
﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن والملة الإسلامية.
﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليعليه على الأديان كلها.
﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: عذاب مؤلم موجع.

يطفئ شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والله مظهر لدينه ينشره في الآفاق وإعلائه على الأديان وفي الحديث «إن الله زوى بي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها» والمراد أن هذا الدين سينتشر في مشارق الأرض ومغاربها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي ولو كره ذلك الكافرون المجرمون فإن الله سيعز شأن هذا الدين رغم أنف الكافرين.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي هو جل وعلا بقدرته وحكمته بعث رسوله محمدًا ﷺ بالقرآن الواضح والدين الساطع ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي ليعليه على سائر الأديان المخالفة له من يهودية ونصرانية ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أي ولو كره ذلك أعداء الله والمشركون بالله غيره. ولقد أنجز الله وعده بإعزاز دين الإسلام، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان، إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم فسر هذه التجارة التي لا تبور فقال تعالى ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي من تجارة الدنيا والكد لها والتصدي لها وحدها

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ما ذكر من الإيمان والجهاد.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن كنتم من أهل العلم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: جنات إقامة دائمة. ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾: ويؤتكم نعمة أخرى تحبونها.

﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾: أنصار دين الله.

ثم قال تعالى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾أي وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم

وقوله تعالى ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه.

ولهذا قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وبشر يا محمد المؤمنين بهذا الفضل المبين، ولما ذكر الله تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة ذكر لهم ما يسرهم في العاجلة، وهي ما يفتح الله عليهم من البلاد، فهذه هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة.

يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما إستجاب الحواريون لعيسى حين قال ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أتباع عيسى عليه السلام ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصارك على ما

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: المخلصين الأصفياء أنصار عيسى. ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: من أعواني لأنصر دين الله. ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قوينا ونصرنا. ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: على الطائفة الكافرة. ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾: فصاروا غالبين.

أرسلت به ومؤازروك على ذلك، ولهذا بعثهم إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيلين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» حتى قيض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه أنه يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفُّوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علمًا عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقوله تعالى ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي لما بلَّغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحوارين اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقاوشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله وقائل إنه ثالث ثلاثة: الأب والإبن وروح القدس، ومن قائل إنه الله ﴿تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا﴾ وقوله تعالى ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أي عليهم ببعثة محمد ﷺ فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم

كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم في سورة «الصف»

١- ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ أسلوب إستفهام الغرض منه التوبيخ.
٢- ﴿تَقُولُونَ﴾ - ﴿تَفْعَلُونَ﴾ طباق يؤكد المعنى ويقومه.
٣- ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ أي في المكانة والتراص - تشبيه مرسل مفصل.
٤- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ إستعار نور الله لدينه وشرعه المنير وشبه من أراد إبطال الدين بمن أراد إطفاء الشمس بفمه الحقير على طريق الإستعارة التمثيلية.
٥- ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾؟ أسلوب إستفهام خرج عن معناه إلى معنى الترغيب والتشويق.
٦- ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ﴾ - ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ طباق الغرض منه تقوية المعنى وتأكيده.
٧- ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سجع جميل يزيد الكلام جرسا موسيقيا يؤثر في النفس ويساعد على الحفظ والفهم.

ما نتعلمه من سورة «الصف»

١- لا يليق بالمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون وأن الله يحب أن يكونوا يدًا واحدة.
٢- وصفت الآيات بني إسرائيل بالعناد والكفر على لسان رسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وذلك لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله والله متم نوره.
٣- وعد الله ووعده الحق أن يظهر هذا الدين على ما سواه برغم أنف المشركين والجاحدين.
٤- علينا أن نجاهد في سبيل إعلاء دين الله بالأموال والأنفس، وقد وعد الله المجاهدين بالمغفرة والجنة ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

٥- على المؤمنين أن يكونوا أنصار الله كما كان الحواريون مع عيسى بن مريم واعلم أن الله يؤيد المؤمنين بنصره والله هو الغالب على كل شئ ذو الحكمة البالغة.

٦- المحور التي تدور عليه السورة هو القتال ولهذا سميت سورة «الصف» ودعت السورة إلى التجارة الرابحة وحرضت المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بالنفس والنفيس، لينالوا السعادة الدائمة الكبيرة مع النصرة العاجلة في الدنيا.

٧- قرنت قصة موسى وعيسى في هذه السورة لأنهما من أنبياء بني إسرائيل وهما من أعظم أنبيائهم ومن أولي العزم الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز بالثناء والتبجيل.

٨- أمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك حتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

اللهم نصرك الذي وعدت إنك على ما تشاء قدير.

* * * * *

سورة «الجمعة»

نزلت بالمدينة، وآياتها ١١ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ

معاني الكلمات:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يمجد الله وينزهه عما لا يليق به.

﴿ٱلْمَلِكِ﴾: ذي العظمة والسلطان.

﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾: الطاهر، المبرأ من العيوب والنقائص.

أسباب نزول سورة «الجمعة»

كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عير قد قدمت من الشام فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس إلا إثنى عشر رجلا فنزلت آية الجمعة. قال المفسرون: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي في تجارة من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدومه، ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق أحد منكم لسال بكم الوادي نارًا.

التفسير

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، يخبر الله تعالى أنه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي من جميع مخلوقاته ناطقها وجامدها.

﴿ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ﴾

﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: المراد بهم العرب، لأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة. ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: يقرأ عليهم كتابه، وهو القرآن الكريم. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الشرك. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن. ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: أحكام الشريعة. ﴿وَإِن كَانُوا۟﴾: وإنهم كانوا. ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل رسالة محمد. ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: وبعث الله في آخرين سواهم من جميع الأجناس. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾: لم يدركوا عهد الصحابة وسيأتون بعدهم.

﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ أي هو مالك السماوات والأرض المتصرف فيهما بحكمته تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الأميون هم العرب، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر قال تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله سبحانه وتعالى على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، وقد إشتدت الحاجة إليه، ذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم من الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، وجمع الله تعالى له جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحدًا من العالمين ولا يعطيه أحدًا من الآخرين فصلوات الله وسلامه

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾

﴿يُؤۡتِيهِ﴾: يعطيه.
﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: عُلِّمُوها، وكلفوا العمل بها.
﴿لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بما هو فيها من الدلائل على نبوة محمد.

عليه دائما إلى يوم الدين وقوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وكان فيهم سلمان الفارسي فوضع رسول الله صلى عليه وسلم يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل من هؤلاء» ففي الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ لأنه فسر قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾: بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به. قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ قال: هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ وقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره. وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ يعني ما أعطاه الله محمدًا ﷺ من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثه ﷺ إليهم. اللهم لك الحمد على جزيل عطائك وكمال جلالك وعظمتك.

يقول تعالى ذامًا لليهود والذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا - أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحمل حملا حسيا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ﴾

﴿أَسْفَارًا﴾: كتبًا، جمع سفر.
﴿بِئْسَ﴾: فعل يستعمل للذم.
﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالتوراة المصدقة بنبوة محمد.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾: يأيها اليهود، أصله من هاد: إذا رجع من خير إلى شر أو العكس.
﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾: أصفياء لله وأحباؤه. ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾: فاطلبوا الموت، لتخرجوا من دار الأكدار إلى دار الكرامة.
﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي وتحريف التوراة.
﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب، لكفرهم.

حالًا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ وقال تعالى هنا ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أصمت ليس له جمعة» ثم قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي إن كنتم تزعمون أنكم أولياء لله من دون الناس ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمدا وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين فيما تزعمون قال تعالى ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بما يعملون لهم من الكفر والظلم والجور والفجور ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

﴿ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ﴾

﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾: تخافونه.
﴿مُلَٰقِيكُمْ﴾: نازل بكم.
﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السر والعلانية.
﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يخبركم بما عملتم، ويجازيكم عليه. ﴿نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾: أذن المؤذن لصلاة الجمعة. ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾: امضوا مسرعين.

بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال: فقال رسول الله ﷺ «لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالا» وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كقوله تعالى في سورة النساء ﴿أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة ـ أخرجه البخاري ومسلم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد» لفظ البخاري، وفي لفظ مسلم

﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا﴾

﴿وَذَرُواْ﴾: إتركوا. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإشارة إلى السعي إلى ذكر الله وترك البيع.
﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن كنتم من أهل المعرفة والعلم.
﴿قُضِيَتِ﴾: أُدِّيت.
﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تفرقوا في طلب مصالحكم. ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: أطلبوا الرزق من فضل الله. ﴿تُفْلِحُونَ﴾:

«أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون من يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق» وقد أمر الله المؤمنين بالإجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها والمقصود بالسعي إنما هو الإهتمام بها، فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»، وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا إستعجلنا إلى الصلاة قال «فلا تفعلوا: إذا أتيتم الصلاة فأمشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» وقال قتادة في قوله ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها، ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها!!!، عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل

وجسده» عن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى لم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من إغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر، وعن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة وَمسَّ من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيتركع إن بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت حين خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى» وقوله تعالى ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فإنه كان حينئذٍ يؤذن بين يديه وهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله، وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وغير ذلك من الأعذار وقوله تعالى ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، واتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي فرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة إنصرف فوقف على باب

رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

تفوزون. ﴿لَهۡوًا﴾: قرعا على الطبول. ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: تفرقوا عنك إليها. ﴿قَآئِمٗاۚ﴾: قائما على المنبر تخطب. ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: الذي عند الله من الثواب.

المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. وروي عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله سبعين مرة. وقوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم أذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الآخرة وجاء في الحديث: «من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة» وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. ويعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الإنصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت من الشام إلى المدينة يومئذ فقال ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ أي على المنبر تخطب، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خلفية قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر إلا القليل منهم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى عليه وسلم ومنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي قوله ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما، وعن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق وقته. وبالله التوفيق والعصمة والهداية

من أسرار إعجاز القرآن الكريم في سورة «الجمعة»

١- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾ تشبيه تمثيلي، لأن وجه الشبه منتزع من متعدد أي مثلهم في عدم الإنتفاع بالتوراة، كمثل الحمار الذي على ظهره الكتب العظيمة ولا يكون له منها إلا التعب والعناء.

٢- ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ ، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ طباق السلب.

٣- ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ الطباق بينهما.

٤- ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ تقديم الأهم في الذكر لأن المقصود الأساسي هو التجارة فقدمها. ثم قال ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ فقدم اللهو على التجارة لأن الخسارة بما لا نفع فيه أعظم فقدم ما هو أهم في الموضعين.

٥- ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ مجاز مرسل: أطلق البيع وقصد جميع أنواع المعاملة من بيع وشراء وإجارة وغيرها.

فائدة

أ- يوم الجمعة سمي بذلك لإجتماع المسلمين فيه للصلاة، وكان يسمى في الجاهلية يوم العروبة ومعناه الرحمة، وأول من سماه جمعة «كعب بن لؤي» وأول من صلى بالمسلمين الجمعة «أسعد بن زرارة» صلى بهم ركعتين وذكَّرهم، فسميت الجمعة حين إجتمعوا إليه، فهي أول جمعة في الإسلام.

ب- كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: «اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين».

ج- ينبغي للمسلمين أن يقوموا إلى صلاة الجمعة بعزيمة وهمة وجد ونشاط لأن لفظ السعي يفيد الجد والعزم قال الحسن البصري: والله ما هو سعي على الأقدام ولكنه سعي بالنية والقلوب.

ما نتعلمه من سورة «الجمعة الكريمة»

١ـ فضل يوم الجمعة: أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة بالمساجد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق الله آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه.

٢ـ الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة أنقذ الله به العرب من ظلام الشرك والضلال، وأكرم به الإنسانية، فكانت رسالته ﷺ شفاء لأمراض المجتمع البشري الذي كان يعيش في ظلام الجهل ويتخبط في عبادة غير الله، فجاءت رسالة التوحيد نبراسا لعقولنا وقلوبنا وهدتنا إلى الحق وإلى طريق الله المستقيم.

٣ـ اليهود انحرفوا عن شريعة الله، ولم يقوموا بالعمل بأحكام التوراة فقد أعرضوا عنها ونبذوها وراء ظهورهم وغيروها وبدلوها وحرفوها فمثلهم كمثل الحمار الذي يحمل الكتب الجليلة على ظهره ولكنه لا ينتفع بها لأنه ليس له عقل، ولا يناله منها إلا العناء والتعب فهم يحفظون التوراة ولا يعملون بما فيها وذلك نهاية الشقاء والتعاسة.

٤ـ المسارعة إلى أداء صلاة الجمعة، ويستحب للمؤمن أن يغتسل وأن يتطيب وأن يتطهر وأن يتنظف وأن يلبس أجمل الثياب وأن يسبق إلى الصلاة ليجلس في الصف الأول ليحظى بثواب الله، وأن ينصت عند سماع الأذان ووقت النداء لها، فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الانشغال باللهو والتجارة كحال المنافقين.

٦ـ على المؤمنين بعد أداء صلاة الجمعة الانتشار في الأرض يرجون فضل الله في هذا اليوم الكريم فهو الذي يرزقهم بواسع كرمه ويضاعف لهم الرزق في هذا اليوم المبارك سبعين مرة.

٧ـ قال رسول الله ﷺ: «لو كان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» قال مجاهد: هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب.

٨ـ إن ما عند الله من الثواب والنعيم خير مما نصيبه من اللهو والتجارة فالله خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه الرزق، وبه استعينوا لنيل فضله وإنعامه. هدانا الله وأرشدنا إلى طاعته فهو نعم المولى ونعم النصير.

* * *

سورة «المنافقون»

نزلت بالمدينة وآياتها ١١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ

معاني الكلمات:ـ

﴿الْمُنَافِقُونَ﴾: الذين أظهروا الإسلام لأهله، وأضمروا الكفر.

﴿نَشْهَدُ﴾: نقر ونعترف.

أسباب نزول سورة «المنافقون»

روي أن النبي ﷺ غزا «بني المصطلق» فازدحم الناس على ماء فيه، فكان ممن ازدحم عليه «جهجاه بن سعيد» أجير لعمر بن الخطاب، «وسنان الجهني» حليف لعبد الله بن سلول ـ كبير المنافقين ـ فلطم الجهجاه سنان، فغضب سنان وصرخ ياللأنصار، وصرخ جهجاه ياللمهاجرين، فقال: عبد الله بن سلول أوقد فعلوها!!! والله ما مثلنا ومثل هؤلاء ـ يعني المهاجرين ـ إلا كما قال الأول «سمّن كلبك يأكلك»، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ وصحبه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن بلدكم، فسمعه زيد بن أرقم، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذّب زيدا فنزلت السورة إلى قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ الآيات.

التفسير

أبتلي الإسلام في المدينة بجماعة من المنافقين تظاهروا بالإيمان وأضمروا كفرهم ومنهم عبد الله بن أُبَي بن أبي سلول من الخزرج وكان جسيمًا فصيحًا يحضر مجالس رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه المنافقين، فيعجب النبي فصاحة ألسنتهم. وحلو

﴿يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا﴾

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يعلم.
﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾: حلفهم، وأقسامهم الكاذبة..
﴿جُنَّةً﴾: وقاية من القتل والسبي، وستار يسترون به حقيقة أمرهم.
﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: منعوا من أراد الدخول في الإسلام.
﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بئس العمل عملهم، وقبحا لهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾: ما مر من أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم. ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: بسبب أنهم أمنوا بلسانهم ظاهرا، و كفروا بقلوبهم سرا. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: جعل الله على قلوبهم غشاء، حتى لا تفقه شيئا.

كلامهم وضخامة أجسامهم فيصغي إلى كلامهم فأخبر الله جل شأنه رسوله عليه الصلاة والسلام إذا حضر مجلسك هؤلاء المنافقون تظاهروا بتصديقك وشهدوا لك بالرسالة بألسنتهم كذبًا ومخادعة فقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله جل شأنه يعلم أنه رسوله حقا سواءًا أشهد هؤلاء المنافقون أو لم يشهدوا، والله يشهد أنهم أظهروا غير ما أضمروا لأن قولهم هذا يخالف اعتقادهم وقوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون بها القتل وأيمانهم جمع يمين أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ولهذا قال تعالى ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي أنهم منعوا من أراد الدخول في الإسلام بسبب نفاقهم وجحودهم لفضل الله. وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي.

يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يدركون حقيقة الإيمان.

﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، لضخامتها وجمالها.

﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: تسمع وضاحة ألسنتهم وحلاوة كلامهم فتصغي إليهم. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: كأنهم خشب مستندة إلى حائط لخلوهم من العلم والمعرفة. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: يظنون كل نداء لأي أمر واقعا عليهم. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾: هم أشد أعدائك فاحذرهم، لأنهم يفشون أسرارك. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: لعنهم الله وأهلكهم. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يعدلون عن الحق والإيمان بعد قيام الدليل والبرهان؟

وقوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن

قال تعالى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي كلما وقع أمر أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم فهم جهامات وصور بلا معاني قال تعالى ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب بالنهار» والهجر ضد الوصل، والهجر الهذيان والباطل، والدبر «يقال فلان لا يصلي الصلاة إلا دَبَرِيًا» أي في آخر وقتها، خشب بالليل وجوههم كريهة، صخب بالنهار أصواتهم عالية وصياحهم يصم الأذن لشدته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ﴾

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾: ثنوا رءوسهم وعطفوها إعراضا وإستكبارا. ﴿يَصُدُّونَ﴾: يعرضون. ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعة الله. ﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: على فقراء المهاجرين. ﴿يَنفَضُّوا﴾: يتفرقوا عن رسول الله ﷺ.

يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم إستكبارًا عن ذلك وإحتقارًا لهم.

ولهذا قال تعالى ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ ثم جازاهم على ذلك: أي وإذا قيل لهؤلاء المنافقين هلموا إلى رسول الله ﷺ حتى يطلب لكم المغفرة من الله ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي حركوها وهزوها إستهذاءًا وإستكبارا.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي وتراهم يعرضون عما دعوا إليه وهم متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم، وجئ بصيغة المضارع ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد. قال المفسرون: لما نزلت الآيات تفضح المنافقين وتكشف الأستار عنهم، مشى إليهم أقرباؤهم من المؤمنين، وقالوا لهم: ويلكم لقد افتضح أمركم، وقد افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم، فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه يستغفر لكم فأبوا وحركوا رءوسهم سخرية واستهزاء فنزلت الآية، ثم جاءوا إلى ابن سلول وقالوا له: امض إلى رسول الله ﷺ واعترف بذنبك يستغفر لك. فلوى رأسه إستكبارا لهذا الرأي ثم قال لهم: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليَّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد!!!

ثم بين تعالى عدم فائدة الإستغفار لهم لأنهم مردوا على النفاق فقال ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي يتساوى الأمر بالنسبة لهم فإنه لا ينفع

لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: وبيد الله الأرزاق، يقسمها حسب مشيته.

﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾: لا يفهمون.

استغفارك لهم شيئا لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله والآية للتيئيس من إيمانهم أي استغفارك يا محمد وعدمه سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم.

﴿لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ أي لن يصفح الله عنهم لرسوخهم في الكفر، وإصرارهم على العصيان، ثم علله بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي لا يوفق للإيمان من كان فاسقا خارجا عن طاعة الرحمن، ثم زاد تعالى في بيان قبائحهم وجرائمهم فقال ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ أي هم الفجرة الذين قالوا لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد، والإشارة إلى ابن سلول ومن وافقه من قومه سفَّه أحلامهم في أنهم ظنوا أن رزق المهاجرين بأيديهم وما علموا أن ذلك بيد اله تعالى، وقولهم ﴿عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ هو على سبيل الهزء، إذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر منهم ما صدر والظاهر أنهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ، ولكنه تعالى عبر به عن رسوله إكراما له وإجلالا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أنه سبحانه هو الذي بيده مفاتيح الرزق يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا يملك أحد أن يمنع فضل الله عن عباده ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ أي ولكن المنافقين لا يفهمون حكمة الله وتدبيره، ثم عدد الله تعالى

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: لئن عدنا من غزوة بني المصطلق إلى المدينة.

﴿ٱلْأَعَزُّ﴾: عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين.

﴿ٱلْأَذَلَّ﴾: رسول الله ومن معه من المؤمنين. (أستغفر الله من هذا القول المشين). ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: الغلبة والقوة. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يدركون ذلك لجهلهم وغرورهم.

بعض قبائحهم وأقوالهم الشنيعة فقال ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي يقولون لئن رجعنا من هذه الغزوة، «غزوة بني المصطلق» وعدنا إلى بلدنا «المدينة المنورة» ليخرجن الأعز منها الأذل، أي ليخرجن منها محمدا وصحبه، والقائل هو ابن سلول، وعنى بالأعز هو وأتباعه، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، قال المفسرون: لما قال ابن سلول ما قال ورجع إلى المدينة وقف له ولده «عبد الله» على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون به، فلما جاء أبوه قال له ابنه، والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول: إن رسول الله هو الأعز وأنا الأذل فقالها، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فإن كنت فاعلا فأمرني فأنا أحمل إليك رأسه!!! فقال له رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لله جل وعلا القوة والغلبة ولمن أعزه وأيده من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم، توهموا أن العزة والمنعة بكثرة الأموال والأتباع فبين الله أن العزة والمنعة لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي ولكن المنافقين لفرط جهلهم وغرورهم لا يعلمون أن العزة والغلبة لأوليائه دون أعدائه.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾

﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾: لا تشغلكم. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشتغال بالأموال والأولاد. ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: المصابون بالخسارة. ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾: أنفقوا بعض أموالكم. ﴿يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: ينزل الموت بأحدكم، برؤية علاماته وأماراته. ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾: هلّا أمهلتني. ﴿أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾: زمن قريب. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: فأتصدق. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: وأتدارك ما فاتني.

يقول الله تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيًا لهم أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك والمعنى: لا تشغلكم أيها المؤمنون الأموال والأولاد عن طاعة الله وعبادته، ومن أداء ما افترضه عليكم من الصلاة والزكاة والحج كما شغلت المنافقين، قال أبو حيان: أي لا تشغلكم أموالكم بالسعي في نمائها، والتلذذ بجمعها، ولا أولادكم بسروركم منهم، وبالنظر في مصالحهم عن ذكر الله وهو عام في الصلاة والتسبيح والتحميد وسائر الطاعات ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي ومن تشغله الدنيا عن طاعة الله وعبادته فأولئك هم الكاملون في الخسران، حيث آثروا الحقير الفاني على العظيم الباقي، وفضلوا العاجل على الآجل ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وجزمت أكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل: «إن أخرتني أَصَّدقْ

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

: إذا وافاها آخر عمرها في الدنيا.

وأَكُنْ من الصالحين» فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ أي ولن يمهل الله أحدا أيًا كان إذا انتهى أجله، ولن يزيد في عمره وفيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات، حذرًا أن يجيئ الأجل وقد فرّط ولم يستعد للقاء ربه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذريةً صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره» ولهذا قال تعالى ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار فقال: سأتلوا عليكم بذلك قرآنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وعلينا أن نبادر إلى حج بيت الله وأن نؤدي الزكاة في وقتها وأن نذكر الله في السر والعلن وأن نعمل على طاعة الله ابتغاء رحمته ورضوانه، قبل أن يدركنا الموت حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *

من أسرار إعجاز سورة «المنافقون»

١ـ ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ التأكيد بالقسم وإن واللام زيادة في التقرير والبيان.

٢ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ الأصل ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فجاءت الجملة معترضة بين الشرط وجوابه لبيان أنهم ما قالوا ذلك عن اعتقاد بل عن نفاق.

٣ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فإن أصل الجنة ما يستتر به ويتقي به المحذور كالترس، ثم استعمل هذا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم.

٤ـ ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ـ ﴿ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ طباق يفيد تأكيد المعنى وتقويته.

٥ـ ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ تشبيه مرسل مجمل وهو من روائع التشبيه.

٦ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ طباق السلب.

٧ـ ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ جملة دعائية وهي دعاء عليهم باللعنة والخزي والهلاك.

٨ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات وهو كثير في القرآن يزيد في رونق الكلام وجماله.

ما نتعلمه من سورة «المنافقون»

١ـ سميت السورة بهذا الإسم الفاضح الكاشف لأستار النفاق لأنها تدور بإسهاب عن النفاق والمنافقين.

٢ـ النفاق لم يكن بمكة وإنما كان بها الكفر، ولم يظهر إلا بالمدينة المنورة حين عز الإسلام وكثر أنصاره، وقد كان المنافقون يظهرون الإسلام لصون دمائهم وأموالهم ويبطنون الكفر والعداوة للإسلام والمسلمين.

٣ـ كان على رأس المنافقين «عبد الله بن أُبي بن أبي سلول» كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر في المدينة، ويجلس في مجالس رسول الله ﷺ وينقل أخباره للمنافقين، وكان يتمنى أن يخرج الرسول وصحبه من المدينة وكانوا يعتقدون أن دعوة

الرسول ستتلاشى وتضمحل وأنهم بعد عودتهم من بني المصطلق سيطردون الرسول والمؤمنين من المدينة المنورة فأعز الله الإسلام ونصر المسلمين على المنافقين.

٤ـ كان المنافقون يصدون الناس عن دين الله وينالون من دعوة الإسلام مالا يعلنه الكافر المعلن لكفره، ولذلك كان خطرهم أعظم وضررهم أكبر وأجسم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]

٥ـ حذرت السورة الكريمة المؤمنين من أن ينشغلوا بزينة الدنيا ولهوها ومتاعها عن طاعة الله وعبادته شأن المنافقين، وبينت أن ذلك طريق الخسران، وأمرت بالإنفاق في سبيل الله إبتغاء مرضاة الله، قبل أن يفوت الأوان بانتهاء الأجل فيتحسر الإنسان ويندم حيث لا تنفع الحسرة ولا ينفع الندم.

٦ـ لا يحل للمسلم أن يذل نفسه، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه والكبر جهل الإنسان بنفسه، قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يزعمون أن فيك كبرًا وتيها فقال: ليس بتيه ولكنه عزة المسلم ثم تلا الآية، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

٧ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيته، أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار!!! فقال سأتلوا عليكم بذلك قرآنا ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأن يطهر قلوبنا من النفاق،
وأن نسير على دينه الذي ارتضاه لنا، وأن نداوم على الطاعات
قبل أن يحين الأجل، والله المستعان.

* * * * *

سورة «التغابن»

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

معاني الكلمات:ـ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: ينزه الله عما لا يليق به.

أسباب نزول سورة «التغابن»

قال ابن عباس: كان الرجل يسلم، فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا ننشدك الله أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك، وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ الآية. وعن أبي خالد قال: كان الرجل يسلم فيلومه أهله وبنوه فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ وقال عكرمة عن ابن عباس: هؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

التفسير

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينزه الله تعالى جميع ما في السماوات والأرض من مخلوقات تنزيها دائما مستمرا بدون انقطاع، وصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ تفيد التجدد والحدوث.

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي له جل وعلا الملك التام والتصرف الكامل في خلقه، وهو المستحق للثناء وحده، لأن جميع النعم منه سبحانه وتعالى، وقدم الجار والمجرور فيهما

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى

﴿بَصِيرٌ﴾: عليم خبير مطلع.
﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حقًا يقينًا لا ريب فيه.
﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: أجمل خلقكم، بأن جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال.
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع.

لإفادة الحصر الملك والحمد فيه سبحانه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي قادر على كل شئ يغني ويفقر ويعز ويذل وإذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وهو كالدليل لما تقدم من أن الملك والحمد له سبحانه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ هذا تفضيل لبعض آثار قدرته أي هو الذي خلقكم أيها الناس بهذا الشكل البديع المحكم، فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر به ومنكم من آمن وصدق بخالقه قال الطبري أي منكم كافر بخالقه وأنه هو الذي خلقه، ومنكم مصدق به موقن أنه خالقه وبارئه وقدم الكافر على المؤمن لكثرة الكفار وقلة المؤمنين.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي عالم بأحوالكم مطلع على أعمالكم لا يخفى عليه خافية من شئونكم وسيجازيكم عليها، ثم فصل تعالى آثار قدرته ودلائل وحدانيته فقال ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي خلقهما بالحكمة البالغة المتضمنة لمصالح الدنيا والدين، لا عبثًا ولا لهوًا.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي خلقكم في أحسن صورة وأجمل شكل فأتقن وأحكم خلقكم وتصويركم، فإن من نظر في شكل الإنسان وهيئته وتناسب أعضائه، علم أن صورته أحسن صورة بالنسبة لسائر أنواع الحيوان، ومن حسن صورته أنه خلقه منتصبا غير منكب على وجهه.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت﴾

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في الصدور من الأسرار والمعتقدات.
﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾: الخطاب لكفار قريش. ﴿وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾: عاقبة عملهم، وضرر كفرهم ووخامة عاقبتهم في الدنيا.

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي وإليه تعالى وحده المرجع والمآب فيجازي كلًا بعمله ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يعلم ما في الكائنات من أجرام ومخلوقات.
﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ أي ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من نواياكم وأعمالكم.
﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي عالم بما في الصدور من الأسرار والخفايا، فكيف تخفى عليه أعمالكم الظاهرة؟ قال في البحر: نبه تعالى بعلمه بما في السماوات والأرض، ثم بعلمه بما يخفيه العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه بما أكنته الصدور على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شئ لا من الكليات ولا من الجزئيات، فابتدأ بالعلم الشامل ثم بسر العباد وعلانيتهم، ثم بما تنطوي عليه صدورهم وهذا كله في معنى الوعيد إذ هو تعالى المجازي عليه بالثواب والعقاب.

* * *

يقول تعالى مخبرا عن الأمم الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ أي خبرهم وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي وخيم تكذيبهم ورديئ أفعالهم وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي. ثم علل ذلك فقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي

تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحات. ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: استنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول إليهم من البشر. ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾: وأعرضوا عن التأمل فيما أتى به الرسل من الحجج. ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾: أظهر غناه عن إيمانهم، بأن أهلكهم وقطع دابرهم. ﴿غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: مستغن عن عبادتهم، محمود في جميع أفعاله. ﴿زَعَمَ﴾: ادَّعى. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: المراد أهل مكة. ﴿يَسِيرٌ﴾: هيِّن سهل.

بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾ أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أي عنهم وعن طاعتهم وعبادتهم. قال الطبري: أي استغنى عنهم وعن إيمانهم به ورسله ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ أي غني عن خلقه محمود في ذاته وصفاته، لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية لأنه مستغن عن العالمين، ثم أخبر تعالى عن إنكارهم للبعث بعد تكذيبهم للرسالة فقال ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ أي ادعى كفار مكة وظنوا أن الله لن يبعثهم من قبورهم بعد موتهم أبدًا.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ أي قل لهم يا محمد ليس الأمر كما زعمتم، وأقسم بربي لتخرجن من قبوركم أحياء ولتبعثن ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي ثم لتخبرن بجميع أعمالكم صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها وتجزون بها ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي ذلك البعث والجزاء هين على الله لأن الإعادة أسهل من الابتداء قال الرازي: أنكروا البعث بعد أن صاروا ترابا، فأخبر تعالى أن إعادتهم أهون في العقول من إنشائهم - ثم أمر سبحانه وتعالى بالاعتصام بالإيمان والتمسك بالقرآن فقال ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ

﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾: والقرآن الذي أنزلناه على محمد، لما فيه من الهداية.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾: ليوم القيامة، الذي يجتمع فيه جميع الخلائق.

﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾: أن يغبن الناس بعضهم بعضًا فيه.

﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾: يغفر له ذنوبه.

﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ أي فصدقوا بالله وبرسوله وبهذا القرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فإنه النور الوضاء المبدد للشبهات كما يبدد النور الظلمات ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أي لا تخفى عليه خافية من أعمالكم ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ أي واذكروا ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الخلائق كلها في صعيد واحد للحساب والجزاء، وسمي يوم الجمع، لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ أي ذلك اليوم الذي يظهر غبن الكافر وخسارته بتركه الإيمان، ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ أي ومن يصدق بالله ويعمل عملًا صالحًا يمح الله تعالى عنه ذنوبه ﴿وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي يدخله جنات النعيم التي تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ أي مقيمين في تلك الجنات أبد الحياة التي لا سعادة بعدها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي والذين جحدوا بوحدانية الله وقدرته وكذبوا بالدلائل الدالة على البعث وبآيات القرآن الكريم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أي أولئك مآلهم جهنم ماكثين فيها

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢ ٱللَّهُ لَآ﴾

أبدًا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي وبئست النار مرجعا ومستقرا لأهل الكفر والضلال. ثم أخبر تعالى بأن ما يحدث في الكون بقضائه وإرادته فقال ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ما أصاب أحدًا من مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده إلا بقضاء الله وقدره، يهد قلبه للصبر والرضا ويثبته على الإيمان. قال ابن عباس: يهد قلبه لليقين، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى بها ويسلم بقضاء الله.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي هو تعالى عالم بكل الأشياء، لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء. قال القرطبي: أي لا يخفى عليه تسليم من انقاد وسلم لأمره، ولا كراهة من كرهه ولم يرض بقضائه ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في كل ما شرع لكم من الأوامر والنواهي وكرر الأمر للتأكيد ولبيان أن طاعة الرسول واجبة كطاعة الله ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي فإن أعرضتم عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه من الهداية والإيمان فليس عليه ضرر إنما ضرر ذلك عليكم، إذ ليس على الرسول إلا تبليغ الرسالة وقد أدى ما عليه، والله ينتقم ممن عصاه وخالف أمره ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الله جل وعلا لا معبود سواه، ولا خالق غيره عليه الاعتماد وإليه المرجع والمآب.

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾: فلا تأمنوهم.
﴿فِتْنَةٌ﴾: اختبار وفتنة لكم أو سبب لاشتغال القلب بهم.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي عليه وحده توكلوا أيها المؤمنون في جميع أموركم، وفيه تحريض وحث للنبي ﷺ على التوكل على الله والالتجاء إليه وفيه تعليم للأمة بأن يلتجئوا إلى الله ويثقوا بنصره وتأييده.

أسباب نزول الآيات

(الآية: ١٤ وما بعدها)

أسلم رجال من أهل مكة، ورأوا أن يذهبوا إلى المدينة، ويلحقوا بالنبي ﷺ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم أن يذهبوا إلى المدينة وبعد مدة ذهبوا إلى المدينة، فوجدوا من بها من المسلمين قد تفقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوا زوجاتهم وأولادهم فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ فغضبوا وأقسموا: ليُعاقبنّ أهلهم بسبب ذلك فأنزل الله تعالى ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

التفسير

يقول تعالى مخبرًا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يتلهى به عن العمل الصالح ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي ليست الأموال

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: غاية جهدكم.
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: ومن يحفظ بتوفيق الله من بخل نفسه.
﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾: إن تنفقوا المال في وجوه الخير.
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: إنفاقا بإخلاص.
﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: يجزكم ثوابه أضعافا مضاعفة.

والأولاد إلا اختبارًا وابتلاء من الله لخلقه ليعلم من يطيعه ومن يعصيه وقدم المال لأن فتنته أشد.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الدنيا، وفي الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ابذلوا أيها المؤمنون في طاعة الله جهدكم وطاقتكم ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون قال المفسرون هذا في المأمورات وفضائل الأعمال الإنسان منها بقدر طاقته، وأما في المحظورات فلابد من اجتنابها بالكلية ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ أي اسمعوا ما توعظون به، وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ﴾ أي وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم يكن خيرًا لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي ومن سلم من البخل والطمع الذي تدعو إليه النفس فقد فاز بكل مطلوب ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ أي إذا تصدقتم في سبيل الله عن طيب نفس فإن الله يضاعف

﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾

﴿شَكُورٌ﴾: يعطي كثيرا على العمل القليل.
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: لا يخفى عليه شئ.

لكم الأجر والثواب، وفي تصوير الصدقة بصورة القرض تلطف بليغ في الإحسان إلى الفقراء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي ويمح عنكم سيئاتكم.
﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي شاكر للمحسن إحسانه حليم بالعباد حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم.
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي هو تعالى العالم بما غاب وحضر لا تخفى عليه خافية.
﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي الغالب في ملكه الحكيم في صنعه.

* * *

من أسرار الإعجاز في السورة الكريمة «التغابن»

١- ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ - ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ طباق في الإسم. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ طباق في الفعل وهو من المحسنات البديعية.
٢- ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أسلوب قصر وذلك بتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر أي له وحده الملك والحمد.
٣- ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ استعارة تصريحية، أطلق على القرآن النور بطريق الإستعارة، فإن القرآن يزيل الشبهات كما يزيل النور الظلمات.
٤- ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وبين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، وهذه المقابلة تؤكد المعنى وتقويه.
٥- ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ جناس ناقص لاختلاف الحركات في الشكل.

٦- ﴿أَصَابَ﴾ ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ ﴿يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ جناس الاشتقاق.

٧- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إطناب بتكرار الفعل زيادة في التأكيد واعتناء بشأن الطاعة.

٨- ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ صيغة مبالغة في الشكر والحلم لأن فعول وفعيل من صيغ المبالغة.

٩- ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ شبه الإنفاق في سبيل الله والتصدق على الفقراء بمن يقرض الله قرضا واجب الوفاء، وذلك بطريق التمثيل استعارة تمثيلية وهو من لطيف الاستعارة.

* * *

ما نتعلمه من السورة الكريمة «التغابن»

١- ما في السماوات والأرض ينزه الله تعالى ويمجده ويعظمه وينزهه تنزيهًا دائمًا مستمرًا بدون انقطاع، فهو الأحد الذي لا شريك له.

٢- الله وحده هو المستحق للثناء والحمد، لأن جميع النعم منه سبحانه وتعالى هو القادر على كل شئ يعز ويذل، يغني ويفقر وإذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

٣- خلق الله الإنسان بهذا الشكل البديع المحكم، ويجب علينا الإيمان به والشكر على ما أنعم به علينا، لكن منكم من آمن بربه وأيقن أنه خالقه وبارئه، ومنكم من كفر بربه وهم الكثرة الغالبة والله مطلع على أعمالنا لا تخفى عليه خافية من شئوننا وسيجازينا عليها.

٤- الله عليم بما في السماوات والأرض، وهو عليم بما يخفيه العباد وما يعلنونه، وهو عليم بما تكنه الصدور، فابتدأ بالعلم الشامل، ثم بسر العباد وعلانيتهم، ثم بما تنطوي عليه صدورهم وهذا كله في معنى الوعيد إذ هو تعالى المجازي عليه بالثواب والعقاب.

٥- تذكير كفار قريش بما حدث للأمم الماضية كقوم عاد وثمود وما حل بهم من

العذاب والنكال، لقد جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات والبراهين الساطعات الدالة على صدقهم فقالوا على سبيل الاستغراب أبشر يهدوننا أنكروا أن يكون الرسول بشرا، ولم ينكروا أن معبودهم حجرًا وذلك لضعف عقولهم وسخافة أحلامهم فاستغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم.

٦- الإيمان بالبعث والنشور، وقدرة الله على الخلق والإعادة، وعلينا أن نصدق بالله وبرسوله وبهذا القرآن فإنه النور الوضاء المبدد للشبهات كما يبدد النور الظلمات.

٧- يوم التغابن هو يوم القيامة، وأصله من الغبن وهو أخذ الشئ بدون قيمة والمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة، وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان.

٨- من يصدق بالله ويعمل عملًا صالحا يمح الله تعالى ذنوبه، ويدخله جنات النعيم يقيم في تلك الجنات أبد الحياة، لا يموتون ولا يخرجون منها وذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده، والسعادة التي لا سعادة بعدها، والذي كذبوا بالدلائل الدالة على البعث مآلهم جهنم ماكثين فيها أبدا، وبئست النار مرجعا ومستقرا لأهل الكفر والضلال، فعلينا بطاعة الله ورسوله والحذر من الإعراض عن دعوة الله.

٩- الحذر من عداوة بعض الزوجات والأولاد، فإنهم كثيرًا ما يمنعون الإنسان عن الجهاد في سبيل الله والهجرة والإنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله.

١٠- أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه، وحذرنا من الشح والبخل، فإن من صفات المؤمن الإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاته وهو شطر الجهاد في سبيل الله. والله شاكر للمحسن إحسانه، حليم بالعباد حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم. اللهم اكفنا شر الشح والبخل واجعلنا من أهل طاعتك يا أكرم الأكرمين.

* * * *

سورة «الطلاق»

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٢ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

معاني الكلمات:

﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾: في الزمان الذي يصلح لعدتهن، واضبطوها بالعدد وأكملوها.

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: ثلاث حيضات مستقبلات كوامل، لا نقصان فيها.

أسباب نزول السورة الكريمة «الطلاق»

١ـ روى قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من إحدى أزواجك ونسائك في الجنة.

٢ـ أخبرنا الليث بن سعد، عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض تطليقه واحدة، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها، فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلقَ لها النساء.

٣ـ وعن الليث قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: نزلت الآية في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أسروا ابنا له فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقه وقال إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني؟ فقال النبي ﷺ: اتق الله واصبر، وأمرك وإياها أن تستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن

رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ

﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: من مساكنهن اللائي يقمن فيها مع أزواجهن.
﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: معصية ظاهرة كالزنا، أو يكون سببًا في الحكم عليها بالنشوز، أو كل أمر قبيح.

ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاه، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٤- وروي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ قال جماعة من الصحابة يا رسول الله: فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ ...الآية.

التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولأمته، وخص بالنداء تعظيمًا له فهو نداء على سبيل التكريم والتعظيم قال القرطبي: للنبي ﷺ خوطب بلفظ الجماعة ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ تعظيمًا وتفخيمًا.

والمعنى: يأيها النبي ويأيها المؤمنون إذا أردتم تطليق النساء ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وذلك في الطهر ولا تطلقونهن في الحيض. قال مجاهد: أي طاهرا من غير جماع لقوله ﷺ «فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها» فتلك العدة التي أمر بها الله تعالى أن يطلق لها النساء، وإنما نهي عن طلاق المرأة وقت الحيض لئلا تطول عليها العدة فتتضرر، ولأن حالة الحيض منفرة للزوج تجعله يتسرع في طلاقها بخلاف ما إذا كانت طاهرا، وكونه لم يجامعها في ذلك الطهر، لئلا يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل العدة من الحيض لوضع الحمل وفي ذلك ضرر ظاهر ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء لئلا تختلط الأنساب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا﴾

﴿يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾: يبدل بالإعراض إقبالا، وبالبغض محبة. ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أشرفن على إتمام عدتهن. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: فراجعوهن وعاشروهن بمعروف.

رَبَّكُمْ﴾ أي خافوا الله رب العالمين بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي لا تخرجوهن من مساكنهن، بعد فراقكم لهم إلى أن تنقضي عدتهن، إلا إذا قارفت المطلقة عملًا قبيحًا كالزنى فتخرج لإقامة الحد عليها وقد نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها هي أن تخرج باختيارها، فلا يجوز لها المبيت خارجًا عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارًا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، واختلف في الفاحشة التي تبيح خروج المعتدة فقيل: إنها الزنى فتخرج لإقامة الحد عليها، وقيل أنه سوء الكلام مع الأصْهار وبذاءة اللسان فتخرج ويسقط حقها من السكنى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ أي وهذه الأحكام هي شرائع الله ومحارمه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ أي ومن يخرج عن هذه الأحكام ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب، وأضر بها حيث فوت على نفسه إمكان إرجاع زوجته إليه، وهذا تشديد فيمن يتعدى طلاق السنة، ومن يطلق لغير العدة ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي لا تعرف أيها السامع ماذا يحدث بعد ذلك الطلاق من الأمر؟ فلعل الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، فيجعله راغبًا في زوجته بعد ما كان كارهًا لها ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي فإذا شارفن على إنقضاء العدة وقاربن ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي فراجعوهن إلى عصمة النكاح مع الإحسان في صحبتهن كما أمر الله، أو اتركوهن حتى تنقضي

ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ

﴿ذَوَىْ عَدْلٍ﴾: شاهدَيْن مسلمَيْن حُرَّيْن، متصفين بالعدالة. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾: أدوا الشهادة خالصة لوجه الله. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: من وجه لا يخطر له ببال.

عدتهن فيملكن أنفسهن. قال المفسرون: الإحسان بالمعروف هو إحسان العشرة وتوفية النفقة من غير قصد المضارة في الرجعة لتطول عليها العدة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والمتعة عند الطلاق والوفاء بالشروط مع توفية جميع حقوقها ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي واشهدوا عند الطلاق أو الرجعة شخصين من أهل العدالة والاستقامة ممن تثقون في دينهما وأمانتهما وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة، وعند الشافعية واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي اشهدوا بالحق دون تحيز لأحد، خالصا لوجه الله تعالى من غير تبديل ولا تغيير، ودون مراعاة للمشهود له أو المشهود عليه ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي هذى الذي شرعناه من الأحكام، إنما ينتفع ويتعظ به المؤمن الذي يخشى الله، ويخاف الحساب والعقاب في الدار الآخرة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي ومن يراقب الله ويقف عند حدوده، يجعل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يعلمه، قال المفسرون: الآية عامة وقد نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابنه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت أمه فما تأمرني؟ فقال ﷺ: «اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل هو وامرأته، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ﴾

﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾: لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب. ﴿قَدْرًا﴾: تقديرا وتوقيتا. ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾: اللاتي إنقطع حيضهن لتقدم سنهن.

الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي ومن يعتمد على الله، ويثق به فيما أصابه ونابه، فإن الله كافيه، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل لأنه مأمور به، ولكن لا يعتمد على تلك الأسباب وفي الحديث «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي نافذ أمره في جميع خلقه، يبلغ ما يريد ولا يعجزه شئ وهذا حض على التوكل وتأكيد له، لأن البعض إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله، توكل على الله وحده ولم يعول على سواه.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي قد جعل الله لكل أمر من الأمور، مقدارا معلوما ووقتا محدودا، حسب الحكمة الأزلية، قال القرطبي: أي جعل لكل شئ من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه.

قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن عِدَدًا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب: الصغار والكبار وأولات الأحمال فأنزل الله تعالى ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾.

وعدة المطلقة ثلاثة أشهر في حالتين:

١ـ النساء اللاتي شككن في أن حيضهن قد انقطع عنهن لتقدم سنهن، عدتهن ثلاثة أشهر، بخلاف التي ترتفع عنها حيضتها وهي شابه فإنه ينتظر بها خشية أن تكون

﴿ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم﴾

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: إن خفى عليكم حقيقة أمرهن، ولم تعرفوا كيف يقضين العدة.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾: الصغيرات اللاتي لم يصلن إلى سن البلوغ.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾: الحبليات ذواتي الحمل.

﴿أَجَلُهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ﴾: اسكنوا المطلقات.

﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾: مما تجدونه، ويكون في وسعكم وطاقتكم.

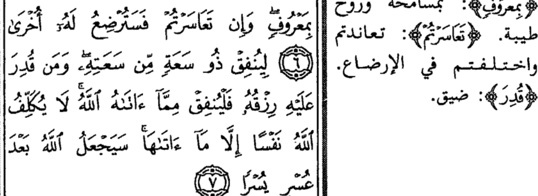
﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: ولا تعملوا على الإضرار بهن، ومضايقتهن في السكنى. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: فأعطوهن أجور الإرضاع.

﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُمۡ﴾: وتشاوروا في إرضاع الطفل عند امتناع أمه عنه.

حاملا، فإن استبان حملها فعدتها تنقضي بالوضع، وإن لم يستبن اعتدت بأقصى المدة وهي سنة.

٢ـ والصغيرات التي لم يبلغن سن الحلم.

والحامل: عدتها تنقضي بوضع حملها، إذا طلقت أو توفى عنها زوجها. والذين يخافون الله، ولا يخالفون شريعته في شأن تطليق النساء طلاقا رجعيا، فإن الله يسهل عليهم برخصة المراجعة، ما دامت المطلقة في العدة، وبجواز خطبتها بعد انقضاء العدة وتزوجها مرة أخرى، وقد بين الله تعالى لنا في هذه الآيات حكم الطلاق والعدة والرجعة، تشريع من عند الله يأمرنا أن نقف عنده، ونلتزم حدوده، والذين يخافون الله


بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بمسامحة وروح طيبة. ﴿تَعَاسَرْتُمْ﴾: تعاندتم واختلفتم في الإرضاع. ﴿قُدِرَ﴾: ضيق.

فيجتنبون المعاصي ويؤدون الفرائض، يغفر لهم ذنوبهم ويضاعف أجرهم ويجزل ثوابهم.

ومن مظاهر تقوى الله أن الرجل إذا طلق زوجته وجب عليه أن يسكنها مثل ما يسكن ولو كان ذلك في جانب من مسكنه الذي يقيم فيه إذا كان لا يقدر على غيره، ولا يجوز مضايقتها في المسكن على أي صورة من الصور لتتركه.

والحامل تنتهي نفقة عدتها بالوضع، فإن أرضعت مولودها وجب على الأب الإنفاق عليها كما لو كانت ترضع مولود غيرها، ويكون ذلك بالتفاهم والتراضي بينهما فإذا أبت المطلقة أن ترضع ولدها، لمضايقة الأب لها في الأجر، فإن الله لن يحرم هذا الطفل الذي تمنعه أمه لبنها، أو يأبى أبوه أن يعطي أمه المطلقة أجر إرضاعه، لن يحرمه ظئرا غيرها ترضعه، وتقوم على شئونه، وفي ذلك بعض العذاب على الأم التي تمتنع عن إرضاع وليدها، وكل رجل ينفق على قدر حاله، فالموسر ينفق نفقة الموسر، والمعسر ينفق نفقة المعسر كل على قدره، والفقير إذا أنفق ما يقدر عليه، يفتح الله له باب الرزق، وييسر له، فيجعل شدته رخاء وفقره غنى وضيقه سعة.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾: وكثير. ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: من أهل قرية. ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: من العتو وهو الإستكبار.

﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾: عذابا منكرا شديدا، يوم القيامة.

﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عاقبة ماعملت من المعاصي. ﴿خُسْرًا﴾: غبنا لبيعهم الآخرة بالدنيا.

﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: يا أصحاب العقول. ﴿ذِكْرًا﴾: قرآنا. ﴿رَّسُولًا﴾: وأرسل رسولا، هو جبريل عليه السلام أو محمد ﷺ.

حذر الله سبحانه وتعالى من عصيانه وتعدي حدوده وضرب الأمثال بالأمم السابقة فقال ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من أهل قرية من الأمم السالفة ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي طغت وتمردت على أوامر الله وأوامر رسله ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي فجازيناها على عصيانها وطغيانها بأنواع العذاب الأليم من الجوع والقحط وعذاب الإستئصال. ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي عذابا منكرا عظيما يفوق التصور ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي فذاقت عاقبة كفرها وطغيانها وتمردها على أوامر الله ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي وكانت نتيجة بغيها الهلاك والدمار والخسران ما بعده خسران. وأمر الله تعالى المؤمنين بتقوى الله، تحذيرا من عقابه لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك المجرمين فقال ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي هيأ الله لهم في الآخرة عذاب جهنم الشديد المؤبد ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي فخافوا الله واحذروا بطشه وانتقامه يا أصحاب العقول السليمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي أنتم يا معشر المؤمنين الذين صدقتم بالله ورسوله ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي قد أنزل إليكم وحيا يتلى وهو القرآن ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ وأرسل إليكم رسولا وهو محمد ﷺ يقرأ عليكم آيات الله، واضحات

﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾: موضحات لمن يتبينها ويتدبرها.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من الضلال إلى الهدى.

﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: قد منحه الله رزقا من الجنة.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: يجري حكم الله بينهم وينفذ فيهن.

ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

جليات، تبين الحلال والحرام وما تحتاجون إليه من الأحكام، والظاهر أن الذكر هو القرآن وأن الرسول هو محمد ﷺ ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي ليخرج المؤمنين المتقين من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي يدخله في الآخرة جنات النعيم تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي ماكثين في تلك الجنان جنان الخلد أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي قد طيب الله رزقهم في الجنة ووسعه لهم، لأن نعيمها دائم لا ينقطع. قال الطبري: أي وسع لهم في الجنات والرزق وهو ما رزقهم من المطاعم والمشارب وسائر ما أعد لأوليائه فيها فطيبه لهم، وفي الآية معنى التعجب والتعظيم لما رزق الله المؤمن من الثواب، ثم أشار تعالى إلى آثار قدرته وعظيم سلطانه وجلاله فقال ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي الله العظيم الكبير هو الذي خلق بقدرته سبع سموات طباقا ومن الأرض مثلهن، أي خلق سبع أرضين بعضها فوق بعض بدون فتوق بخلاف السموات. ولا خلاف بين العلماء أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها فقيل: إنها سبع

﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

أرضين لظاهر الآية وللحديث الصحيح: «من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين» وقيل إنها أرض واحدة وأن المماثلة ليست في العدد وإنما هي في الخلق والإبداع أي مثلهن في الإبداع والإحكام والأول أظهر والله أعلم ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يتزل وحي الله ويجري أمره وقضاؤه بين السموات والأرضين ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي لتعلموا أن من قدر على خلق ذلك قادر على كل شئ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ أي ولتعلموا أنه تعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية.

* * *

من أسرار إعجاز سورة «الطلاق»

١ - ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ و ﴿بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ طباق.

٢ - ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ الإظهار في موضع الإضمار للتهويل.

٣ - ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الالتفات لمزيد الاهتمام ورد بطريق الخطاب، والأصل أن يكون بطريق الغائب «لا يدري».

٤ - ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ﴾ حذف منه الخبر أي ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ إيجاز بالحزف.

٥ - ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ مجاز مرسل يراد به أهل القرية من باب تسمية الحال باسم المحل.

٦ - ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ استعار الظلمات للضلال والكفر، واستعار النور للهدى والإيمان وهو من روائع البيان.

٧ - ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ و ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ سجع وهو من المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من سورة «الطلاق الكريمة»

١- على المؤمنين أن يسلكوا أفضل الطرق عند تعذر استمرار الحياة الزوجية، وعلى الزوج أن يطلق زوجته في الوقت المناسب وعلى الوجه المشروع، وهو أن يطلقها طاهرا من غير جماع، ثم يتركها إلى انقضاء عدتها.

٢- على المؤمنين أن يتمهلوا ولا يسرعوا في فصل عرى الزوجية، فإن الطلاق أبغض الحلال إلى الله، ولولا الضرورات القسرية لما أبيح الطلاق لأنه هدم للأسرة.

٣- إحصاء العدة لضبط انتهائها لئلا تختلط الأنساب، ولئلا يطول الأمد على المطلقة فيلحقها الضرر.

٤- أحكام العدة - ثلاثة أشهر في النساء اللاتي تقدمن في السن، والصغيرات اللاتي لم يبلغن سن الحلم، والشابة التي انقطع حيضها فإنه ينتظر بها خشية أن تكون حاملا، فإن إستبان حملها فعدتها تنقضي بالوضع، وإن لم يستبن اعتدت بأقصى المدة وهي سنة، والحامل تنقضي عدتها بوضع حملها إذا طلقت أو توفى عنها زوجها.

٥- ما دامت المطلقة في العدة فمن حق الزوج إذا كان قد طلقها طلاقا رجعيا أن يراجعها، أما اذا إنتهت عدتها فيجوز خطبتها بعد إنقضاء العدة ويتزوجها مرة أخرى.

٦- إذا طلق الرجل زوجته، وجب عليه أن يسكنها مثل ما يسكن. ولو كان ذلك في جانب من مسكنه الذي يقيم فيه، ولا يجوز مضايقتها في المسكن على أي صورة من الصور لتتركه.

٧- الحامل تنتهي نفقة عدتها بالوضع، فإن أرضعت مولودها وجب على الأب الإنفاق عليها، كما لو كانت ترضع مولود غيرها وذلك بالتفاهم والتراضي بينهما.

٨- التحذير من تعدي حدود الله، فكم من أمم باغية مستكبرة خرجت عن شريعة الله فذاقت من الوبال والدمار ما ذاقت.

٩- البراهين الساطعة التي تدل على وحدانية الله رب العالمين وقدرته، فيجب علينا أن نعبده فهو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع وخلق ما بينهما، ودبر ذلك كله بعلمه وقدرته وإرادته فهذه كلها براهين تدل على وحدانية الله رب العالمين. وبالله التوفيق

سورة «التحريم»

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٢ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ

معاني الكلمات:

﴿أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: جعله الله حلالا لك.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾: تطلب رضا زوجاتك.

أسباب نزول سورة «التحريم»

روي أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبويها فأذن لها، فلما خرجت أرسل إلى جاريته «مارية القبطية» فعاشرها في بيت حفصة، فرجعت فوجدتها في بيتها، فغارت غيرة شديدة، وقالت: أدخلتها بيتي في غيابي وعاشرتها على فراشي؟ ما أراك فعلت هذا إلا لهواني عليك! فقال لها رسول الله ﷺ مسترضيا لها: إني حرمتها عليَّ ولا تخبري بذلك أحدا، فلما خرج من عندها قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة وكانتا متصافيتين، وأخبرتها بسر النبي ﷺ فغضب رسول الله ﷺ وحلف ألا يدخل على نسائه شهرا واعتزلهن فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ وروي أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب رضي الله عنها فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها: أكلت مغافير، وهو طعام حلو كريه الرائحة، فلما مَّر على حفصة قالت له ذلك، ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك، وكان ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة فقال عليه السلام «لا» ولكني شربت عسلا عند زينب ولن أعود له وحلف فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾.. الآيات.

فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ

﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: شرع الله لكم. ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: تحليل أيمانكم. ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: متولي أمركم، وربكم. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المتقن في أفعاله وأحكامه.

التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ الخطاب بلفظ النبوة مشعر بالتوقير والتعظيم والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، فلم يخاطبه باسمه العلم كما خاطب سائر الرسل بقوله يا ابراهيم يا نوح يا عيسى، وإنما خاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة، وذلك أعظم دليل وبرهان على أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل الأنبياء والمرسلين، ومعنى الآية، يأيها الموحى إليه من السماء، المنبأ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، لماذا تمنع نفسك ما أحل الله لك من النساء؟ قال المفسرون: إن رسول الله ﷺ خلا بأم ولده مارية، في بيت حفصة وعلمت بذلك فقال لها: اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي فنزلت الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ﴾ فقد عاتبه مولاه على إتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك؟ يعني تحريمه للجارية إبتغاء مرضاة حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة حيث سامحك في امتناعك عن مارية، وإنما عاتبك رحمة بك ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي قد شرع الله لكم يا معشر المؤمنين ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي والله وليكم وناصركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي وهو

بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ

﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾: حفصة بنت عمر زوجته. ﴿نَبَّأَتْ﴾: أخبرت. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أطلعه على خبر إفشائه. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: أخبر السيدة حفصة بما عرفه، أو جازاها به بتطليقه إياها. ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: ولم يخبرها ببعضه، أو تجاوز عنه ولم يؤاخذها به. ﴿إِن تَتُوبَآ﴾: يقصد حفصة وعائشة من أمهات المؤمنين.

العليم بخلقه الحكيم في صنعه فلا يأمر ولا ينهي إلا بما تقتضيه الحكمه والمصلحة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ أي واذكر حين أسر النبي ﷺ إلى زوجته حفصة خبرا واستكتمها إياه قال ابن عباس: هو ما أسر إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه كما أخبرها بأن الخلافة بعده تكون في أبي بكر وعمر، وطلب منها ألا تخبر أحدا. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي فلما أخبرت بذلك السر عائشة وأفشته لها، ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسر ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ والمعنى أن النبي ﷺ أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم مارية على نفسه، وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه ﷺ كره أن ينتشر ذلك في الناس ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي فلما أخبر الرسول حفصة بأنها قد أفشت سره ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي قالت: من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيت سرك؟ ظنت حفصة أن عائشة فضحتها وكانت قد استكتمتها، فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبيت، فأخبرها أن الله تعالى هو الذي نبأه به فسكتت وسلّمت ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي فقال عليه السلام: أخبرني بذلك رب العزة العليم بسرائر العباد، الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الخطاب لحفصة وعائشة.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ

﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت قلوبكما عن الواجب، من الإخلاص لرسول الله ﷺ.
﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: وإن تتعاون عليه بالإساءة إليه.
﴿مَوْلَىٰهُ﴾: ناصره ومعينه. ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: والصلحاء من أتباعه وأعوانه.
﴿ظَهِيرٌ﴾: متظاهرون ومعاونون وناصرون للنبي ﷺ.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي فقد زاغت ومالت قلوبكما عما يجب عليكما من الإخلاص لرسول الله، بحب ما يحبه، وكراهة ما يكرهه ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي وإن تتعاونا على النبي بما يسوءه من الوقيعة بينه وبين سائر نسائه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي فإن الله تعالى هو وليه فلا يضره ذلك التظاهر منكما ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وجبريل كذلك وليه وناصره، والصالحون من المؤمنين، وقد صح في الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل، وأبو بكر وعمر معك فنزلت الآية موافقة لرأي عمر ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي والملائكة الأبرار بعد حضرة الله، وجبريل، وصالح المؤمنين أعوان الرسول ﷺ على من عاداه، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء أعوانه وأنصاره، ثم خوف تعالى نساء النبي بقوله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ قال المفسرون: عسى من الله واجب، أي حق واجب على الله إن طلقكن رسوله ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ أي أن يعطيه عليه السلام بدلكن زوجات صالحات خيرا وأفضل منكن، ثم وصف تعالى هؤلاء الزوجات اللواتي سيبدله بهن فقال ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ أي خاضعات مستسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله

سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: احفظوا أنفسكم من سوء العاقبة بترك المعاصي وفعل الطاعات.

﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾: واحفظوا أهلكم بالنصح والتأديب.

﴿وَقُودُهَا﴾: ما توقد به.

﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾: يقوم عليها ملائكة وهم الزبانية غلاظ الأقوال وشداد الأفعال.

﴿مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ أي مصدقات بالله ورسوله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ أي مطيعات لما يؤمرن به، مواظبات على الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ أي تائبات من الذنوب، لا يصرون على المعصية ﴿عَٰبِدَٰتٖ﴾ أي متعبدات لله يكثرن العبادة، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت سجية لهن ﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ أي مسافرات مهاجرات إلى الله ورسوله ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا قال ابن كثير: قسمهن إلى نوعين ليكون ذلك أشهى للنفس، فإن التنويع يبسط النفس، وإنما دخلت واو العطف هنا ثيبات وأبكارا للتنويع والتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، فتدبر سر القرآن الكريم وبلاغته.

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ أي اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله. وقال المفسرون: أي مروهم بالخير، وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم حتى تقوهم بذلك من النار، والمراد بالأهل النساء والأولاد وما ألحق بهما ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ أي حطبها الذي تسعر به نار جهنم هو الخلائق، والحجارة هي حجارة الكبريت، لأنها أشد الأشياء حرا، وأسرع اتقادا، وقال ابن مسعود: حطبها الذي يلقى فيها بنو آدم، وحجارة من كبريت، أنتن من الجيفة ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ﴾ أي على هذه النار زبانية غلاظ القلوب لا يرحمون أحدا، مكلفون بتعذيب الكفار، والمراد بالملائكة الزبانية وهم غلاظ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: توبة خالصة، بالندم على العمل السيئ، ويعزم على عدم العودة إليه.

﴿يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: يكفر عنكم خطيئاتكم.

القلوب لا يرحمون إذا إسترحموا، لأنهم خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي لا يعصون أمر الله بحال من الأحوال ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي ينفذون الأوامر بدون إمهال ولا تأخير. وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي لا تعتذروا عن ذنوبكم وإجرامكم فلا ينفعكم اليوم اعتذار، لأنه قد قُدِّم إليكم الإنذار والإعذار ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي إنما تنالون جزاءكم على ما قدمتم من أعمالكم القبيحة. ثم دعا سبحانه وتعالى المؤمنين إلى التوبة الصادقة الناصحة فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة صادقة خالصة، سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: هي أن يتوب العبد ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. وقال العلماء: التوبة النصوح لها شروط ثلاثة: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما حدث، والعزم على عدم العودة إليه، وإن كان الحق لآدمي زيد شرط رابع وهو رد المظالم لأصحابها ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي لعل الله يرحمكم فيمحو عنكم ذنوبكم قال المفسرون: عسى من الله واجبة بمنزلة التحقيق، وهذا إطماع من الله لعباده في قبول التوبة، تفضلا منه وتكرما، لأن العظيم إذا وعد وفى ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي ويدخلكم في

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: يوم يكرم الله النبي والمؤمنين بفوزهم بالجنة، وعصمتهم من النار.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾: يجعل الله لهم نورا يسير بهم إلى الجنة.

﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: حاربهم بالسيف.

﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: حاربهم بالحجة وإقامة الدليل ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: إذا لم ينفع الرفق واللين معهم فقابلهم بالغلظة والمخاشنة.

الآخرة حدائق وبساتين ناضرة تجري من تحت قصورها أنهار الجنة، أي من خلالها والله أعلم ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي يوم لا يفضح الله النبي وأتباعه المؤمنين أمام الكفار بل يعزهم ويكرمهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي نور هؤلاء المؤمنين يضئ لهم على الصراط، ويسطع أمامهم وخلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم كإضاءة القمر في سواد الليل ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أي يدعون الله قائلين: يا ربنا أكمل علينا هذا النور وأدمه لنا، ولا تتركنا نتخبط في الظلمات. قال ابن عباس: هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين، يدعون ربهم به إشفاقا حتى يصلوا إلى الجنة ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ أي وامح عنا ما فرط من الذنوب ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي إنك القادر على كل شئ من المغفرة والعقاب والرحمة والعذاب. قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أي جاهد الكفار بالسيف والسنان والمنافقين بالحجة والبرهان، لأن المنافقين يظهرون الإيمان، فهم مسلمون ظاهرا فلذلك لم يؤمر ﷺ بقتالهم ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وشدد عليهم في الخطاب، ولا تعاملهم بالرأفة واللين، إرعابًا وإذلالًا لهم، لتنكسر صلابتهم وتلين

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مصيرهم إلى جهنم.
﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: وبئست النهاية التي ينتهون إليها.
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: أورد مثلا لحالة عجيبة.
﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: كانتا زوجين لعبدين من عباد الله، ونبيين من أنبيائه. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: فنقضتا عهد الزوجية بالكفر والنفاق. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: لم ينفعهما أنهما زوجتان لنبيين.

شكيمتهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي ومستقرهم جهنم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي وبئست جهنم مستقرًا ومصيرا للمجرمين.

قال الله تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ أي مثَّل تعالى للكفار في عدم استفادتهم بقرابة المؤمنين، بحال امرأة نوح وامرأة لوط. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ أي كانتا في عصمة نبيين عظيمين هما «نوح ولوط» عليهما السلام، وإنما وصفهما بالعبودية تشريفًا وتكريمًا لهما بإضافتهما إليه تعالى.

﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي فخانت كل واحدة زوجها بالكفر وعدم الإيمان، فلم يدفعا عن امرأتيهما - مع نبوتهما - شيئا من عذاب الله.

﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ أي وتقول لهما خزنة النار يوم القيامة ادخلا جهنم مع سائر الداخلين، من الكفرة المجرمين، ضرب تعالى هذا المثل تنبيها على أنه لا يغني في الآخرة أحد من قريب ولا نسيب، إذا فرق بينهما الدين، كما لم يدفع نوح ولوط - مع كرامتهما على الله تعالى - عن زوجتيهما لما عصتا شيئا من عذاب الله.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: عفَّت عن ارتكاب الفاحشة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهذا مثل آخر للمؤمنين في عدم تضرره ببقاء قريبه على الكفر إذا كان هو مؤمنًا، قال المفسرون: واسمها آسية بنت مزاحم، آمنت بموسى عليه السلام، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فنجاها الله من شره، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي حين دعت ربها قائلة يا رب اجعل لي قصرًا مشيدًا بجوار رحمتك في جنات النعيم، وما أحسن هذا الكلام فقد اختارت الجار قبل الدار حين قالت: ﴿ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أي حين دعت ربها قائلة: يا رب اجعل لي قصرا مشيدًا بجوار رحمتك في جنة النعيم، فهي تطمع في جوار الله قبل طمعها في القصور، وفي الآية دليل على إيمانها وتصديقها بالبعث.

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ أي وانقذني من كفر فرعون وطغيانه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي وانقذني من الأقباط، وأتباع فرعون الطاغين، قال الحسن: لما دعت بالنجاة نجاها الله تعالى أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ أي ومريم ابنة عمران مثل آخر في الإيمان ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظت فرجها وصانته عن مقارفة الفواحش فهي عفيفة شريفة طاهرة، لا كما زعم اليهود عليهم لعنة الله، أنها زنت وأن ولدها عيسى ابن زنى.

﴿زُوجِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾: فحملت بقدرة الله من غير أن يتصل بها رجل.

﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: بشرائعه التي أتى بها عيسى. ﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المطيعين.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي فنفخ رسولنا جبريل في فتحة جيبها فوصل أثر ذلك إلى فرجها فحملت بعيسى. قال ابن كثير: إن الله بعث جبريل فتمثل لها في صورة بشر، وأمره أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ أي وآمنت بشرائع الله القدسية وكتبه السماوية ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي وكانت من القوم المطيعين لله عز وجل، وهو ثناء عليها بكثرة العبادة والطاعة والخشوع، وفي الحديث «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

من أسرار إعجاز سورة «التحريم»

١- ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ﴾، ﴿عَرَّفَ﴾، ﴿وَأَعْرَضَ﴾، ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ طباق، يؤكد المعنى ويقويه ويزيد الكلام جرسًا موسيقيًا جميلا.

٢- ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في اللوم والعتاب.

٣- ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾، ﴿ظَهِيرٌ﴾، ﴿نَّصُوحًا﴾، ﴿قَدِيرٌ﴾ صيغ مبالغة تفيد الكثرة.

٤- ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ذكر العام بعد الخاص، فقد خص جبريل بالذكر تشريفًا، ثم ذكره ثانية مع العموم اعتناء بشأن الرسول ﷺ، ووسط صالح المؤمنين بين الملائكة المقربين.

٥- ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ مجاز مرسل، ذكر المسبَّب وأراد السبب أي لازموا

على الطاعة لتقوا أنفسكم وأهليكم من عذاب الله.

٦- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مقابلة بين مصير أهل الإيمان ومصير أهل الطغيان.

٧- ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ من باب التغليب، غلب الذكور على الإناث.

٨- ﴿ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، ﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ السجع المرصع وهو كثير في القرآن كأنه اللؤلؤ والمرجان.

ما نتعلمه من سورة «التحريم» الكريمة

١- سورة «التحريم» تعالج قضايا وأحكاما تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات، وذلك في إطار تهيئة البيت المسلم، والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة.

٢- إرضاء لرغبة بعض زوجات الرسول ﷺ حرم الرسول جاريته «مارية القبطية» على نفسه، وامتناعه عن مباشرتها، وجاء العتاب له لطيفا رقيقا يشف عن عناية الله بعبده ورسوله ﷺ أن يضيق على نفسه ما وسعه الله له.

٣- من الخطورة إفشاء السر الذي يكون بين الزوجين، فهو الذي يهدد الحياة الزوجية، فقد أسر النبي ﷺ لحفصة بسر واستكتمها إياه، فأفشته إلى عائشة حتى شاع الأمر وزاع، مما أغضب الرسول حتى هم بتطليق أزواجه.

٤- حدث بين زوجات النبي ﷺ غيرة بين بعضهن من بعض لأمور يسيرة، وتظاهرن عليه ﷺ، فتوعدهن الله تعالى إبدال الله لرسوله بنساء خير منهن إنتصارًا لرسول الله ﷺ.

٥- لما أسر النبي إلى حفصة بعض الأمر، كتحريم العسل على نفسه أو تحريم جاريته «مارية القبطية» عليه، كان عليها أن تحتفظ بهذا السر ولكنها لم تكتمه وأذاعته لعائشة صديقتها، فعرّف الله النبي ما فعلت حفصة، فأخبرها أن الله أطلعه عليه، وجازاها على ما فعلت بتطليقه إياها، وكان الأولى بحفصة وعائشة أن يخلصا

لرسول الله ﷺ وألا تفشيا سره. فتابا إلى الله وكان لتوبتهما ما يوجبها.
ويجب علينا أن نكتم الأسرار ولا نفشيها لأحد وبخاصة الأسرار الخاصة بحماية الأسرة والمجتمع والوطن فهي من أخطر الأشياء التي تقوض الأسرة وتهدد المجتمع الإسلامي.

٦- الرسول ﷺ منصور من الله، ومن جبريل ملك الوحي ومن أعوانه وأتباعه من المؤمنين المخلصين ومن وراء هؤلاء جميعًا تنصره الملائكة، وهو لا يحتاج إلى نصرة أحد ما دام الله معه، وقد ساق سبحانه وتعالى هذا دليلًا على رضا خلقه عنه من الإنس والملائكة، ولن يضيره غضب امرأتين والمؤمنون كذلك منصورون بربهم ما داموا على الحق أسوة برسول الله ﷺ.

٧- ضرب الله لنا مثلين: مثل للزوجة الكافرة في عصمة الرجل الصالح المؤمن، ومثل للزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الفاجر الكافر تنبيها للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع حسب ولا نسب، إذا لم يكن عمل الإنسان صالحا ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي كفرتا بالله ولم تؤمنا ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وختمت السورة بختم رائع فيه ترسيخ دعائم الفضيلة والإيمان.

٨- علينا أن نأخذ العظة والعبرة في التشريعات التي شرعها الله في هذه السورة الكريمة ونعمل على تنفيذها في السر والعلانية وأن نحافظ محافظة تامة على سلامة الأسرة من التفكك والضياع وأن نرعى حرمة المجتمع وسلامة الوطن، خشية أعداء الله من الكافرين والمنافقين، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

والله من وراء القصد، فهو نعم المولى ونعم النصير.

* * * * *

المراجع

١ـ تفسير القرآن الكريم ـ محمود محمود حمزة ـ حسن علوان ـ محمد أحمد برانق
٢ـ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٣ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ لجنة القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٤ـ صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني
٥ـ أسباب النزول ـ للإمام أبي الحسن علي محمد بن أحمد الواحدي النيسابوري
٦ـ كلمات القرآن تفسير وبيان ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف
٧ـ تفسير الجلالين
٨ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب
٩ـ الإمام النسفي

الشريف
حسين أحمد محمد يوسف شلبي
١٤ شارع أحمد قاسم جودة ـ مدينة نصر

تَفْسِيرُ جُزْءِ تَبَارَكَ

مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ

سورة «الملك»

نزلت بمكة، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

معاني الكلمات:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: تعالى، أو كثر خيره وإنعامه. ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: له الأمر والنهي والسلطان. ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾: أوجده، أو قدره أزلا. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم فيما بين الحياة والموت. ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أصوبه وأخصله وأسرعه طاعة. ﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب.

أسباب النزول

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾
نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فأخبره جبريل ـ عليه السلام ـ بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم؛ لئلا يسمع إله محمد.

التفسير

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. وعن ثابت عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ: «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: تبارك الذي بيده الملك». وعن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الم ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة، وعن عكرمة أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به! قال: بلى، قال: اقرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك، وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: سبع مدارات للكواكب السبع السيارة. ﴿طِبَاقًا﴾: كل سماء مقببة عَلَى الأخرى. ﴿تَفَٰوُتٍ﴾: اختلاف وعدم تناسب. ﴿فُطُورٍ﴾: شقوق وصدوع أو خلل. ﴿كَرَّتَيْنِ﴾: رجعتين رجعة بعد رجعة، والمراد ترديد البصر. ﴿خَاسِئًا﴾: صاغرًا العدم وجدان الفطور. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل من كثرة المراجعة.

القبر، قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

يمجد الله - تعالى - نفسه الكريمة، ويخبر أن بيده الملك ؛ أي المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمه وعدله، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ثم قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق، ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم؛ أي يختبرهم أيهم أحسن عملا؛ كما قال - تعالى -: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ فسمي الحال الأول موتًا وسمي النشأة حياة، ولهذا قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، وعن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة، ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء، وقوله - تعالى -: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي خير عملاً، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾؛ أي العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفر لمن تاب إليه، وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره، وإن كان - تعالى - عزيزًا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي طبقة بعد طبقة، وهن متفاصلات بينهن خلاء ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾؛ أي بل هو

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ﴾

﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: أقرب السماوات إلينا. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بكواكب عظيمة مضيئة. ﴿رُجُومًا﴾: بانقضاض الشهب منها عليها، أو ظنونا وأوهاما. ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: للخارجين من الناس عن طاعة الله. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أعددنا وهيأنا. ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: النار الملتهبة. ﴿شَهِيقًا﴾: صوتا منكرا كصوت الحمير.

﴿تَفُورُ﴾: تغلي بهم غليان القدر بما فيها. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: تتفرق أجزاؤها، وتتقطع من شدة الغيظ. ﴿فَوْجٌ﴾: جماعة من الكفار.

مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال - تعالى - ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾؛ أي شقوق، قال السدي: هل ترى من خروق، وقال ابن عباس: ﴿مِن فُطُورٍ﴾؛ أي من وهاء، وقال قتادة: أي هل ترى خللاً يا ابن آدم؟ ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك أي لرجع إليك البصر ﴿خَاسِئًا﴾. عن أن يرى عيبًا أو خللا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصًا، ثم بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، عاد الضمير في قوله ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ على جنس المصابيح، لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة. قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء،

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ

﴿نَذِيرٌ﴾: رسول من عند الله، يخوفكم عاقبة أمركم. ﴿بَلَىٰ﴾: كلمة تدل عَلَى التصديق. ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: ما أنتم.
﴿نَسْمَعُ﴾: نقبل ما نسمع قبولا حسنا. ﴿نَعْقِلُ﴾: نفكر. ﴿فَسُحْقًا﴾: فبعدًا من الرحمة والكرامة. ﴿يَخْشَوْنَ﴾: يخافون.

ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها، يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ * وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي بئس المآل والمنقلب. ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾؛ يعني الصياح ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾، قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾؛ أي تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾، يذكر الله ـ تعالى ـ عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، فقالوا: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا عليه من الكفر بالله، والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ عن أبي بحتري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»، وفي حديث آخر: «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة».

﴿ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن﴾

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: بعيدون عن أعين الناس. ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في الضمائر من خواطر. ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: العالم بما ظهر أو خفي من خلقه. ﴿ذَلُولًا﴾: سهلة للمشي فيها، وتستقرون عليها. ﴿مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها، أو طرقها وفجاجها. ﴿ٱلنُّشُورُ﴾: إليه تبعثون من القبور. ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: أمره وقضاؤه وسلطانه.

يقول الله ـ تعالى ـ مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس فينكف عن المعاصي، ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله ـ تعالى ـ بأنه له مغفرة وأجر كبير؛ أي تكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل؛ كما ثبت في الصحيحين: «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلاَّ ظله»، فذكر منهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حَتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»، ثم قال ـ تعالى ـ منبهًا عَلَى أنه مطلع عَلَى الضمائر والسرائر. ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي بما يخطر في القلوب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؟؛ أي ألا يعلم الخالق، وقيل معناه ألا يعلم مخلوقه والأول أولى لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، ثم ذكر نعمته عَلَى خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتذليله إياها لهم بأن جعلها تارة ساكنة لا تميد، ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع، ومواضع الزرع والثمار فقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾؛ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا إلاَّ أن ييسره الله

يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ

﴿يَخۡسِفَ بِكُمُ﴾: يغيبكم فيها. ﴿هِيَ تَمُورُ﴾: ترتج وتضطرب فتعلو عليكم. ﴿حَاصِبٗاۖ﴾: ريحا من السماء فيها حصباء؛ وهي صغار الحصى ترميكم بها. ﴿كَيۡفَ نَذِيرِ﴾: كيف انذاري وقدرتي عَلَى العقاب. ﴿كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالإهلاك. ﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾: باسطات أجنحتهن في الجو. ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾: يضممن

لكم، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾، فالسعي في السبب لاينا في التوكل ومن حديث بن هبيرة يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون عَلَى اللَّه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا» فأثبت لها رواحًا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها عَلَى اللَّه ﷻ وهو المسخر المسير المسبب، ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي المرجع يوم القيامة، قال قتادة: مناكبها أطرافها وفجاجها ونواصيها، وقال ابن عباس: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾، الجبال، عن بشير بن كعب: أنه قرأ هذه الآية، ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾، فقال لأمّ ولدٍ له: إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة، فقالت: هي الجبال، فسأل أبا الدرداء فقال: هي الجبال. ومن لطف اللَّه ورحمته بخلقه أنه قادر عَلَى تعذيبهم بسبب كفرهم وعبادتهمّ معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل، وقوله - تعالى -: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ أي تذهب وتجيئ وتضطرب، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾؛ أي ريحا فيها حصباء تدمغكم، وهكذا توعدهم بقوله: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾؛ أي كيف يكون إنذاري ولما فيه من تخلف عنه وكذب به، ثم قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي من الأمم السالفة والقرون الخالية، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي فكيف إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؛ أي

﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن﴾

أجنحتهن، ويضممنها إذًا ضربن بهن جنوبهن. ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾: ما يمنعهن من السقوط. ﴿بَصِيرٌ﴾: عالم خبير. ﴿جُندٌ لَّكُمۡ﴾: أنصار وأعوان. ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: من غير الرحمن. ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: ما الكافرون. ﴿غُرُورٍ﴾: غفلة وخداع من الشيطان وجنده. ﴿أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾: منعه.

﴿لَّجُّواْ﴾: تمادوا واستمروا. ﴿عُتُوّٖ﴾: في عناد وتكبر. ﴿وَنُفُورٍ﴾: شراد وتباعد عن الحق. ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾: وجهه إلى الأرض، ولا يأمن من العثور.

عظيمًا شديدًا أليمًا، ثم قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾؛ أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحًا، وتنشر جناحا، ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾؛ أي في الجو، ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾؛ أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾؛ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله - تعالى -: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾؛ أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال - تعالى -: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، ثم قال - تعالى -: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾؛ أي من هذا الذي إذًا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؛ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له؛ أي وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال - تعالى -: ﴿بَل لَّجُّواْ﴾؛ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم، ﴿فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾؛ أي في معاندة واستكبار ونفور على إدبارهم عن الحق لا يسمعون له، ولا يتبعونه، ثم قال - تعالى -: ﴿أَفَمَن

يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٢٢) قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ (٢٣) قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٥)

﴿سَوِيًّا﴾: معتدل القامة، منتصبا سالما من العثور، مثل للمشرك والموحد. ﴿صِرَٰطٖ﴾: طريق. ﴿أَنشَأَكُمۡ﴾: خلقكم. ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: المدارك والعقول. ﴿مَّا تَشۡكُرُونَ﴾: ما هنا زائدة للتأكيد. ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾: خلقكم وكثركم. ﴿تُحۡشَرُونَ﴾: تجمعون يوم القيامة. ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾: يوم القيامة.

يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وهذا مثل ضربه اللَّه للمؤمن والكافر؛ فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا عَلَى وجهه؛ أي يمشي منحنيا لا مستويا عَلَى وجهه؛ أي لا يدري كيف يسلك، ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾؛ أي منتصب القامة، ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي عَلَى طريق واضح بيّن، وهو فِي نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة هذا مثلهم فِي الدنيا، وكذلك يكونون فِي الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويًا عَلَى صراط مستقيم مفضٍ به إِلَى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي عَلَى وجهه إِلَى نار جهنم، ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الآيات؛ أزواجهم وأشباههم. عن أنس بن مالك يقول: قيل يا رسول اللَّه: كيف يحشر الناس عَلَى وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم عَلَى أرجلهم قادرا عَلَى أن يمشيهم عَلَى وجوههم»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ﴾؛ أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾؛ أي العقول والإدراك، ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾؛ أي قلما تستعلمون هذه القوى التي أنعم اللَّه بها عليكم فِي طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾؛ أي بثكم ونشركم فِي أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ﴾

﴿ٱلْعِلْمُ﴾: علم يوم القيامة. ﴿نَذِيرٌ﴾: مبلغ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: رأوا العذاب قريبا منهم. ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: كئبت واسودت غمًا وذلاً. ﴿بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾: تطلبون أن يعجل لكم استهزاء. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني أو أروني. ﴿يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ينجيهم، أو

ولغاتكم وألوانكم وأشكالكم وصوركم، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم.

قال ـ تعالى ـ مخبرًا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد التفرق، ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي لا يعلم وقت ذلك عَلَى التعيين إلاَّ اللَّه عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي وإنما علي البلاغ، وقد أديته إليكم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي لما قامت القيامة، وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريبًا؛ لأن كل ما هو آت آت، وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر؛ أي فاحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر اللَّه ما لم يكن لهم عَلَى بال ولا حساب، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، ولهذا يقال لهم عَلَى وجه التقريع والتوبيخ، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾؛ أي تستعجلون.

يقول اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الجاحدين لنعمه، ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي خلصوا أنفسكم فإنه لا منقذ لكم من اللَّه إلاَّ التوبة والإنابة والرجوع إِلَى دينه ولا ينفعكم

يمنعهم، أو ينقذهم.

﴿غَوْرًا﴾: غائر ذاهبًا في الأرض لا ينال.

﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: جار أو ظاهر سهل التناول.

هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا اللَّه أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾؛ أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي منا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، ثم قال ـ تعالى ـ إظهارًا للرحمة في خلقه، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾؛ أي ذاهبًا في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾؛ أي نابع سائح جار عَلَى وجه الأرض؛ أي لا يقدر عَلَى ذلك إلاَّ اللَّه ـ عز وجل ـ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر الأقطار بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، بهذا اقتضت حكمة العلي العظيم.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الطباق بين «الموت والحياة»، وبين «أسروا أو اجهروا»، وبين «صافات ويقبضن»؛ لأن المعنى صافات وقابضات.

٢ ـ ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وضع الاسم الموصول للتفخيم والتعظيم؛ أي له الملك والسلطان والتصرف في الأكوان.

٣ ـ ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾، ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ إطناب زيادة في التذكير والتنبيه.

٤ ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ استفهام إنكاري الغرض منه التقريع والتوبيخ.

٥ ـ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾، قابله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾.

٦ ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ استعارة مكنية، شبه جهنم في شدة غليانها ولهبها بإنسان شديد الغيظ والحنق عَلَى عدوه، يكاد يتقطع من شدة الغيظ وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الغيظ الشديد بطريق الاستعارة المكنية.

٧ ـ الاستعارة التمثيلية، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الطريق التمثيل للمؤمن والكافر، فالمؤمن يمشي سويًا عَلَى صراط مستقيم، والكافر يمشي مكبا عَلَى وجهه إِلَى طريق الجحيم.

٨ ـ السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾، ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾.

ما نتعلمه من سورة «تبارك» الكريمة

١ ـ اللَّه ﷻ عظيم الشأن، كثير الخير والبركة قادر عَلَى كل شيء أوجد فينا الحياة بعد العدم ليختبرنا، وهو القوي الشديد المنتقم ممن عصاه الغفور لمن تاب إليه مما جناه.

٢ ـ اللَّه جلت قدرته هو الذي خلق سبع مدارات للكواكب بعضها فوق بعض ليس فيها خلل ولا عيب، وترى عظمة القادر في هذا النظام العجيب الذي يعم جميع الكائنات، ولو تأملنا في السموات لرأينا تماسكها وتناسبها بما بينها من تجاذب، وهذه قدرة باهرة يعجز عنها جميع المخلوقات.

٣ ـ بعض الدجالين من المنجمين، يدعي أنه بإطلاعه عَلَى هذه النجوم يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل رجما بالغيب، وهم يضللون الناس بهذه الأوهام فهم كالشياطين، ولقد أعد اللَّه لهؤلاء المنجمين نارًا شديدة ذات لهب، وتكاد هذه النار لشدة غليانها وارتفاع لهيبها، تتفرق أجزاؤها بعضها عن بعض من شدة الغيظ.

٤ - يعترف المشركون يوم القيامة بأن اللَّه أرسل إليهم رسولا، ولكنهم كذبوه ثم يندمون، ويقولون: لو كان لنا آذان تتصل بقبول حسن ما تسمعه من الرسول، أو عقول تفكر فيما جاء به ما عوقبنا بهذا العذاب الأليم، ولن ينفعهم الندم، لقد جاء بعد فوات الفرصة.

٥ - اللَّه - سبحانه - مطلع عَلَى ضمائر الناس، وما تخفيه صدروهم؛ لأنه خالقهم، وإن من يطيعونه فِي السر كما يطيعونه فِي العلانية يغفر لهم ذنوبهم، ولهم يوم القيامة أجرٌ كبير.

٦ - ذلل اللَّه لنا الأرض، وهيأها للضرب فِي مناكبها والسير فِي جنباتها واستغلال ثرواتها، ولو شاء لأمر الأرض أن تزلزل، فتبتلع من عَلَى ظهرها وتهلكهم، وهذا إنذار منه - جل وعلا - إن أصروا عَلَى عنادهم وكفرهم.

٧ - من عادة الكفار مع أنبيائهم تكذيبهم، فينزل اللَّه بهم عذابه، وكان الرسول ﷺ يلقى الأذى من قومه، وأراد اللَّه أن يهون عَلَى رسوله الكريم بأن هذه عادتهم، فهل عمي هؤلاء الكفار المعاندون عن آثار قدرة الله، فلم يروا الطيور وهي تطير فِي السماء، تنشر أجنحتها تارة وتضمها تارة، ولا يمنعها من السقوط إلاَّ قدرة اللَّه الخبير.

٨ - إن الكفار الذين يعتمدون عَلَى قوتهم وما لهم من الأنصار والأعوان ما هم إلاَّ غافلون مخدوعون، وإلا فمن الذي يرزقهم من الخلق إن منع اللَّه عنهم رزقه، فمثلهم فِي عبادة الأصنام التي تدل عَلَى جهالتهم كمثل من يسير وجهه إِلَى الأرض، إما لضعف فِي بصره، أو وعورة فِي طريقه فهو يتعثر ويسقط عَلَى وجهه، أفمن هذه حاله من العمى والضلال كمن سار فِي طريق الهدى واستضاء بنور العقل فعبد اللَّه وحده، وأقر بربوبيته، وسار معتدل القامة فِي طريق مستقيم؛ فأي الطريقين أهدى سبيلا، وأقوم طريقا؟؟.

٩ - أقسم اللَّه علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، فقد خلقنا من العدم، وجهزنا بأسباب الهداية، فخلق فينا السمع والبصر والعقل، لقد أفسد الإنسان هذه المواهب، فلم

يقبل ما سمعه من الرسل، ولم يعتبر بما أبصره من هلاك القوم الكافرين، ولم يتأمل قدرة اللَّه وعظمته فِي خلقه، فمن الذي أوجدنا بقدرته وكثرنا فِي الأرض ننتفع بطيباتها، وكان الأولَى أن نشكره عَلَى نعمه، ونعظمه ونقدسه فهو الذي يجمعنا يوم القيامة للحساب، فلنأخذ من دنيانا لآخرتنا، حيث لا ينفع مال ولا بنون، إلاَّ من أتى اللَّه بقلب سليم.

١٠ ـ إن رسالة الرسل التبليغ والإنذار، وكان الكفار حين يحذرهم رسول اللَّه ﷺ عاقبة تماديهم فِي ضلالهم، وما سيلقون من عذاب اللَّه يوم القيامة يقولون للمسلمين ـ عَلَى سبيل الاستهزاء والسخرية ـ: متى يوم القيامة الذي تهددونا بالعذاب فيه؟ فأمر اللَّه رسوله أن يخبرهم أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، ولكن لا يعلمه إلاَّ اللَّه وحده.

١١ ـ حال الكفار حين يرون هذا اليوم عيانًا تعلو وجوههم الكآبة والحزن والحسرة، وتكون وجوههم كوجوه المجرمين حين يقادون إِلَى ساحة الإعدام، ويقال لهم: هذا هو اليوم الذي كنتم تطلبونه فِي الدنيا استهزاء وتستعجلونه، سخرية بدعوة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان كفار قريش يحاولون قتل الرسول، ويقول بعضهم لبعض: انتظروا، فهو لا بد أن ينقضي أجله، وتموت معه دعوته، فشد اللَّه عزيمة الرسول بأن أمره أن يقول الكفار: إن أماتني اللَّه ومن معي من المؤمنين، أو رحمنا بتأخير آجالنا، فهل هذا ينقذكم من عذاب اللَّه يوم القيامة؟

قل لهؤلاء الكافرين: إن الذي أدعوكم إِلَى عبادته هو اللَّه الرحيم بخلقه، وقد آمنا به وحده، وإليه جميع أمرنا يصرفه كيف شاء بعدله وحكمته، وعما قريب تعلمون من منا جاء عن طريق الهداية، ومن اتبع سبيل الغواية، حَتَّى تتم لنا الغلبة عليكم، وتعلو كلمة الإسلام عَلَى كلمتكم.

١٢ ـ لقد منَّ اللَّه عَلَى المشركين بالماء الذي يجري فِي متناول أيديهم، وتحت مواقع أبصارهم، ولو أراد اللَّه تغيّض هذا الماء، حَتَّى يعجزوا عن الوصول إليه، فلا يجدوا منه قطرة تطفئ ظمأهم، أو تروى زرعهم وضرعهم، وهذا من باب التهديد

والإنذار لعلهم يعقلون ويتعظون، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فلنحذر عقوبة الرحمن ولنأخذ العبرة والعظة، بما حدث لمن كذبوا بالرسل من العقاب الأليم، والعذاب الشديد، وأن نداوم الشكر لله رب العالمين في السر والعلانية، وأن نخلص في طاعتنا لله حَتَّى يتقبل اللَّه صالح أعمالنا، فهو نعم المولى ونعم النصير.

* * * * *

سورة «القلم»

نزلت بمكة إلاَّ الآيات من ١٧ - ٣٢، ومن ٤٨ - ٥٠ فقد نزلت بالمدينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ

معاني الكلمات:

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: أقسم بالقلم الذي يكتب به. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وأقسم بما يكتبون.

أسباب النزول

عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول اللَّه ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه، ولا من أهل بيته إلاَّ قال: لبيك، ولذلك أنزل اللَّه - ﷻ -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله - ﷻ -: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ الآية: نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول اللَّه ﷺ فيصيبوه بالعين، فنظروا إليه قوم من قريش، فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حُججِه، وكانت العين في بني أسد حَتَّى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من هذه، فما تبرح حَتَّى تقع بالموت فتنحر. وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به النعم فيقول: ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه فما تذهب إلاَّ قريبًا حَتَّى يسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول اللَّه ﷺ بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فعصم اللَّه - تعالى - نبيه، وأنزل هذه الآية: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

التفسير

﴿نٓ﴾ كقوله «ص، ق»، ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل المراد بقوله: ﴿نٓ﴾ حوت عظيم عَلَى تيار الماء العظيم المحيط، وهو حامل للأرضين

﴿رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع أو منقوص. فستبصر: فستعلم. ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: في أي الفريقين منكم المجنون.

السبع، وعن ابن عباس قال: أوَّل ما خلق اللَّه القلم، قال: اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إِلَى قيام الساعة، ثم خلق النون، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض عَلَى ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض نأثبتت بالجبال، فإنها تنفجر عَلَى الأرض. وعن ابن عباس قال: إن أوَّل شيء خلق ربي ﷻ القلم، ثم قال له: اكتب فكتب ما هو كائن إِلَى أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن أوَّل شيء خلقه اللَّه القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، ثم قال له: اكتب، قال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما يكون ـ أو ما هو كائن ـ من عمل أو رزق أو أثر أو أجل، فكتب ذلك إِلَى يوم القيامة، فذلك قوله ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، ثم ختم عَلَى القلم، فلم يتكلم إِلَى يوم القيامة، ثم خلق العقل، وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك مما أبغضت»، ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به؛ كقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾، فهو قسم منه ـ تعالى ـ وتنبيه لخلقه عَلَى ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ يعني وما يكتبون، وعن ابن عباس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي وما يعملون، وقال السدي: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ يعني الملائكة، وما تكتب من أعمال العباد، وقال آخرون: المراد بالقلم هنا الذي أجراه اللَّه بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام. وقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾؛ أي لست ولله الحمد بمجنون؛ كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون مما

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ۝٦

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾: أحبوا لو تلاينهم وتصانعهم.
﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فهم يلاينونك ويصانعونك.

جئتهم به من الهدى والحق المبين، فنسبوك فيه إِلَى الجنون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؛ أي غير مقطوع؛ أي بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد عَلَى إبلاغك رسالة ربك إِلَى الخلق وصبرك عَلَى أذاهم، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وإنك لعلى دين عظيم؛ وهو الإسلام، عن قتادة: سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قال: كان خلقه القرآن، يقول كما هو فِي القرآن. وقال عطية: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ومعنى هذا أن عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه، وترك طبيعة الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت فِي الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: «أف قط ولا لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ»، وعن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا، ليس بالطويل ولا بالقصير. وعن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط إِلاَّ أن يجاهد فِي سبيل الله، ولا خيّر بين شيئين قط إِلاَّ كان أحب إليه أيسرهما حَتَّى يكون إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إِلاَّ أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم الله - ﷻ -، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقال -

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ﴾

﴿حَلَّافٍ﴾: كيثر الحلف في الحق والباطل. ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير في الرأي والتمييز أو كذاب. ﴿هَمَّازٍ﴾: عياب أو مغتاب للناس. ﴿مَّشَّآءٍ﴾: نقَّال للحديث. ﴿بِنَمِيمٍ﴾: بالنميمة للإفساد. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بخيل ممسك. أثيم: كثير الذنوب. ﴿مُعْتَدٍ﴾: فاحش لئيم، أو غليظ جاف. ﴿زَنِيمٍ﴾: دعي ملصق بقومه، أو شرير.

تعالى ـ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾؛ أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم، قال ابن عباس: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾؛ أي المجنون، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي هو يعلم ـ تعالى ـ أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق.

يقول ـ تعالى ـ كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال مجاهد: تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾، وذلك إن الكاذب لضعفه ومهانته، إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها عَلَى أسماء اللَّه ـ تعالى ـ واستعمالها في كل وقت في غير محلها، «المهين» الكاذب، وقال مجاهد: هو الضعيف القلب، قال الحسن كل حلاف ومكابر مهين ضعيف، وقول ـ تعالى ـ: ﴿هَمَّازٍ﴾؛ يعني الاغتياب، ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾؛ يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين؛ وهي الحالقة، عن ابن عباس قال: مر رسول اللَّه ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، وعن حذيفة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»؛ يعني نمامًا، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾؛ أي يمنع ما عليه وما لديه

﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾

﴿ءَايَٰتُنَا﴾: ما أنزلنا من القرآن. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أباطيهم المسطرة في كتبهم. ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: نكويه ونجعل له سمة؛ أي علامة، سنهينه ونذله غاية الإذلال، و«الخرطوم»: الأنف. ﴿بَلَوْنَٰهُمْ﴾: امتحنا أهل مكة بالقحط. ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: بستان بالقرب من صنعاء. ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: ليقطعن ثمارها بعد الاستواء. ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في وقت الصباح. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: حصة المساكين مخالفين لأبيهم، ولا

من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحل اللَّه له يتجاوز فيها الحد المشروع، ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي يتناول المحرمات، ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع، وعن حارثة بن وهب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم عَلَى اللَّه لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر» الجواظ الجموع المنوع، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تبكي السماء من عبد أصح اللَّه جسمه، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضما، فكان للناس ظلومًا»، قال فذلك: «العتل الزنيم»، والزنيم في لغة العرب، هو الدعي في القوم، وعن ابن عباس في قوله ﴿زَنِيمٍ﴾ قال الدعي الفاحش اللئيم، وسئل عكرمة عن الزنيم، قال: هو ولد الزنا، والخلاصة: أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس، وغالبًا يكون دعيا وولد زنا في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط عَلَى غيره كما جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زنا»، وفي حديث آخر: «ولد الزنا شر الثلاثة إِذَا عمل بعمل أبويه»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يقول ـ تعالى ـ هذا مقابلة ما أنعم اللَّه عليه من المال والبنين كفر بآيات اللَّه ـ ﷻ ـ وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين، قال ـ تعالى ـ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، قال ابن جرير: سنبين أمره بيانا واضحا

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾

يعلقون ذلك عَلَى مشيئة الله. ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا﴾: نزل بها. طائف: بلاء وعذاب «نار محرقة». ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾: كالليل الأسود، أو البستان المصروم. ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ﴾: نادى بعضهم بعضا حين أصحبوا. ﴿ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾: باكروا مقبلين عَلَى ثماركمْ فِي الصباح الباكر. ﴿صَٰرِمِينَ﴾: قاطعين لها.

حَتَّى يعرفوه، ولا يخفى عليهم كما لا يخفى عليهم السمة عَلَى الخراطيم»، وعن ابن عباس: يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف فِي القتال، وقال آخرون: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم، والله أعلم.

هذا مثل ضربه اللَّه - تعالى - لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمعاندة والمحاربة، ولهذا قال - تعالى -: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي اختبرناهم ، ﴿كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾، وهي البستان المشتمل عَلَى أنواع الثمار والفواكه، ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾؛ أي حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير، ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم، ولا يتصدقوا منه بشيء، ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾؛ أي فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم اللَّه فِي أيمانهم فقال - تعالى -: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾؛ أي أصابتها آفة سماوية، ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي كالليل الأسود، أو مثل الزرع إِذَا حصد أي هشيما يبسًا، عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا قد كان هيئ له»، ثم تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ * فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم، ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ﴾؛ أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضًا ليذهبوا إِلَى الجذاذ أي القطع، ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ﴾؛ أي تريدون الصرام، وكان حرثهم غنيا،

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾: يتسارّون بالحديث فيما بينهم. ﴿وَغَدَوْا﴾: ساروا غدوة إِلَى حرثهم. ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: منع وحرمان، عَلَى انفراد عن المساكين. ﴿قَـٰدِرِينَ﴾: عَلَى الـصـرام. ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾: الطريق وما هذه جنتنا؛ أي تائهون. أوسطهم: أحسنهم رأيا،

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾؛ أي يقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم، قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ﴾؛ أي قوة وشدة، وقال مجاهد أي حد، وقال عكرمة: عَلَى غيظ، وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ عَلَى المساكين، وقال السدي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾؛ أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي فِي قوله هذا. ﴿قَـٰدِرِينَ﴾؛ أي عليها فيما يزعمون ويرومون، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾، فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي عَلَى الحالة التي قال اللَّه ـ عز وجل ـ قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إِلَى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي بل هي هذه، ولكن نحن لاحظ لنا ولا نصيب، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ أي أعدلهم وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ أي لولا تستثنون، وكان استثناؤهم فِي ذلك الزمان تسبيحا، قال ابن جرير: هو قول القائل إن شاء الله، وقيل معناه، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ أي هلا تُسبِّحون اللَّه تشكرونه عَلَى ما أعطاكم، وأنعم به عليكم، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينفع الندم، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ﴾؛ أي يلوم بعضهم بعضا عَلَى ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

وأرجحهم عقلا.

﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: هلا تستغفرون الله من فعلكم، وخبث نيتكم.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾: نتوب إِلَى الله.

﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضا عَلَى قصدهم.

﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾: هلا كنا.

﴿طَٰغِينَ﴾: ظالمين. ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: طالبون منه الخير والعفو.

﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المخالفين لرسول الله ﷺ. ﴿مَا لَكُمْ﴾: ماذا أصاب عقولكم.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: كيف تصدرون هذا الحكم المعوج؟.

الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلاَّ الاعتراف بالخطيئة والذنب، ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾؛ أي اعتدينا وبغنيا وطغينا وجاوزنا الحد حتَّى أصابنا ما أصابنا، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾، قيل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا، وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة ، وقد ذكر بعض السلف أن هؤلاء كانوا من أهل اليمن، قال سعيد بن جبير: كانوا من قرية يقال لها خزوان عَلَى ستة أميال من صنعاء، وقيل كانوا من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا عَلَى ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب اللَّه ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة، فلم يبق لهم شيء، قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي هكذا عذاب من خالف أمر اللَّه وبخل بما آتاه اللَّه، وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدَّل نعمة اللَّه كفرًا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟

﴿أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٤١ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ ٣٦

﴿تَدۡرُسُونَ﴾: تقرءون.
﴿تَخَيَّرُونَ﴾: للذي تختارونه وتشتهونه. ﴿لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾: عهود مؤكدة بالإيمان. ﴿لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾: للذي تحكمون به لأنفسكم. ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل بأن يكون لهم ذلك. ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾: كناية عن شدة هول يوم القيامة. ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: ذليلة منكسرة. ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾: يغشاهم ذل وخسران وندامة.

يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم، وعذاب الآخرة أشق، وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ: «أنه نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل».

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ لما ذكر ـ تعالى ـ حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله ـ ﷻ ـ، وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم، التي لا تبيد، ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؟ أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾؛ أي كيف تظنون ذلك؟ ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ * إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾، يقول ـ تعالى ـ أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما لما تدعونه؟ ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾؛ أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة، ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾؛ أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون، ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾؛ أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا، قال ابن عباس يقول: أيهم بذلك كفيل، ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾؛ أي من الأصنام والأنداد، ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ

وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن

﴿سَالِمُونَ﴾: فِي حالة تمكنهم. ﴿فَذَرْنِي﴾: دعني واتركني «تهديد شديد». ﴿الْحَدِيثِ﴾: القرآن. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنأخذهم عَلَى غلفة، سندنيهم من العذاب درجة فدرجة حَتَّى نوقعهم فيه. ﴿مَتِينٌ﴾: شديد لا يطاق. ﴿أَجْرًا﴾: أجرة عَلَى تبليغ الرسالة.

إن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

لما ذكر اللَّه ـ تعالى ـ أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ يعني يوم القيامة، وما يكون فيها من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فِي الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»، وعن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة، وعن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: شدة الأمر، وقال ابن عباس: هي أشد ساعة تكون فِي يوم القيامة، وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؛ يعني عن نور عظيم يخرون له سجدًا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي فِي الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم فِي الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إِلَى السجود فِي الدنيا فامتنعوا فيه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فِي الآخرة إِذَا تجلى الرب ـ عز وجل ـ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا فِي الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون. ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن، وهذا تهديد شديد؛ أي دعني وإياه مني منه، أنا أعلم به كيف

﴿مَغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿مَغْرَمٍ﴾: غرامة يؤدونها. ﴿مُّثْقَلُونَ﴾: مكلفون حِملاً ثقيلا يصعب عليهم حمله وأداؤه. ﴿الْغَيْبُ﴾: ما اختص الله بعلمه. ﴿يَكْتُبُونَ﴾: ينقلون منه. ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: يونس عليه السلام. ﴿نَادَىٰ﴾: دعا ربه. ﴿مَكْظُومٌ﴾: مملوء غيظا في قلبه

استدرجه وأمده في غيه وأنظره، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي عظيم لمن خالف أمري وكذّب رسلي واجترأ عَلَى معصيتي، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ـ تعالى ـ ليملي للظالم حَتَّى إِذَا أخذه لم يفلته»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾!، والمعنى: يا محمد تدعوهم إِلَى الله ـ عز وجل ـ بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله ـ تعالى ـ، وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر، والعناد، والغرض توبيخهم في عدم الإيمان، فإن الرسول ﷺ لا يطلب منهم شيئا من الأجر، والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم عن الإيمان، ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي هل عندهم اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب فهم ينقلون منه أنهم خير من أهل الإيمان فلذلك أصروا عَلَى الكفر، والطغيان؟ وهو استفهام إنكاري الغرض منهم التوبيخ، والله أعلم.

يقول الله ـ تعالى ـ ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد عَلَى أذى قومك لك، وتكذيبهم فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾؛ يعني «ذا النون»؛ وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا عَلَى

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

عَلَى قومه. ﴿تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾: أدركته رحمة. ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾: لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة. ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: فاصطفاه بعودة الوحي إليه. ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: يجعلونك تنزلق وتسقط. ﴿ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن. ﴿ذِكْرٌ﴾: وعظ. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: جميع المخلوقات.

قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه البحر والتقام الحوت له، وشرد الحوت به البحار وظلمات غمزات أليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾، وقال ها هنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، قال ابن عباس: وهو مغموم. وأبو مالك: مكروب، ولما قال: ﴿لا إله .. الظالمين﴾، خرجت الكلمة تحنُّ حول العرش فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاء غريبة فقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا يونس، قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة، قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء، فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»، ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ يعني يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل عَلَى أن العين إصابتها وتأثيرها حَقّ بأمر الله ـ عز وجل ـ، عن ابن عباس عن النبي

ﷺ قال: العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، «وإذا استغسلتم فاغسلوا»، وعنه أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»، وعن سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق ويحضرها الشيطان وحسدا بن آدم»، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين، وعن عبيد بن رفاعة الزرقي قال: قالت أسماء يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال: «نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»، وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين»، وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق»، وعن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتما فقال: يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: «الحسن والحسين أصابتهما عين» قال: صدق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات؟ قال: «وما هن يا جبريل؟» قال: قل اللَّهُمَّ ذا السلطان العظيم والمن القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات التامات، والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن، وأعين الإنس، فقال النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: «عوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾؛ أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون إنه لمجنون؛ أي لمجيئه بالقرآن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أي وما هذا القرآن المعجز إلاَّ موعظة وتذكير للإنس والجن، فكيف ينسب من نزل عليه إِلَى الجنون؟ وقد ختمت السورة ببيان عظمة القرآن، كما بدأها ببيان عظمة الرسول ليتناسق البدء مع الختام فِي أروع بيان وأجمل ختام. والله الهادي إِلَى سواء السبيل.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الجناس الناقص بين لفظي «مجنون، وممنون» لاختلاف الحرف الثاني.

٢ ـ الوعيد والتهديد ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾، وحذف المفعول للتهويل.

٣ ـ صيغ مبالغة «حلاَّف ـ همَّاز ـ مشَّاء ـ منَّاع ـ أثيم وزنيم».

٤ ـ الاستعارة في ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ استعار الخرطوم للأنف؛ لأن أصل الخرطوم للفيل، واستعارته لأنف الإنسان تجعله في غاية الإبداع؛ لأن الغرض الاستهانة به والاستخفاف.

٥ ـ الطباق بين «المسلمين والمجرمين»، وبين «ضل والمهتدين».

٦ ـ جناس الاشتقاق ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

٧ ـ التقريع والتوبيخ، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٨ ـ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ تشبيه مقلوب؛ لأن الأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة؟ فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع.

٩ ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن شدة الهول يوم القيامة.

١٠ ـ السجع المرصع ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾، وهو يكسب الآيات روعة وجمالا.

ما نتعلمه من سورة «القلم»

١ ـ أقسم اللَّه ـ تعالى ـ بالقلم وما يسطره الكاتبون؛ للدلالة عَلَى شرف معرفة القراءة، وما اختلقه الكافرون من جنونه، فهو كذب واختلاق وسيجزيه اللَّه أجرًا عظيمًا؛ لاحتماله أذى الكفار والمشركين.

٢ ـ الرسول ذو خلق عظيم، ولا يمكن أن يتهم بالجنون، وقد نهاه اللَّه سبحانه وتعالى عن طاعة هؤلاء الكفار، وأمره أن يدوام عَلَى الدعوة إِلَى الدين الحق، ولا يبالي بما يوده الكفار من التسامح معهم.

٣ ـ الوليد بن المغيرة كان كثير الحلف بالحق والباطل، ويكثر من إذاعة مقالة السوء، عن النبي ﷺ فِي غيبته وحضوره، وكان ظالما ويهضم حقوق الناس، وكان فظا غليظا الطباع لئيما دنئ الأصل، ونهى اللَّه ـ عَجَّلَ ـ رسوله عليه الصلاة والسلام عن المبالاة بهذا الوليد، وسينكل اللَّه به أشنع تنكيل، ويشوه وجهه أبشع تشويه، وذلك بكبه فِي أشرف موضع بالوجه، الذي هو أشرف شيء فِي الجسم.

٤ ـ فِي قصة أصحاب البستان كثير من العظات والعبر، فقد ندموا أشد الندم عَلَى حرمانهم الفقراء من ثمار البستان، فانتقم اللَّه منهم، وأدركوا خطأهم واستغفروا اللَّه وطلبوا من اللَّه الصفح والغفران، وعزموا عَلَى أن يوفوا الفقراء نصيبهم، وهذا جزاء اللَّه لمن عصاه، ولعذاب الآخرة أكبر، فكذلك عذاب من عاند الرسول عليه الصلاة والسلام واستمر عَلَى الكفر والمعصية من أهل مكة؛ كالوليد بن المغيرة وأمثاله من عصابة قريش، فقد أنعم اللَّه عليهم بالنعم المختلفة، فقابلوها بالجحود والكفران والعصيان.

٥ ـ الإيمان بأن العدل الإلهي يقضي بعذاب الكافرين، وثواب المتقين يوم القيامة، وكيف يكون المطيع والعاصي عند اللَّه سواء؟ ويوم القيامة يدعون إِلَى السجود توبيخًا لهم عَلَى ترك السجود فِي الدنيا فلا يستطيعون من شدة ما أصابهم من الخوف والفزع.

٦ ـ سيأخذ اللَّه الكافرين عَلَى غرة من حيث لا يعلمون، وإذا كان اللَّه سُبْحَانَهُ يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة فإن أمامهم يوم القيامة عذابًا شديدًا، وإذا كان الرسول ﷺ لا يأخذ منهم أجرة عَلَى دعوتهم إِلَى اللَّه الحق فلم هذا العناد؟ هل اطلعوا عَلَى الغيب فهم ينقلون عنه ما ينجيهم من العذاب؟ أم اتخذوا عند الرحمن عهدًا، يضمن لهم الفوز ودخول الجنة مع المتقين الصالحين؟.

٧ ـ أمر اللَّه رسوله الكريم أن يصبر عَلَى ما كلفه إياه من الاستمرار عَلَى تبليغ الرسالة غير مبال بما يصيبه من عنت ومشقة، وألا يكون حاله فِي ضيق الصدر والغضب مما يلاقي كحال يونس ـ عليه السلام ـ حين دعا قومه إِلَى عبادة الله، وكانوا

يعبدون الأصنام فأبوا، فغضب وذهب إِلَى البحر فابتلعه حوت، فدعا ربه وهو محبوس فِي بطن الحوت أن ينقذه مما هو فيه من البلاء، فقبل اللَّه توبته وأخرجه سليمًا من بطن الحوت، وهذا الابتلاء من اللَّه حدث ليونس؛ لأنه خالف أمر ربه، ولم يصبر عَلَى أذى قومه، فعلينا بالصبر عَلَى أذى الكافرين والمشركين اقتداء برسول اللَّه ﷺ.

٨ ـ كان الكفار ينظرون إِلَى رسول اللَّه ﷺ بعين العداوة والبغضاء والحسد حينما يسمعون منه القرآن، حَتَّى يكادوا يزحلقونه ويزلون قدمه من إدامة النظر إليه، ويقولون عنه حسدًا عَلَى ما اختصه اللَّه به من الرسالة: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، وما قرآنه إِلاَّ هذيان يهذي به فِي جنونه، فرد اللَّه عليهم بأن القرآن وحي منزل من عند الله، وإنما هو موعظة وذكرى للناس أجمعين، اللَّهُمَّ وفقنا لقراءة القرآن العظيم حَتَّى يرضى عنَّا رب العزة الكريم.

* * * * *

سورة «الحاقَّة»

نزلت بمكة، وآياتها ٥٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ ﴿٦﴾

معاني الكلمات: ـ

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: الساعة يتحقق فيها ما أنكروه. ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: أي شيء هي في أهوالها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أي شيء أعلمك بها؟. ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾: بالقيامة تقرع القلوب بأفزاعها. ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: الصاعقة الشديدة الوقع. ﴿صَرْصَرٍ﴾: شديدة البرد والصوت. ﴿عَاتِيَةٍ﴾: شديدة العصف. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: سلطها عليهم بقدرته ـ تعالى.

أسباب النزول

أخبرنا عبدالله بن الزبير قال: سمعت صالح بن هيثم يقول: سمعت بريدة يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي، وحق عَلَى الله أن تعي» فنزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.

التفسير

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، ثم ذكر ـ تعالى ـ إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾؛ وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، وقال السدي: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ قال: يعني عاقر الناقة، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾؛ أي باردة، ﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي شديدة الهبوب عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي سلطها عليهم، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ

أَيَّامٍ حُسُومًاۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ

﴿حُسُومًا﴾: متتابعات. ﴿صَرْعَىٰ﴾: موتى مطر وحين عَلَى الأرض. ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾: جذوع نخل بلا رءوس. ﴿خَاوِيَةٍ﴾: ساقطة أو فارغة أو بالية. ﴿بَاقِيَةٍ﴾: بقية. ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ﴾: أتى وفعل. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ﴾: قرى قوم لوط، (أهلها). ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: بالفعلات ذات الخطأ الجسيم.

أَيَّامٍ حُسُومًا﴾؛ أي كوامل متتابعات مشائيم، ويسميها الناس الأعجاز، وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء، ويقال أيام العجوز؛ لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سربًا فقتلها الريح في اليوم الثامن والله أعلم. ﴿خَاوِيَةٍ﴾ خربه أو بالية؛ أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا عَلَى أم رأسه فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذَا خرت بلا أغصان، وفي الصحيحين عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهكلت عاد بالدبور»، وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما فتح اللَّه عَلَى عاد من الريح التي هلكوا به إلاَّ مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأي ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح، وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم عَلَى أهل الحاضرة. وعن مجاهد: الريح لها جناحان وذنب، ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾؟؛ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم، أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل اللَّه لهم خلفًا، ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾، قرئ بكسر القاف؛ أي ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط، وقرأ آخرون بفتحها؛ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له، وقوله - تعالى -: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ﴾؛ وهم المكذبون بالرسل، ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾؛ وهي التكذيب بما أنزل اللَّه. قال الربيع: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾؛ أي بالمعصية، وقال مجاهد: بالخطايا، ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، وهذا جنس؛ أي كل كذب رسول اللَّه إليهم، كما

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾

﴿رَّابِيَةً﴾: زائدة في الشدة.
﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: زاد وتجاوز حره.
﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾: سفينة نوح عليه السلام. ﴿تَذْكِرَةً﴾: عبرة وعظة.
﴿وَتَعِيَهَآ﴾: تحفظها. ﴿نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: الصور البوق؛ أي أعلم الناس بيوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾، ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فكلما جاء إِلَى كل أمة رسول واحد عصوه، ولهذا قال: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾؛ أي عظيمة شديدة أليمة مهلكة، ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾؛ أي زاد عَلَى الحد بإذن اللَّه، وارتفع عَلَى الوجود، وقال ابن عباس وغيره: طغى الماء كثر وذلك بسبب دعوة نوح ـ عليه السلام ـ عَلَى قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير اللَّه، فاستجاب اللَّه له، وعم أهل الأرض بالطوفان إلاَّ من كان مع نوح بالسفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾؛ وهي السفينة الجارية عَلَى وجه الماء، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي وأبقينا لكم من جنسها ما يركبون عَلَى تيار الماء في البحار كما قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ۝٤٢﴾، وقال قتادة: أبقى اللَّه السفينة حَتَّى أدركها أوائل هذه الأمة والأول أظهر، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾؛ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية، قال ابن عباس: حافظة سامعة، وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عقلت عن اللَّه فانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه، وقال الضحاك: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت؛ أي من له سمع صحيح وعقل رجيح.
حدثنا علي بن حوشب سمعت مكحولا يقول: لما نزل عَلَى رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال رسول اللَّه ﷺ: «سألت ربي أن يجعلها أذن علي»، قال مكحول:

نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ

﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾: النفخة الأولى لخراب العالم تليها أخرى عند البعث. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾: اضطربت ورفعت من أمكانها بأمرنا. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: ضرب بعضها في بعض، وصارتا كتلة واحدة. ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾: قامت القيامة. ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: اختل نظام الكواكب، تفطرت وتصدعت من الأهوال.

فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا قط فنسيته، وعن بريدة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي».

يقول - تعالى - مخبرًا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات، ومن في الأرض إلاَّ ما شاء اللّه، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي هذه النفخة، وقد أكدها هنا بأنها واحدة؛ لأن أمر اللّه لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إِلَى تكرار ولا تأكيد. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾؛ أي فمدت وتبدلت الأرض غير الأرض، ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾؛ أي قامت القيامة، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾، عن علي قال: تنشق السماء من المجرة؛ كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾، قال ابن عباس: متخرقة والعرش بحذائها، ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ﴾؛ أي الملائكة عَلَى أرجاء السماء، قال ابن عباس: عَلَى ما لم به منها؛ أي حافاتها، وقال الضحاك: أطرافها، ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ﴾ يقول الربيع بن أنس: عَلَى ما استدق من السماء ينظرون إِلَى أهل الأرض، وقوله - تعالى -: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾، عن سعيد بن جبير قال: ثمانية صفوف من الملائكة، وعن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة، وقوله - تعالى -: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾؛ أي تعرضون عَلَى عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من

وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ

﴿وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة متداعية. ﴿وَالْمَلَكُ﴾: الملائكة. ﴿أَرْجَائِهَا﴾: نواحيها مفردها: رجا. ﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾: الأصل فيه سرير ربك، والمراد بيان عظمة ذي الجلال. ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾: ثمانية من الملائكة. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء. ﴿خَافِيَةٌ﴾: أي حالة كنتم تحاولون سترها. ﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: أعطي صحيفة أعماله بيمينه.

أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، قال عمر بن الخطاب ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي: فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»، ويخبر ـ تعالى ـ عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾؛ أي خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾؛ أي هاكم اقرءوا كتابيه، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، حين نجا من فضيحته يوم القيامة، وفي الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتَّى إذَا رأى أنه هلك قال الله ـ تعالى ـ: «إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا عَلَى ربهم، ألا لعنة الله عَلَى الظالمين، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي قد كنت موقنا أن هذا اليوم كائن لا محالة، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي مرضية،

﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا

﴿هَآؤُمُ﴾: خذوا أو تعالوا.
﴿ظَنَنتُ﴾: علمت وتيقنت.
﴿رَّاضِيَةٍ﴾: راضين صاحبها.
﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾: ثمارها قريبة التناول إذ تجنى.
﴿أَسْلَفْتُمْ﴾: قدمتم.
﴿الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي رفيعة قصورها حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها، عن أبي سلام الأسود: قال سمعت أبا أمامة قال: سأل رجل رسول اللَّه ﷺ هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: نعم: إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إِلَى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إِلَى الأعلين تقصر بهم أعمالهم، وقد ثبت فِي الصحيح: «إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم عَلَى سريره، وعن سلمان الفارسي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يدخل الجنة إلاَّ بجواز: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من اللَّه لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية»، وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾؛ أي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم، وامتنانا وإنعاما وإحسانا، وإلا فقد ثبت عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «اعملوا أن أحدًا منكم لن يدخله عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه، قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني اللَّه برحمة منه وفضل».

هذا إخبار عن حال الأشقياء إِذَا أعطي أحدهم كتابه بشماله فحينئذ يندم غاية الندم، ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾؛ يعني موته لا حياة بعدها، قال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء فِي الدنيا أكره إليه منه، ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي لم يدفع عني مالي، ولا

مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ

جاهي عذاب اللَّه وبأسه فعندها يقول اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾؛ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفًا من المحشر فتغله؛ أي تضع الأغلال في عنقه ثم توردِه إِلَى جهنم فتصليه إياها؛ أي تغمره فيها، وقال الفضيل بن عياض: إِذَا قال الرب ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه، ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي اغمروه فيها وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾، قال ابن عباس: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ تدخل في أسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي لا يقوم بحق اللَّه عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلْقه ويؤدي حقهم، فإن لله عَلَى العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وللعباد بعضهم عَلَى بعض حق الإحسان والمعاونة عَلَى البر والتقوى، ولهذا أمر اللَّه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾، قال قتادة: هو شر طعام أهل النار، وقال الضحاك: هو شجرة في جهنم، وعن عكرمة عن ابن عباس قال: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم، وقال علي بن أبي طلحة عنه: الغسلين: صديد أهل النار، وليس له اليوم من ينقذه من عذاب اللَّه ـ تعالى ـ لا حميم؛ وهو القريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له هاهنا إِلاَّ من غلسين.

ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: أقسم أنه ليس الأمر كما تقولونه أيها الكفار عَلَى محمد.

يقول ـ تعالى ـ مقسمًا لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة عَلَى كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم، إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله عَلَى عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ يعني محمدًا ﷺ أضافه إليه عَلَى معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل، ولهذا أضافه في سورة التكوير إِلَى الرسول الملكي، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾، وهذا جبريل عليه السلام، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾؛ يعني محمدًا ﷺ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ يعني أن محمدًا رأى جبريل عَلَى صورته التي خلقه اللَّه عليها، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾؛ أي بمتهم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، فأضافه اللَّه تارة إِلَى قول الرسول الملكي، وتارة إِلَى الرسول البشري؛ لأن كلا منهما مبلغ عن اللَّه ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

عن شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول اللَّه ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إِلَى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾

وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾: إن القرآن، يبلغه عن الله أوحى إليه.

﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾: المراد بقلة الإيمان هنا نفيه عنهم.

﴿كَاهِنٖۚ﴾: من يدعى علم الغيب.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾: اختلق وافترى علينا. ﴿ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾: الأكاذيب.

﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾: اليد اليمنى، أو بالقوة. ﴿ٱلۡوَتِينَ﴾: الشريان الواصل بين القلب والرأس إذا قطع

أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، قال: فقلت: كاهن، قال: فقرأ، ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى آخر السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله ـ تعالى ـ مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾؛ أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة، أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾، لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل لأخذنا بيمينه، ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه، وقال محمد بن كعب: هو القلب ومراقه ومايليه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾؛ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله ـ عز وجل ـ مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٥) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٦) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٧) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٨) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥٠) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥١)﴾ (٥٢)

مات صاحبه. ﴿عَنْهُ﴾: عن النبي.
﴿حَاجِزِينَ﴾: دافعين وحامين. مانعين الهلاك عنه.
﴿لَحَسْرَةٌ﴾: ندمة عظيمة.
﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾: حق لا شك فيه.
﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: نزهه عما لا يليق به - تعالى.

القاطعات، ثم قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ يعني القرآن، ثم قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾؛ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن، ثم قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، قال ابن جرير: إن التكذيب حسرة عَلَى الكافرين يوم القيامة، ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾؛ أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك ولا ريب، ثم قال - تعالى -: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم، ولله الحمد والثناء الجزيل.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢)﴾ إطناب الغرض منه التهويل والتعظيم.
٢ - التفصيل بعد الإجمال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، ثم فصل بقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ﴾ الآية زيادة في البيان.
٣ - ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تشبيه مرسل مجمل، ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.
٤ - ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ استعارة مكنية، شبه الماء بإنسان يطغى، ثم حذف المشبه به، وذكر صفة من صفاته؛ وهي الطغيان عَلَى سبيل الاستعارة المكنية.
٥ - ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، ومثل: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ جناس.

٦ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ قابلها بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾، وهي مقابلة بديعة.

٧ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ طباق السلب.

٨ ـ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ لفظ اليمين كناية عن القوة والقدرة.

٩ ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات.

ما نتعلمه من سورة «الحاقة»

١ ـ عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة، وذكرت ما أصاب الأمم السابقة من الهلاك، والأخذ الشديد حين كذبوا، مثل ثمود وعاد، فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة متمردة، سلطها اللَّه عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كفرت بالأفعال ذات الخطأ الفاحش العظيم فأخذهم اللَّه بعقابه الشديد حين كذبوا رسلهم.

٢ ـ تحدثت عن النفخ في الصور وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغيير والزوال، وما يكون بعد ذلك من العرض للحساب، وبشرت أصحاب اليمين بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم، وأنذرت أصحاب الشمال بالعذاب الأليم.

٣ ـ الرسول الكريم ﷺ كان صادقًا أمينًا فيما بلغه عن ربه، وأن القرآن لحق ثابت لا ريب فيه.

٤ ـ أمر اللَّه الكريم رسوله ﷺ بأن يداوم عَلَى ذكره في الغدو والأصال، وألا يعبأ بقول الكافرين والمنافقين بأنه شاعر أو كاهن، وأن القرآن تنزيل من رب العالمين أنزله عظة ورحمة للعالمين، للذين يمتثلون أوامر اللَّه ويجتنبون نواهيه.

٥ ـ اللَّه ﷻ يعلم أن منكم مكذبين بالقرآن، وسوف يرون من ألوان العذاب ما تقشعر منه الأبدان، حينئذ يتمنى أن تكون الموتة التي ماتها هي الفاصلة، ولم يبعث

بعدها، لم ينفعه ماله، وزالت عنه قوته، وذهبت صحته، وها هو اليوم يلاقي جهنم، خذوه فاجمعوا يديه إِلَى عقنه، ثم لا تدخلوه إلاَّ نار الجحيم، ثم فِي سلسلة بالغة الطول فاسلكوه؛ أي تدخل السلسلة من أسته وتخرج من فيه، ويشوى فِي نار جهنم كما يشوى اللحم عَلَى السفود.

٦ - هل لنا من عبرة وعظة من أهوال يوم القيامة، وما فيها من كروب وهوان نسأل الله أن يلهمنا الرشاد، ونسير عَلَى الطريق السليم فهو نعم المولى ونعم النصير.

* * * * *

سورة «المعارج»

نزلت بمكة، وآياتها ٤٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

معاني الكلمات: -

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دعا داع عَلَى نفسه. ﴿وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ﴾: نازل بهم. ﴿دَافِعٌ﴾: واق مانع. ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: ذي السموات مصاعد الملائكة، أو الدرجات في العلو والرفعة.

أسباب النزول

قوله - تعالى -: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فدعا عَلَى نفسه، وسأل العذاب، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرًا، ونزل فيه ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا﴾، قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه، ولا ينتفعون به، بل يكذبون به ويستهزءون ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيه أكثر مما لهم، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.

التفسير

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؛ أي دعا داع من كفار مكة لنفسه ولقومه بنزول عذاب واقع لا محالة، والسائل هو: النضر بن الحارث من صناديد قريش وطواغيتها، لما خوفهم رسول الله عذاب الله قال استهزاء: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فأهلكهم الله يوم بدر، ومات شر ميتة، ونزلت الآية بذمه، ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾؛ أي دعا بهذا

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تصعد في تلك المعارج، تتلقى الأوامر والنواهي. ﴿وَالرُّوحُ﴾: جبريل - عليه السلام. ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾: لا شكوى فيه لغيره - تعالى. ﴿يَرَوْنَهُ﴾: يرون العذاب يوم القيامة. ﴿قَرِيبًا﴾: محقق الحصول. ﴿السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: كالمعدن المذاب، أو دردي الزيت، والدردي ما عكر من كل شيء.

العذاب عَلَى الكافرين، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾؛ أي لا راد له إِذَا أراد اللَّه وقوعه، وهو نازل بهم لا محالة سواء طلبوه، أو لم يطلبوه، وإذا نزل العذاب فلن يرفع أو يدفع، ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾؛ أي هو صادر من اللَّه العظيم الجليل، صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة، وتنزل بأمره ووحيه، ثم فصل ذلك بقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي تصعد الملائكة الأبرار وجبريل الأمين الذي خصه اللَّه بالوحي إِلَى اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ -. ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا، قال ابن عباس: هو يوم القيامة جعله اللَّه عَلَى الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، ثم يدخلون النار للاستقرار، والجمع بين هذه الآية وبين قوله - تعالى - في سورة السجدة، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾، أن القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة، وأن هذه المدة الطويلة تخف عَلَى المؤمن حَتَّى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة، عن أبي سعيد قال: قيل لرسول اللَّه ﷺ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف عَلَى المؤمن حَتَّى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾؛ أي اصبر يا محمد عَلَى تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعادًا لوقوعه، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾؛ أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع، ﴿وَنَرَاهُ

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

﴿ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: الصوف المصبوغ ألوانا. ﴿حَمِيمٌ﴾: قريب مشفق، أو صديق. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: يُعَرَّف الأحماء أحماءهم، تعدوهم الله أن ينصر بعضهم بعضا.

﴿ٱلْمُجْرِمُ﴾: الكافر. ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشريته الأقربين المنفصل عنهم. ﴿تُـْٔوِيهِ﴾: تضمه في النسب، أو عند الشدائد.

قَرِيبًا﴾؛ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبًا، وإن كان له أمد لا يعلمه إلاَّ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ولكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾؛ أي تكون السماء سائلة غير متماسكة كالرصاص المذاب، قال ابن عباس: كعكر الزيت، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾؛ أي كالصوف المنفوش، وتكون الجبال متناثرة متطايرة؛ كالصوف المنفوش إِذَا طيرته الريح، قال القرطبي: العهن الصوف الأحمر أو ذو الألوان، شبه الجبال في تلونها ألوان، وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثم عهنا منفوشا، ثم هباء منثورًا، هذه حال السماء والأرض في ذلك اليوم المفزع، أما حال الخلائق فهي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾؛ أي لا يسأل صديق صديقه ولا قريب قريبه عن شأنه، لشغل كل إنسان بنفسه، وذلك لشدة ما يحيط به من الهول والفزع، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي يرونهم ويعرفونهم، حَتَّى يرى الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته، فلا يسأله ولا يكلمه بل يفر منه؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾، قال ابن عباس: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي يعرف بعضهم بعضًا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض، ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾؛ أي يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب اللَّه بأعز من كان عليه في الدنيا من ابن وزوجة وأخ، ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾؛ أي وعشيرته التي كانت تضمه إليها، ويتكل في نوائبه عليها،

جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: جهنم الملتهبة. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: قلاعة للأطراف، أو جلد الرأس. ﴿تَدْعُوا۟﴾: تنادي. ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان. ﴿وَجَمَعَ﴾: جمع المال. ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾: أمسك ماله في وعاء حرصا وتأميلا وبخلًا. ﴿هَلُوعًا﴾: كثير الجزع، شديد الحرص.

بل يتمنى لو يفتدي بجميع أهل الأرض، ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾؛ أي وبجميع من في الأرض من البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب اللَّه، وهيهات أن ينجو المجرم من العذاب، أو ينقذه ذلك من شدة الكرب، ﴿ثُمَّ﴾ للاستبعاد والانكار، يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده، وبذلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ كلا أداة زجر وتعنيف؛ أي لينزجر هذا الكافر الأثيم، وليرتدع عن هذه الأماني، فليس ينجيه من عذاب اللَّه فداء، بل أمهُ جهنم تتلظى نيرانها وتلتهب، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾؛ أي تنزع بشدة حرها جلدة الرأس من الإنسان كلما قلعت عادت كما كانت زيادة في التنكيل والعذاب وخصها بالذكر؛ لأنها أشد الجسم حساسية وتأثرًا بالنار، ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي تنادي جهنم وتهتف بمن كذب بالرحمن وأعرض عن الإيمان، قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح تقول: إليّ يا كافر، إليّ يا منافق، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾؛ أي وتدعو من جمع المال وخبّأه وكنزه في الخزائن والصناديق، ولم يؤد منه حق اللَّه، وحق المساكين، قال المفسرون: والآية وعيد شديد لمن يبخل بالمال، ويحرص عَلَى جمعه، فلا ينفقه في سبيل الخير، ولا يخرج من حق اللَّه وحق المساكين، وقد كان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم سمعت وعيد اللَّه ثم أوعيت الدنيا أي جمعتها من حلال وحرام!!!

﴿مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ﴾

﴿ٱلشَّرُّ﴾: الضرر. ﴿جَزُوعًا﴾: كثير الجزع والأسى، قليل الصبر. ﴿مَنُوعًا﴾: شديد البخل، كثير المنع والإمساك. ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾: المستجدي. ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المحتاج المتعفف عن السؤال.

يقول ـ تعالى ـ مخبرًا عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، ثم فسره بقوله، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾؛ أي مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾؛ أي إِذَا حصلت له نعمة من اللَّه بخل بها عَلَى غيره، ومنع حق اللَّه ـ تعالى ـ فيها، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «شر ما في رجل: شح هالع وجبن خالع»، ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلاَّ من عصمه اللَّه ووفقه وهداه إِلَى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾، قيل معناه: يحافظون عَلَى أوقاتها وواجباتها، وقيل المراد بالدوام السكون والخشوع، وهذا يدل عَلَى وجوب الطمأنينة في الصلاة، فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم عَلَى صلاته؛ لأنه لم يسكن فيها، ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب، فلا يفلح في صلاته، وقيل: المراد بذلك الذين عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه، عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إِلَى اللَّه أدومها وإن قل» قالت: وكان رسول اللَّه ﷺ: «إذا عمل عملا داوم عليه، وقال قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾، ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنه خلق للمؤمنين حسن، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾؛ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ

هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ

﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، يوم القيامة. ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون، استعظاما لله - تعالى.

﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: غير مضمون دفعه.

﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾: ملازمون للعفة. ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: ما ملكوا من الإماء والجواري. ﴿ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾: تجاوز الحلال إِلَى الحرام.

﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾؛ أي خائفون وجلون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾؛ أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن اللَّه أمره إلاَّ بأمان من اللَّه تبارك وتعالى، وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾؛ أي يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فِي غير ما أذن اللَّه فيه، ولهذا قال - تعالى -: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾؛ أي من الإماء، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فمن ابتغى وراء ذلك فهم العادون؛ أي فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فقد تعدى حدود اللَّه، وعرض نفسه لعذاب اللَّه، قال الطبري: «من التمس من فرجه منكحًا سوى زوجته أو حلل يمينه ففاعلوا ذلك هم العادون، والذين تعدوا حدود ما أحل اللَّه لهم إِلَى ما حرمه عليهم، فهم الملومون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾؛ أي يؤدون الأمانات ويحفظون العهود، فإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾؛ أي يشهدون بالحق عَلَى القريب والبعيد، ولا يكتمون الشهادة، ولا يغيرونها بل يؤدونها عَلَى وجهها الكامل بحيث تصان به حقوق الناس ومصالحهم، وخصها بالذكر مع إندراجها فِي الأمانات تنبيهًا عَلَى فضلها؛ لأن فِي إقامتها إحياء للحقوق، وفي تركها تضييع للحقوق، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، هذا هو الوصف الثامن من أوصاف المؤمنين الذي وفقهم اللَّه إِلَى تطهير نفوسهم من خلق الهلع المذموم؛ أي يراعون شرائط الصلاة، ويلتزمون آدابها

﴿ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ﴾

﴿ٱلْعَادُونَ﴾: المعتدون. ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾: ما اؤتمنوا عليه من حقوق العباد. ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: مواثيقهم. ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظون. ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾: يؤدون الشهادة عَلَى وجهها ولا ينكرونها. ﴿فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾: يدخلون دار الكرامة؛ وهي الجنة. ﴿قِبَلَكَ﴾: نحوك وجهتك. ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين، مادي أعناقهم إليك. ﴿عِزِينَ﴾: جماعات، جمع عِزَه، متفرقين.

ولا سيما الخشوع، والتدبر ومراقبة اللَّه فيها، وإلا كانت حركات صورية لا يجني العبد ثمرتها، فإن فائدة الصلاة أن تكف عن المحارم، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، ولما كانت الصلاة عمود الإسلام بولغ في التوكيد فيها فذكرت في أوَّل الخصال الحميدة وفي آخرها؛ ليعلم مرتبتها في الأركان التي بني عليها الإسلام، قال القرطبي: ذكر اللَّه ـ تعالى ـ من أوصافهم في البدء ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم قال في الختم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، والدوام غير المحافظةن فدوامهم عليها أن يحافظوا عَلَى أدائها، لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومراقبتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراب المآثم، فالدوام يرجع إِلَى نفس الصلوات، والمحافظة ترجع إِلَى أحوالها، وبعد أن ذكر اللَّه ـ تعالى ـ أوصاف المؤمنين المتقين ذكر مآلهم وعاقبتهم فقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة، والمناقب الرفيعة، مستقرون في جنات النعيم، التي أكرمهم اللَّه فيها بأنواع الكرامات مع الإكرام والإنعام بأنواع الملاذ والمشتهيات،

أَمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ

﴿كَلَّآ﴾: ليس الأمر كما زعموا. ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾: من نطفة مهينة قذرة. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: أقسم ﴿فَلَآ﴾ مزيدة للتأكيد. ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾: مشارق الكواكب ومغاربها. ﴿نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾: نأتي بدلهم بخير منهم.

لاتصافهم بمكارم الأخلاق. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين؛ أي مسرعين نافرين منك، وعن ابن عباس: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، قال: قبلك ينظرون، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ قال العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون، وعن الحسن في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ أي فرقًا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله، ولا في نبيّه ﷺ، وعن جابر بن سمرة، أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال: «ما لي أراكم عزين» قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ حلقا حلقا يسمعون كلامه ويستهزئون بأصحابه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة ـ كما يقول محمد ـ فلتدخلنها قبلهم فنزلت الآية ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ أي جالسين عن يمينك وعن شمالك فرقًا فرقًا وجماعات يتحدثون ويتعجبون؟ ومنه حديث: «ما لي أراكم عزين؟» ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟ استفهام إنكاري مع التقريع والتوبيخ؛ أي أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم؛ أي من هؤلاء الكفار، وقد كذب خاتم المرسلين؟ ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر؛ أي ليس الأمر كما يطمعون فإنهم لا يدخلونها أبدًا، ثم قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي خلقناهم من الأشياء المستقذرة، من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، فمن أين يتشرفون بدخول جنات النعيم قبل المؤمنين، وليس لهم فضل يستوجبون به دخول الجنة، وإنما يستوجب دخول الجنة من أطاع الله.
قال القرطبي: كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا

خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾: بمغلوبين، أو بعاجزين. ﴿فَذَرْهُمْ﴾: فدعهم واتركهم غير مكترث بهم. ﴿يَخُوضُوا۟﴾: ينغمسوا في باطلهم. ﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور. ﴿سِرَاعًا﴾: مسرعين إِلَى الداعي. ﴿نُصُبٍ﴾: أحجار عظموها في الجاهلية شيء منصوب للعبادة. ﴿يُوفِضُونَ﴾: يسرعون. ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ﴾: ذليلة منكسرة، لا يرفعونها. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: تغشاهم مهانة شديدة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ﴾: ذلك يوم القيامة.

خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾؛ أي فأقسم برب مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها، ﴿إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي قادرون عَلَى إهلاكهم، واستبدالهم بقوم أفضل منهم وأطوع لله، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي ولسنا عاجزين عن ذلك، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾؛ أي اتركهم يا محمد يخوضوا فِي باطلهم ويلعبوا فِي دنياهم، واشتغل أنت بما أمرت به، وهو أمر عَلَى جهة الوعيد والتهديد للمشركين.

﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾؛ أي حتَّى يلاقوا ذلك اليوم العصيب الرهيب، الذي لا ينفعهم فيه توبة ولا ندم، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾؛ أي يوم يخرجون من القبور إِلَى أرض المحشر مسرعين، ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾؛ أي كأنهم يسعون ويستبقون إِلَى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها، وشبه حالة إسراعهم إِلَى موقف الحساب، بحالة إسراعهم وتسابقهم فِي الدنيا إِلَى آلهتهم وطواغيتهم، وفِي هذا التشبيه تهكم بهم، وتعريض لسخافة عقولهم، إذ عبدوا ما لا يستحق العبادة، وتركوا عبادة الواحد الأحد، ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي منكسة أبصارهم إِلَى الأرض لا يرفعونها خجلا من الله، ويغشاهم الذل والهوان من كل مكان وعلى وجوههم آثار الذلة

والانكسار. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾؛ أي هذا هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا يهزءون ويكذبون فاليوم يرون عقابهم وجزاءهم.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ بعيدًا وقريبا، وبين اليمين.. والشمال، وبين المشارق والمغارب: طباق.

٢ ـ سأل سائل، وكذلك تعرج المعارج: جناس الاشتقاق.

٣ ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، الروح هو: جبريل من ذكر الخاص بعد العام تنبيهًا بالفضل وتشريفًا له.

٤ ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (٩)﴾ تشبيه مرسل مجمل لحذف وجه الشبه.

٥ ـ ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ذكر العام بعد الخاص، جاء بالعموم بعد الخصوص لبيان هول الموقف.

٦ ـ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾، قابله بقوله، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

٧ ـ ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟ استفهام إنكاري الغرض منه التقريع والتوبيخ.

٨ ـ ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المنى القذر مع النزاهة التامة في التعبير.

٩ ـ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ تشبيه مرسل مجمل لعدم ذكر وجه الشبه، وفي تشبيههم بذلك تهكم منهم، وتعريض بسخافة عقولهم، وتسجيل عليهم بالجهل المشين بالإسراع في عبادة غير من يستحق العبادة.

١٠ ـ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧)﴾ السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات.

ما نتعلمه من سورة «المعارج»

١ ـ تمرد أهل مكة وطغيانهم عَلَى طاعة الرسول ﷺ واستهزائهم بالإنذار والعذاب

الذي خوفوا به، وذكرت مثلا لطغيانهم بما طلبه «النضر بن الحارث»، حين دعا أن ينزل اله عليه وعلى قومه العذاب العاجل؛ ليستمتعوا به فِي الدنيا قبل الآخرة، وذلك مكابرة فِي الجحود والعناد.

٢ ـ من مظاهر يوم القيامة ذلك اليوم الفظيع الذي تنفطر فِيه السموات وتتطاير فيه الجبال فتصير كالصوف الملون ألوانا غريبة.

٣ ـ من طبيعة الإنسان أنه يتسرع إِلَى مشتهاه اتباعًا لهواه، وأنه مفرط فِي الهلع والفزع، فإن مسه خير شحت به نفسه، وإن نزل به شر اشتد له قلقه، فإنه يجزع عند الشدة، ويبطر عند النعمة، ويمنع حق الفقير والمسكين.

٤ ـ استثنى اللَّه من ذلك الخلق الذميم أصنافا من البشر، وهم الذي جمعوا مع الإيمان صالح الأعمال، وفضائل الأخلاق، وقد أعد اللَّه لهم من عظيم الأجر فِي جنات الخلد والنعيم.

٥ ـ يطمع الكفرة المستهزئون بالرسول، وما جاء به فِي دخول جنات النعيم، وهيهات هيهات، وقد توعدهم المولى ـ عز وجل ـ بالذلة والمهانة، والعذاب الشديد يوم القيامة.

٦ ـ أقسم اللَّه جل علاه عَلَى أن الجزاء والبعث حق لا ريب فيه، وعلى أن اللَّه قادر عَلَى أن يخلق خيرًا منهم يطيعونه ويعبدونه، ويوم القيامة يرى الكافرون الذلة والمهانة جزاء تكذيبهم للرسول، وعدم إيمانهم بالبعث والثواب والعقاب.

٧ ـ علينا أن نتخلص من أهوائنا ونشكر اللَّه عَلَى جزيل عطائه، وألا نحرم اليتامى والمساكين مما رزقنا اللَّه به، وأن نتمسك بمكارم الأخلاق، ونتبع الرسول فيما جاء به من التنزيل عسى اللَّه أن يتقبلنا، وأن نكون فِي جنات النعيم.

٨ ـ من الإيمان ألا تجزع إِذَا مسك ضر، وإذا حصلت لك نعمة من الله، فلا تمنع حق اللَّه فيها من صدقة وزكاة، إِذَا فعلت ذلك هداك اللَّه إِلَى الخير ويسر لك أسبابه، وكنت من أصحاب النعيم، والله الهادي إِلَى سواء السبيل.

* * * * *

سورة «نوح»

نزلت بمكة، وآياتها ٢٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن

معاني الكلمات: ـ

﴿أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: حذرهم عاقبة كفرهم. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عذاب مؤلم موجع. ﴿نَذِيرٌ﴾: مبلغ ومحذر ومخوف. ﴿مُّبِينٌ﴾: موضح رسالتي لكم.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾: اجعلوا إيمانكم وقاية لكم من عذابه.

التفسير

يقول ـ تعالى ـ مخبرًا عن نوح ـ عليه السلام ـ أنه أرسله إلَى قومه آمرًا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع الله عنهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي بيِّن النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه؛ أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾؛ أي إذًا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ﴿مِّن﴾ قيل إنها بمعنى عن تقريره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير، وقيل: إنها للتبعيض؛ أي يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم عَلَى ارتكابكم إياها الانتقام، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث «صلة الرحم تزيد العمر»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فإنه إذًا أمر ـ تعالى ـ

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان. ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتٌ قدره الله. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾: وقت مجيء عذابه إن لم يؤمنوا. ﴿جَآءَ﴾: جاء وقته. ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾: ينفذ طبقا لمشيئة الله. ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ليتكم تستعملون عقولكم. ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: في جميع الأوقات. ﴿فِرَارًا﴾: هربًا مني، وإعراضا عن الإيمان والطاعة.

يكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

اشتكى نوح إِلَى ربه - ﷻ - ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إِلاَّ خمسين عامًا، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي كلما دعوتهم ليتقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾؛ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه، ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ عن ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم، وقال سعيد بن جبير: غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول، ﴿وَأَصَرُّواْ﴾؛ أي استمروا عَلَى ما هم عليه من الشرك والكفر العظيم الفظيع، ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾؛ أي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له.

قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾؛ أي جهرة بين الناس، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾؛ أي كلامًا ظاهرًا بصوت عال، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾؛ أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾؛ أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتولوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك، ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ

دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: سدوا آذانهم حَتَّى لا يسمعوا قولي. ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾: غطوا رءوسهم بثيابهم حَتَّى لا يروني، كراهة لي. ﴿وَأَصَرُّواْ﴾: تشددوا وثبتوا عَلَى الكفر. ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: تكبروا عن إتباعي. ﴿جِهَارًا﴾: بأعلى صوتي. ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: اطلبوا منه الصفح عما فرط منكم.

ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾؛ أي متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء؛ لأجل هذه الآية، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد عَلَى الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يتنزل بها المطر، وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾؛ أي إِذَا تبتم إِلَى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم مَن بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين؛ أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إِلَى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؛ أي عظة، وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته؛ أي لا تخافون من بأسه ونقمته، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قيل معناه: من نطفة ثم علقه ثم من مضغة قاله ابن عباس، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؟؛ أي واحدة فوق واحدة، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ﴾

﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر. ﴿مِّدْرَارًا﴾: غزيرا متتابعًا. ﴿وَيُمْدِدْكُم﴾: يعطيكم ويعينكم. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين. ﴿لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لا تخافون عظمة الله. ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: حالات مختلفة، نطفة فعلقة فمضغة فعظاما ولحما.

والكسوفات، فإن الكواكب السبعة السيارة يكف بعضها بعض فأدناها القمر في السماء الدنيا، وهو يكف ما فوقه، وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشترى في السادسة، وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب؛ وهي الثوابت ففي فلك ثان يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي. والفلك التاسع؛ وهو الأطلسي والأثير عندهم الذي حركته عَلَى خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إِلَى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إِلَى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إِلَى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة، والمقصود أن الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجا عَلَى حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجًا وفاوت نوره فتارة يزداد حَتَّى يتناهى، ثم يشرع في النقص حَتَّى يستتر ليدل عَلَى مضي الشهور والأعوام، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي خلقكم وأنشأكم من الأرض كما يخرج النبات، وسلكم من تراب الأرض كما يسل النبات منها قال المفسرون لما كان إخراجهم وإنشاؤهم إنما يتم بتناولهم عناصر الغذاء

﴿ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا﴾

﴿سَمَٰوَٰتٖ﴾: ما ارتفع من الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب في مداراتها. ﴿طِبَاقٗا﴾: طبقات في العلو والارتفاع بعضها فوق بعض كل سماء مقببة عَلَى الأخرى. ﴿فِيهِنَّ﴾: في السموات. ﴿نُورٗا﴾: منورا لوجه الأرض في الظلام. ﴿ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾: مصباحا مضيئا يمحو الظلام؛ مثل: السراج في إزالة الظلمة. ﴿أَنۢبَتَكُم﴾: أنشأكم. ﴿يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾: يقبركم في الأرض بعد الموت. ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾: يبعثكم بعد الموت. ﴿بِسَاطٗا﴾: كالبساط، وقد بسطها الله للخلائق ينتقلون فيها. ﴿لِّتَسۡلُكُواْ﴾: لتقطعوا وتسيروا. ﴿سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾: طرق، فجاجا: جمع فج، وأصله: الطريق

الحيوانية والنباتية المستمدة من الأرض كانوا من هذه الجهة مشابهين للنباتات التي تنمو بامتصاص غذائها من الأرض، فلذا سمي خلقهم وإنشاؤهم إنباتا، أو يكون ذلك إشارة إِلَى خلق أدم حيث خلق من تراب الأرض، ثم جاءت منه ذريته، فصح نسبتهم إِلَى أنهم أنبتوا من الأرض، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾؛ أي إِذَا متم، ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾؛ أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أوَّل مرة، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾؛ أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات، ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾؛ أي خلقها لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها واقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح ـ عليه السلام ـ عَلَى قدرة اللّه وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق جعل السماء بناء والأرض مهادا، وأوسع عَلَى خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له، ولا عديل له، ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير.

فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

الواسع بين الجبلين.

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ﴾: واتبعوا رؤساءهم، المغترين بكثرة أموالهم وأولادهم. ﴿وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: الذين لا يزيدهم اعتزازهم بهم إلاَّ وبالاً وضلالاً وغدرًا ولؤما. ﴿وَمَكَرُوا﴾: دبروا تدبيرًا سيئا. ﴿كُبَّارًا﴾: عظيما بالغ الغاية في الكبر، وهو تكذيبهم نوحًا، وإيذاؤه هو ومن معه. ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: لا تتركن أصنامكم. ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: أصنام عبدوها ثم انتقلت إلَى العرب، فكان «ودٌّ» لكلْب و«سواع» لهذيل، و«يغوث» لغطفان، و«يعوق» لهمدان، و«نسر» لآل ذي الكلاع من حمير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ أي إنهم بالغوا في تكذيبي وعصيان أمري، ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي واتبعوا أغنياءهم ورؤساءهم، الذي أبطرتهم الأموال والأولاد فهلكوا وخسروا سعادة الدارين، فصاروا أسوة لهم في الخسارة، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾؛ أي مكر بهم الرؤساء مكرًا عظيمًا متناهيًا في الكبر، قال الألوسي: ﴿كُبَّارًا﴾ مبالغة في الكبر؛ أي كبيرًا في الغاية، وذلك احتيالهم في الدين، وصدهم الناس عنه، وإغراؤهم وتحريضهم عَلَى أذية نوح عليه السلام، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾؛ أي ولا تتركوا عَلَى وجه الخصوص هذه الأصنام الخمسة، «ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا»، وهذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمهم عندهم، ولذا خصوا بالذكر، وهذا من شدة كفرهم، وفرط تفننهم في المكر والاحتيال، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ أي وقد أضل كبراؤهم خلقا وناسا كثيرين، بما زينوا لهم من طرق الغواية والضلال، ثم دعا عليهم بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾؛ أي ولا تزدهم يا رب عَلَى طغيانهم وعدوانهم إلاَّ ضلالا فوق ضلالهم، قال المفسرون: دعا عليهم لما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بقوله: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ فاستجاب الله دعاءه وأغرقهم،

﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا﴾

﴿دَيَّارًا﴾: أحدًا يدور ويتحرك في الأرض مقيما في أي دار.

ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾؛ أي من أجل ذنوبهم وإجرامهم وإصرارهم عَلَى الكفر والطغيان، أغرقوا بالطوفان، وأدخلوا النيران، وهذا من كلام اللَّه ـ تعالى ـ إخبارا عنه أمرهم و«ما» في «مما» زائدة للتأكيد، وقدم هذا المجرور للتأكيد أيْضًا؛ ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطاياهم؛ وهي الكفر وسائر المعاصي، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾؛ أي لم يجدوا من ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب اللَّه، قال أبو السعود: وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون اللَّه ـ تعالى ـ، وأنها غير قادرة عَلَى نصرهم وتهكم بهم، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ أي لا تترك أحدًا عَلَى وجه الأرض من الكافرين ﴿دَيَّارًا﴾ من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار؛ أي ما فيها أحد، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾؛ أي إنك إن أبقيت منهم أحدًا، أضلوا عبادك عن طريق الهدي، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ أي ولا يأتي من أصلابهم إلاَّ كل فاجر وكافر، قيل: كيف عرف نوح ذلك؟ قلنا: بالاستقراء فإنه لبث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عاما، فعرف طباعهم وجربهم، وكان الرجل ينطلق بابنة إليه ويقول: يا بني احذر هذا فإنه كذاب، وإني أبي أوصاني بمثل هذه الوصية، فيموت الكبير وينشأ الصغير عَلَى ذلك، فلذلك قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، ولما دعا عَلَى

﴿فَاجِرًا﴾: مقيما عَلَى المعاصي.
﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾: لأولادي وأزواجهم.
﴿تَبَارًا﴾: هلاكًا ودمارًا.

إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

الكفار أعقبه بالدعاء للمؤمنين فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، بدأ بنفسه ثم بأبويه ثم عمم لجميع المؤمنين والمؤمنات؛ لكيون ذلك أجمع وأبلغ، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾؛ أي ولا تزد يا رب من جحد بآياتك وكذب رسلك إلاَّ هلاكا وخسارًا في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - «أعلنت - وأسررت»، وبين «جهارا - وإسرارا»، وبين «ليلا - ونهارًا»، وبين «يعيدكم - ويخرجكم»: طباق يفيد التأكيد.

٢ - ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ مجاز مرسل، والمراد رءوس الأصابع، فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء.

٣ - ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ استعارة تبعية شبه إنشاءهم وخلقهم في أدوار بالنبات الذي تخرجه الأرض، واشتق من لفظ النبات أنبتكم عَلَى طريق الاستعارة التبعية.

٤ - ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ ذكر المصدر للتأكيد والإطناب.

٥ - ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ ذكر الخاص بعد العام.

٦ - ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ذكر العام بعد الخاص إطناب؛ وهو من المحسنات البديعية.

٧ ـ السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات؛ مثل: «مدرارا، أنهارا، وقارا، أطوارا».

ما نتعلمه من سورة «نوح» الكريمة

١ ـ عنيت السورة الكريمة بأصول العقيدة، وتثبيت قواعد الإيمان، وقد تناولت تفصيلاً قصة «نوح» عليه السلام، من بدء دعوته حَتَّى نهاية حادثة الطوفان؛ التي أغرق اللَّه بها المكذبين من قومه؛ ولهذا سميت سورة «نوح»، وفي السورة بيان لسنة اللَّه ـ تعالى ـ فِي الأمم التي انحرفت عن دعوة اللَّه، وبيان لعاقبة المرسلين، وعاقبة المجرمين فِي شتى العصور والأزمان.

٢ ـ أرسل اللَّه نوحا عليه السلام إِلَى قومه، يدعوهم لعبادة اللَّه وحده، وكلفه بتبليغ الدعوة وإنذار قومه من عذاب اللَّه إن خالفوه، ولم يطيعوه.

٣ ـ جاهد «نوح» عليه السلام وصبر وضحى فِي سبيل تبليغ الدعوة، فقد دعا قومه ليلا ونهارًا وسرًا وجهرًا، فلم يزدهم ذلك إلاَّ إمعانا فِي الضلال والعصيان.

٤ ـ استخف قوم «نوح» بدعوة نبيهم، وتمادوا فِي الكفر والضلال والعناد، وذلك بالرغم من إرشاده ونصحه لهم، فدعا عليهم، وأهلكهم اللَّه بالطوفان.

٦ ـ لقد مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إِلَى الله، فما لانت قلوبهم، ولا انتفعت بالتذكير والإنذار، واستدل العلماء عَلَى عذاب القبر بقوله ـ تعالى ـ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾، قالوا: المراد بها نار القبر وعذابه؛ لأنه ـ تعالى ـ عطف بالفاء، والفاء تفيد الترتيب مع التعقيب، ونار الآخرة لم يذوقوها بعد، فدل عَلَى أنه المراد عذاب القبر.

٧ ـ يجب عَلَى المؤمنين أن يدعوا اللَّه جل وعلا بدعاء نوح عليه السلام، ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، بدأ بنفسه ثم بأبويه، ثم عمم لجميع المؤمنين والمؤمنات؛ ليكون ذلك أبلغ وأجمع، ويستجيب الدعاء بهذه الصيغة المباركة، فقد استجاب اللَّه لدعاء نوح بها، والله أعلم.

* * * * *

سورة «الجن»

نزلت بمكة، وآياتها ٢٨ آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ

معاني الكلمات: -

﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: أعلمني الله خُفْيه، وألهمني. ﴿نَفَرٞ﴾: جماعة بين الثلاثة والعشرة. ﴿قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾: كتابا مقروءًا بديعا بليغًا. ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾: يدعوا إِلَى الحق والصواب، والإيمان والتوحيد. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾: فصدقناه أنه من عند الله، واهتدينا به. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: جلالة، أو سلطانه، أو غناه، أمر ربنا العظيم. ﴿صَٰحِبَةٗ﴾: زوجة.

التفسير

يقول - تعالى - آمرًا رسول ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه، وانقادوا له فقال - تعالى -: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾؛ أي إِلَى السداد والنجاح، ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾، وهذا المقام شبيه بقوله - تعالى -: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، قال المفسرون: استمعوا إِلَى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر، ولم يشعر بهم ولا باستماعهم، وإنما أخبر به الرسول بواسطة الوحي بدليل قوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾، والغرض من الإخبار عن استماع الجن، توبيخ وتقريع قريش والعرب في كونهم تباطئوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيرًا منهم وأسرع إِلَى الإيمان، فإنهم حين سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به، ورجعوا إِلَى قومهم منذرين بخلاف العرب الذي نزل بلسانهم فإنهم كذبوا واستهزءوا وهم يعلمون أنه كلام معجز، وأن محمدًا أمي لا يقرأ ولا يكتب، وشتان ما بين موقف الإنس والجن!!! ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى

وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ

﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: جاهلنا «إبليس اللعين». ﴿شَطَطًا﴾: قولا مفرطًا في الضلال بعيدًا عن الحق مجاوزًا للصواب. ﴿يَعُوذُونَ﴾: يستجيرون، ويطلبون النجاة.

ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي يهدي هذا القرآن إِلَى الحق والرشاد، والصواب فصدقناه، ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾؛ أي ولن نعود إِلَى ما كنا عليه من الشرك، ولن نجعل لله شريكا بعد اليوم من خلقه، قيل: وفي الآية دليل عَلَى أن أولئك النفر كانوا مشركين، ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي تعالت عظمة ربنا وجلاله، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾؛ أي ليس له زوجة ولا ولد؛ لأن الزوجة تتخذ للحاجة، والولد للاستئناس، والله ـ تعالى ـ منزه عن النقائص، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾؛ أي وإن الأحمق الجاهل فينا كان ينسب إِلَى الله ما لا يليق بجلاله وقدسيته، ويقول قولا شططا بعيدًا عن الحق، وحد الاعتدال، قال مجاهد: «السفيه هو إبليس دعاهم إِلَى عبادة غير الله»، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي كنا نظن أن أحدًا لن يكذب عَلَى الله ـ تعالى ـ لا من الإنس ولا من الجن فِي نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به وعلمنا أنهم كانوا يكذبون عَلَى الله فِي ذلك؛ لأنهم قبل أن يسمعوه كانوا يحسبون أن إبليس صادق، فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبًا فسموه سفيها، ﴿شَطَطًا﴾؛ أي جورا أو ظلما كبيرًا، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم ﴿سَفِيهُنَا﴾ اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا، ولهذا قالوه، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾؛ أي قبل إسلامه، ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾؛ أي باطلا وزورًا وبهتانا، والله أعلم.

قبل مبعث النبي ﷺ كان الرجل من العرب إِذَا نزل بواد أو مكان قفر، أو أراد المبيت فيه، نادى بأعلى صوته، يا عزيز هذا الوادي، إني أعوذ بك من سفهاء قومك اعتقادا

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن﴾

﴿رَهَقًا﴾: ذلة وخوفا، وطغيانًا وإثما وسفها. ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: طلبنا بلوغ السماء، واستماع أخبارها. ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾: صادفناها مملوءة، بملائكة أشداء تمنعنا من استراق السمع. ﴿وَشُهُبًا﴾: كواكب محرقة. ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: مواضع كنا نقعد فيها

منه أن كبير الجن في هذا الوادي يحميه من سفائهم، وكان ذلك داعيا إِلَى طغيان الجن عَلَى الإنس، واستخفافهم بهم، حَتَّى قالوا: لقد صرنا سادة للإنس، كما زاد الجن والإنس خطيئة وإثما؛ لأن الإنس استعاذت بهم، وطلبوا العون والنجاة منهم، والاستعاذة بغير اللَّه كفر وبهتان، وقد توهم بعض الناس أن الجن يتمثلون فِي صور الإنسان أو الحيوان، أو يلابسون أرواح الرجال والنساء، أو يصيبونهم بأمراض، أو يطلعون عَلَى الغيب، وكل ذلك لم يرد فِي القرآن أو السنة، وهو وهم باطل، واعتقاد فاسد.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي كنا نرى أن لنا فضلا عَلَى الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إِذَا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشا من البراري وغيرهم كما كانت عادة العرب فِي جاهليتها يعوذون بعظيم هذا المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فِي جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا؛ أي خوفا وإرهابًا وذعرًا حَتَّى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم كما قال قتادة، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي إثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون اللَّه رهقهم الجن الأذى عند ذلك.

﴿يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾

لاستراق السمع. ﴿شِهَابًا﴾: شعلة من نار ساطعة. ﴿رَصَدًا﴾: يرصده ويرقبه، لينقض عليه. ﴿أَشَرٌّ﴾: عذاب. ﴿رَشَدًا﴾: خيرًا ورحمة. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ومنا غير الصالحين، أو الكافرون. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ﴾: كنا مذاهب متفرقة، وأديانا مختلفة، جمع طريق؛ وهي المذهب. ﴿قِدَدًا﴾: جمع قدّه، وأصلها القطعة التي تقطع من السير، وقددا: متفرقة. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: وأنا علمنا وأيقنا.

وعن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذًا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي إثمًا، وقال أبو العالية: ﴿رَهَقًا﴾؛ أي خوفا، وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾؛ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا، ويخبر الله ـ تعالى ـ عن الجن حين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديد، وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يعرفوا شيئا من القرآن، فيلقوه عَلَى ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يدري من الصادق؟ وهذا من لطف الله ـ تعالى ـ بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه، ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، وهذا من أدبهم في العبادة، حيث أسندوا الشَّرَّ إِلَى غير فاعل والخير أضافوه إِلَى

أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ

﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾: لن نفوته، ونفلت من سلطانه. ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: القرآن. ﴿بَخْسًا﴾: نقصا في الجزاء. ﴿رَهَقًا﴾: ظلما، وأن يُكَلَّف ما لا يطيق. ﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائرون، الحائدون عن سبيل الهدى.

الله - ﷻ -.. قال السدي: لم تكن تحرس إلاَّ أن يكون في الأرض نبي أو دين الله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمدًا ﷺ نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمدًا ﷺ، وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة، فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصًا علَى القرآن حَتَّى كادت كلاكلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله - تعالى - أمرهم عَلَى رسوله ﷺ، والله أعلم.

يقول - تعالى - مخبرًا عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي غير ذلك، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس وغيره: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ منا المؤمن ومنا الكافر، وكانت

﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾

﴿تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾: قصدوا طريق الحق وتوخوه. ﴿حَطَبٗا﴾: وقودا. ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: اتبعوا طريق الإسلام. ﴿غَدَقٗا﴾: كثيرًا نافعًا. ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾: لنختبرهم: أيشكرون أم يجحدون؟ ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾: يترك طاعة الله، والعمل بكتابه.

مذاهبنا وأدياننا مختلفة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾؛ أي نعلم أن قدرة اللّه حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه فِي الأرض، ولو أمعنا فِي الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحدمنا، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ﴾ يفتخرون بذلك؛ وهو مفخرة لهم وشرف رفيع وصنعة حسنة، وقولهم: ﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾، قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾؛ أي منا المسلم، ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل، ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾؛ أي طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾؛ أي وقودا تُسعّر بهم.

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا * لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ اختلف المفسرون فِي معنى هذا عَلَى قولين: أحدهما: وأن لو استقام القاسطون عَلَى طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها، ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾؛ أي كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وعلى هذا يكون معنى قوله ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾؛ أي لنختبرهم، وعن زيد ين أسلم: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ﴾ لنبتليهم من يستمر عَلَى الهداية ممن يرتد إِلَى الغواية، قال ابن عباس: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾؛ يعني الاستقامة والطاعة، وقال

يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

﴿يَسْلُكْهُ﴾: يدخله. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقا يعلوه ويقلبه فلا يطيقه. ﴿الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾: بيوت العبادة مختصة به. ﴿قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: عزم «محمد ﷺ». ﴿يَدْعُوهُ﴾: يدعو ربه؛ أي يعبده وحده، ويقرأ القرآن. ﴿كَادُوا﴾: كاد الكفار. ﴿عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: متراكمين من ازدحامهم عليه من تلبد الشيء عَلَى الشيء؛ أي تجمع ومفرده لبدة. ﴿أَدْعُو رَبِّي﴾: أعبد ربي.

مجاهد: يعني الإسلام، أو طريقة الحق، قال الضحاك: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي لنبتليهم به، وقال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، والثاني: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الضلال، ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾؛ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾(الأنعام: ٤٤)، وقوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي عذابًا مشقا شديدًا موجعا مؤلما قال ابن عباس: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي مشقة لا راحة معها، وعنه أيضًا: جبل في جهنم، وعن سعيد بن جبير: بئر فيها، قال قتادة: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، قال: كانت اليهود والنصارى إِذَا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر اللَّه نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده، وقال ابن عباس: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلاَّ المسجد الحرام، ومسجد إبلياء بيت المقدس، وقال الأعمش: قالت الجن يا رسول اللَّه ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ الآية، يقول: «صلوا لا تخالطوا الناس»، وقال سعيد بن جبير: نزل في أعضاء السجود؛ أي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره، ويؤيد هذا القول ما قال ابن عباس قال: قال رسول اله ﷺ: «أمرت أن أسجد عَلَى سبعة أعظم؛ عَلَى الجبهة ـ أشار بيده إِلَى أنفه ـ واليدين

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ﴾

﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾: لا أستطيع أن أدفع شرا، أو أسوق لكم نفعا. ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: لا يمنع عني عذابه أحد إن عصيته.

﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ أو حرزًا أركن إليه.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ﴾: لا أملك إلا أن أبلغكم عن الله ما أرسلني به. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من لم يعتقد بواحدانية الله، ولم يصدق برسالة نبيه.

والركبتين وأطراف القدمين، وقوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾، عن ابن عباس يقول: لمَّا سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حَتَّى أتاه الرسول «جبريل» عليه السلام يقرئه، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ يستمعون القرآن، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا، قال لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعيته أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، وقال قتادة في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قال: تلبدت الإنس والجن عَلَى هذا الأمر؛ ليطفئوه فأبى اللَّه إلاَّ أن ينصره ويمضيه ويظهره عَلَى من ناوأه، وهو اختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾؛ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق، واجتمعوا عَلَى عدواته، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾؛ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، واستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي وعبد من عباد اللَّه ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إِلَى اللَّه - عز وجل -، ثم أخبر عن نفسه أَيْضًا أنه لا يجيره من اللَّه أحد؛ أي لو عصيته فإنه لا

نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَـدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَـدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: مقيمين فيها دائما. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: ما ينذرون من العذاب. ﴿نَاصِرًا﴾: عونا وحاميا. ﴿إِنْ أَدْرِىٓ﴾: ما أدري. ﴿أَمَـدًا﴾: غاية وأجلا. ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما لا يستطاع الاهتداء إليه بالحواس أو الفراسة. ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: فلا يطلع.

يقدر أحد عَلَى إنقاذي من عذابه، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي لا ملجأ؛ أي لا نصير ولا ملجأ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ﴾، قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا﴾، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾؛ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلاَّ إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عَلي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ أي أنا أبلغكم رسالة اللَّه فمن يعص بعد ذلك فله جزاء عَلَى ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا؛ أي لا محيد عنها، ولا خروج لهم منها.

قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَـدَدًا﴾؛ أي حَتَّى إِذَا رأي هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا هم أم المؤمنون الموحدون اللَّه ـ تعالى ـ؛ أي بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددًا من جنود اللَّه ـ ﷻ ـ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَـدًا﴾، يقول ـ تعالى ـ آمرًا رسوله ﷺ أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري وقتها أقريب أم

﴿أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَسْلُكُ﴾: يقيم ويبث.
﴿رَصَدًا﴾: حراسا وحفظة.

بعيد، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾؛ أي مدة طويلة، وقد كان ﷺ يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «ويحك إنها كائنة فما أعددت لها»؟ قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «فأنت مع من أحببت»، قال أنس فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾؛ أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾، وقيل: إن الضمير في ليعلم عائد إلى الرسول ﷺ، وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل، ليعلم محمد ﷺ: ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾، وعن قتادة: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها،

وعن ابن عباس قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حَتَّى يتبين الذين أرسل إليهم، وذلك حين يقول: ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقال البغوي: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا، ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا إِلَى اللَّه ـ ﷻ ـ، ويكون المعنى فِي ذلك أن يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ إِلَى أمثال ذلك من العلم بأنه ـ تعالى ـ يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة، ولهذا قال بعد هذا، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ والله المستعان.

«من أسرار إعجاز القرآن الكريم»

١ ـ ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الوصف بالمصدر للمبالغة؛ أي عجيبا فِي حسن إيجازه، وروعة إعجازه.

٢ ـ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ طباق السلب؛ لأن الإيمان نفي للشرك.

٣ ـ ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ﴾ جناس الاشتقاق.

٤ ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ بين لفظ الشر والرشد طباق فِي المعنى، وهو أسلوب رفيع ينسب الخير إِلَى اللَّه دون الشر، أدبا مع الخالق ﷻ.

٥ ـ «الإنس .. والجن»، وبين «خيرا، ورشدا»، وبين «المسلمون والقاسطون» طباق يؤكد المعنى ويقويه.

٦ ـ ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ استعارة لطيفة، استعارة الطرائق للمذاهب المختلفة.

٧ ـ «أحدا، ولدا، رصدا، رشدا .. إلخ» توافق الفواصل فِي أواخر الآيات مراعاة لرءوس الآيات، وتوافق الفواصل فيه من الجرس الموسيقي ما يؤثر فِي النفس، ويساعد عَلَى حفظ آيات اللَّه الكريمة.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - تعالج السورة الكريمة أصول العقيدة الإسلامية، الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء، ويدور محورها حول الجن. وما يتعلق بهم من أمور خاصة بهم، كاستراقهم للسمع ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم عَلَى بعض الأسرار الغيبية، فقد استمع فريق من الجن للقرآن، وتأثروا بما فيه من روعة البيان، حَتَّى آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إِلَى الإيمان.

٢ - لقد مجدت الجن ونزهت الله - ﷻ - عن الشريك، وأفردته سبحانه بالعبادة، وسفهوا من جعل لله ولدا، وهو إبليس اللعين.

٣ - قبل بعثة الرسول كانت الجن تسترق السمع من السماء، ولما بعث محمد ﷺ تعجبوا من هذا الحدث العظيم، لقد وجدوا أن السماء محاطة بالحرس من الملائكة، وكانوا يتخذون مقاعد للسمع، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ نارا محرقة تهلكهم.

٤ - ينقسم الجن إِلَى فريقين: مؤمنين وكافرين، ومآل المسلمين الجنة، ومآل الكافرين النار، فقد دعاهم الرسول ﷺ إِلَى الإيمان فآمنوا، وقد أعلن الرسول استسلامه وخضوعه لله، ويفرده جل وعلا بإخلاص العمل، وأن يتبرأ من الطول والحول.

٥ - اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب، وإحاطته بعلم ما فِي الكائنات، وأن الجن لن يستطيعوا أن يسترقوا السمع، أو يعرفوا من أمر الغيب شيئا، وأن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم من الوحي، وأن علم الله محيط بما عند الملائكة والرسل؛ لأنه من وحيه إليهم فلا يفرطون فِي إبلاغه أو يزيدون أو ينقصون وأنه عَلَى علم بعدد كل شيء، ولا يقع فِي ملكة صغيرة ولا كبيرة إِلاَّ أحصاها. والله أعلم.

* * * *

سورة «المزمل»

نزلت بمكة، ما عدا الآيات ١٠، ١١، ٢٠ فقد نزلت بالمدينة وآياتها عشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾
نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ
وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ

معاني الكلمات: -

﴿ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾: المتزمل، المتلفف في ثيابه. ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾: تهجد فيه وتعبد. ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾: قم ثلثي الليل، أو نصفه، أو ثلثه. ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾: واقرأه في

التفسير

يأمر اللَّه - تعالى - رسوله ﷺ أن يترك التزمل؛ وهو التغطي في الليل، وينهض إِلَى القيام لربه - ﷻ -، وكذلك كان ﷺ ممتثلًا ما أمره اللَّه - تعالى - به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، وههنا بين له مقدار ما يقوم به فقال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، قال السدي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ يعني يا أيها النائم وقال قتادة: المزمل فِي ثيابه، وقال النخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفة، روي فِي الصحيح أن رسول اللَّه ﷺ

لما جاءه جبريل، وهو في غار حراء - في ابتداء الوحي رجع إِلَى خديجة يرجف فؤاده، فقال: زملوني، زملوني، لقد خشيت عَلَى نفسي وأخبرها بما جرى، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؛ أي يا أيها الذي تلفف بقطيفة، واضطجع في زاوية بيته، وقد أشبه من يؤثر الراحة والسكون، ويحاول التخلص مما كلف به من مهمات الأمور، ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ أي دع التزمل والتلفف وانشط لصلاة الليل، والقيام فيه ساعات فِي عبادة ربك، لتستعد للأمر الجليل والمهمة الشاقة، ألا وهي تبليغ دعوة ربك للناس وتبصيرهم بالدين الجديد، ثم وضح المقدار الذي ينبغي أن يصرفه فِي عبادة الله، فقال: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾

مهل وتؤدة، وتبين حروف، وتدبر معان. ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: قرآنا يثقل العمل بشرائعه، وتكاليفه الشاقة. ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: قيام الليل في ساعاته وأوقاته، قياما يتجدد ويتكرر. ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾: أثقل عَلَى المتعبد من ساعات النهار، وأوقاته أكثر موافقة للعبادة، من

﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾؛ أي قم للصلاة والعبادة نصف الليل، أو أقل من النصف قليلا أو أكثر من النصف، والمراد أن تكون هذه الساعات طويلة بحيث لا تقل عن ثلث الليل، ولا تزيد عَلَى الثلثين. قال ابن عباس: إن قيام الليل كان فريضة عَلَى رسول الله ﷺ بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾، ثم نسخ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، وكان بين أول هذا الوجوب ونسخه سنة، وهذه هي السورة التي نسخ آخرها أولها؛ حيث رحم الله المؤمنين فأنزل التخفيف عليهم بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾؛ أي اقرأه عَلَى تمهل فإنه يكون عونًا عَلَى فهم القرآن وتدبره، قالت عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ كان يقرأ السورة فيرتلها حَتَّى تكون أطول من أطول منها، وعن أم سلمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، ومن المستحب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة؛ كما جاء في الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم، وليس منا من لم يتغن بالقرآن»، قال الخازن: لما أمره الله ـ تعالى ـ بقيام الليل اتبعه بترتيل القرآن، حَتَّى يتمكن المصلي من حضور القلب، والتفكر والتأمل في حقائق الآيات ومعانيها، فعند الوصول إِلَى ذكر الله يستشعر بقلبه عظمة الله وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد يجعل له الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والأمثال يحصل له الاعتبار فيستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل عَلَى عدم الوقوف عَلَى المعاني، فظهر

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾

أوقات النهار. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: وأشد قولاً، وأشد استقامة عَلَى الصواب، لحضور القلب، وهدوء الأصوات فيه.

﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾: فارغا طويلا تتصرف فيه في حوائجك، وتتقلب في مهماتك. ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾: اقصد بعملك وجه الله، ودم عَلَى تسبيحه وعبادته.

بذلك أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة، وقد كان رسول الله ﷺ يقطع القراءة حرفًا حرفًا؛ أي يقرأ القرآن بتمهل ويخرج الحروف واضحة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، ثم بعد أن أمره - تعالى - باطراح النوم، وقيام الليل، وتدبر القرآن وتفهمه انتقل إِلَى بيان السبب في هذه الأوامر الثلاثة ذات التكليف الصعب الشاق؛ فقال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، أي سننزل عليك يا محمد كلامًا عظيمًا جليلاً، له هيبة وروعة، وجلال؛ لأنه كلام الملك العلام، قال الإمام الفخر: والمراد من كونه ثقيلا هو عظيم قدره، وجلاله خطره، وكل شيء نفس وعظم خطره فهو ثقيل.

قال ابن عباس: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؛ يعني كلامًا عظيما، وقيل المراد ما في القرآن من الأوامر والنواهي، التي هي تكاليف شاقة ثقيلة عَلَى المكلفين، وكأنه قال: إنما أمرتك بصلاة الليل؛ لأنا سنقلي عليك قولا عظيما، ولا بد أن نصير نفسك مستعدة لذلك القول العظيم، وذلك بصلاة الليل، فإن الإنسان إذا اشتغل بعبادة الله في الليلة الظلماء، وأقبل عَلَى ذكره والتضرع بين يديه، استعدت نفسه لإشراق وجلال الله فيها، وهذا المعنى لطيف في الربط بين قيام الليل، وتلاوة القرآن، فإن الله - تعالى - كلف رسوله أن يدعو الناس إِلَى دين جديد، فيه تكاليف شاقة عَلَى النفس، وأن يكلفهم بشرائعه وأحكامه، ولا شك أن هذا التكليف يحتاج إِلَى مجاهدة للنفس ومصابرة، لما فيه من حملهم عَلَى ترك ما ألفوه من العقائد، ونبذ ما ورثوه من أسلافهم من العادات، فأنت يا محمد معرض لمتاعب كثيرة، وأخطار جمة في سبيل هذه الدعوة، وحمل الناس عَلَى قبولها،

تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾: انقطع إليه وحده بالعبادة، ولا تشغل قلبك بغيره. ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾: فاجعل كل أمورك موكولة إليه.

فكيف يمكنك أن تقوم بهذه المهمة الكبيرة، وأنت عَلَى ما أنت عليه من التزمل والتلفف والخلود إِلَى الراحة والسكون والبعد عن المشاق، ومجاهدة النفس، بطول العبادة وكثرة التهجد ودراسة آيات القرآن دراسة تفهم وتدبر، فانشط من مضجعك إذا، واسهر معظم ليلك فِي مناجاة ربك، واستعد لتحمل مشاق الدعوة، والتبشير بهذا الدين الجديد، ويا لها من لفتة كريمة، تيقظ لها قلب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فشمر عن ساعد الجد والعمل، وقام بين يدي ربه حَتَّى تشققت قدماه، ثم بين الله ﷻ فضل إحياء الليل بالعبادة، فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي إن ساعات الليل وأوقاته التي فيها التفرغ والصفاء، وما ينشئه المرء ويحدث من طاعة وعبادة، يقوم لها من مضجعه بعد هدأة من الليل، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾؛ أي هي أشد عَلَى المصلي وأثقل من صلاة النهار؛ لأن الليل جعل للنوم والراحة فقيامه عَلَى النفس أشد وأثقل، ومن شأن هذه الممارسة الصعبة أن تقوي النفوس، وتشد العزائم، وتصلب الأبدان، ولا ريب أن مصاولة الجاحدين أعداء الله تحتاج إِلَى نفوس قوية وأبدان صلبة، ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾؛ أي أثبت وأبين قولا؛ لأن الليل تهدأ فيه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، فتكون النفس أصغى، والذهن أجمع، فإن هدوء الصوت فِي الليل، وسكوت البشرية أعون للنفس عَلَى التدبر والتفطن، والتأمل فِي أسرار القرآن ومقاصده، ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾؛ أي إن لك فِي النهار تصرفًا وتقلبا واشتغالا طويلا فِي الأعمال والأشغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف فِي أشغالك، وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وبعد هذه المقدمات التي هي بمثابة تمهيد وبساط للدعوة انتقل إِلَى أمر الرسول ﷺ بتبليغ الدعوة، وتعليمه كيفية السير فيها عملا، بعد أن مهدها له نظرًا، فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾؛ أي استعن عَلَى دعوتك بذكر الله ليلا ونهارًا، وانقطع إليه

يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: وتجنب الكافرين، وغض الطرف عنهم وكِل أمرهم إلَى اللـه. ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: دعني وإياهم؛ لانتقم لك منهم. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾: أولي الغنى والترف، ورفاهة العيش. ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: وأمهلهم في ضلالهم مدة حياتهم. ﴿أَنكَالًا﴾: قيودا ثقالا وأغلالا، واحدها: نكل. ﴿وَجَحِيمًا﴾: ونارا شديدة الاتقاد.

انقطاعًا تامًا في عبادتك وتوكلك عليه، ولا تعتمد في شأن من شئونك عَلَى غيره - تعالى -، قال ابن كثير: أي أكثر من ذكره وانقطع إليه - جلا وعلا -، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك مع إخلاص العبادة له، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾؛ أي هو - جلا وعلا - الخالق المتصرف بتدبير شئون الخلق، وهو المالك لمشارق الأرض ومغاربها لا إله غيره، ولا رب سواه، فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه، ومنه قوله - تعالى -: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه. يقول - تعالى - آمرًا رسوله الكريم ﷺ بالصبر عَلَى ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهددًا لكفار قومه ومتوعدًا وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾؛ أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم عَلَى الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؛ أي رويدًا كما قال - تعالى -: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ ولهذا قال هنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾؛ وهي القيود، ﴿وَجَحِيمًا﴾؛ وهي السعير المضطرمة، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي تزلزل،

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ

﴿ذَا غُصَّةٍ﴾: غير سائغ، يقف بالحلق، فلا ينزل ولا يخرج. ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾: تتحرك وتضطرب بمن عليها. ﴿كَثِيبًا﴾: رملا متجمعا. ﴿مَّهِيلًا﴾: رخوة البناء، يزل تحت الأقدام ـ سائلا منهالًا. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾: إنا أرسلنا إليكم بأهل مكة محمدا رسولا. ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: هو موسى ـ عليه السلام ـ أرسله الله إِلَى فرعون. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾: كذبه فرعون ولم يؤمن به. ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾: أهلكناه. ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾: إهلاكًا فيه شدة وعنف بإغراقه في البحر. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾: فكيف تقون أنفسكم من عذاب الله يوم القيامة إن بقيتم عَلَى الكفر.

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾؛ أي تصير ككثبان الرمال بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفًا فلا يبقى منها شيء إلاَّ ذهب حَتَّى تصير قاعًا صفصفًا، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، ﴿عِوَجًا﴾؛ أي واديا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾؛ أي رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض، ولا شيء يرتفع، بل تصير مستوية ليس بها انخفاض أو ارتفاع ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾؛ أي بأعمالكم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾؛ أخذًا وبيلا؛ أي شديدًا فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، يحتمل أن يكون ﴿يَوْمًا﴾ معمولا لتتقون، والمعنى كيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟، ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم، فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن

﴿تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ﴾

﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: تشيب فيه الصبيان من الهول والفزع. ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾: السماء متشققه متصدعة هذا اليوم؛ لشدته، ولم يقل منفطرة؛ لأن السماء تذكر وتؤنث. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾: كان وعد الله بالقيامة حاصلا لا شك فيه. ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: تقرب إليه بسلوك سبيل التقوى. ﴿تَقُومُ﴾: تتعبد وتتهجد. ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقل. ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾: وتتعبد نصفه وثلثه.

كفرتم، وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه، وكلاهما معنى حسن، ولكن الأول أولى، ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾؛ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾؛ أي بسببه من شدته، وهوله، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾؛ أي كان وعد هذا اليوم مفعولا؛ أي واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي السورة، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي يتذكر بها أولوا الألباب، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي ممن شاء الله ـ تعالى ـ هدايته كما قيده في السورة الأخرى، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾؛ أي تارة هكذا وتارة كهذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون عَلَى المواظبة عَلَى ما أمركم به من قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا، وهذا من هذا، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾؛ أي الفرض الذي أوجبه عليكم، ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي من غير تحديد الوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة؛ كما

﴿ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾: ويقوم هذا المقدار جماعة من أصحابك. ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾: والله وحده يعلم مقادير الليل والنهار عَلَى حقيقتها. ﴿لَّن تُحۡصُوهُ﴾: لن تعرفوا حقيقته. ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: فأعفاكم من فرض قيام الليل، تيسيرًا عليكم. ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾: فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وقرآن الفجر﴾؛ أي صلاته. ﴿يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يسافرون للتجارة ونحوها. ﴿يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: يطلبون العلم، أو كسب المال من التجارة. ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾: يجاهدون لنشر دين الله.

في قوله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي بقراءتك، ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾؛ ولأن القراءة أحد أجزاء الصلاة، قال ابن عباس: سقط عن أصحاب رسول الله قيام الليل، وصارت تطوعا، ويعني ذلك فرضًا عَلَى رسول الله ﷺ، والحكمة من هذا التخفيف قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾؛ أي علم ـ تعالى ـ أنه سيوجد فيكم من يعجزه المرض عن قيام الليل، فخفف عنكم رحمة بكم، ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي وقوم آخرون يسافرون في البلاد للتجارة، يطلبون الرزق وكسب المال الحلال، ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي وقوم آخرون؛ وهم الغزاة المجاهدون يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته ونشر دينه، وكل من هذه الفرق الثلاث يشق عليهم قيام الليل، فلذلك خفف الله عنهم وصار وجوب التهجد منسوخًا في حقهم، ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾؛ أي فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل، واقرءوا في صلاتكم ما تيسر من القرآن، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي وأدوا الصلاة المفروضة عَلَى الوجه الأكمل والزكاة الواجبة عليكم إلَى مستحقيها، قال المسفرون: قلما يذكر الأمر بالصلاة في القرآن إلاَّ ويقرن الأمر معه بالزكاة، فإن الصلاة عماد الدين بين العبد

وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: وأنفقوا طيب المال في الخير مرضاة لله. ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾: تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيرًا مما تركتم في الدنيا.

وربه، والزكاة عماد الدين بينه وبين إخوانه، والصلاة أعظم العبادات البدنية، والزكاة أعظم العبادات المالية، ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي تصدقوا في وجوه البر والإحسان ابتغاء وجه الله، قال ابن عباس: يريد سائر الصدقات سوى الزكاة من صلة الرحم، وقري الضيف وغيرهما، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي شيء تفعلوه من وجوه البر والخير تلقوا أجره وثوابه عند ربكم، ﴿هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؛ أي تجدوا ذلك الأجر والثواب يوم القيامة خيرًا لكم مما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال، فإن الدنيا فانية، والآخرة باقية، وما عند الله خير للأبرار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾؛ أي عظيم المغفرة، واسع الرحمة فأكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الطباق بين ﴿ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ ، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وبين «المشرق ـ والمغرب»، وبين «الليل ـ والنهار».

٢ ـ جناس الاشتقاق، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾.

٣ ـ تأكيد الفعل بالمصدر، ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، زيادة في البيان والإيضاح.

٤ ـ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾، ولو جرى على الأصل لقال: إنا أرسلنا إليهم، والغرض منه التقريع والتوبيخ على عدم الإيمان.

٥ ـ المجاز المرسل: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، أراد به الصلاة، فأطلق اسم الجزء

عَلَى الكل؛ لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة.

٦ ـ ذكر العام بعد الخاص ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ عمم بعد ذكر الصلاة والزكاة والإنفاق ليعم جميع الصالحات.

٧ ـ الاستعارة التبعية ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، شبه الإحسان إِلَى الفقراء والمساكين بإقراض رب العالمين، وهي استعارة لطيفة.

٨ ـ السجع المرصع، ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ إلخ.

ما نتعلمه من السورة الكريمة «المزمل»

١ ـ محور السورة يدور حول الرسول ﷺ فِي طاعته وتبتله وقيامه الليل؛ استعداد لأداء الرسالة التي كلفه الله بها.

٢ ـ السورة الكريمة ابتدأت بنداء الرسول ﷺ نداء لطيفا ينم عن لطف الله ﷻ ورحمته بعبده ورسوله محمد ﷺ الذي كان يجهد نفسه فِي عبادة الله ابتغاء مرضاته، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

٣ ـ تناولت السورة «موضوع ثقل الوحي»، الذي كلف الله به رسوله؛ ليقوم بتبليغه للناس بجد ونشاط، ويستعين عَلَى ذلك بالاستعداد الروحي بإحياء الليل فِي العبادة.

٤ ـ أمرت السورة الرسول ﷺ بالصبر عَلَى أذى المشركين؛ وهجرهم هجرًا جميلاً، إِلَى أن ينتقم الله منهم.

٥ ـ توعد الله المشركين بالعذاب والنكال يوم القيامة؛ حيث يكون فيه من الهول والفزع ما يشيب له رءوس الولدان.

٦ ـ وختمت السورة الكريمة بتخفيف الله عن رسوله وعن المؤمنين من قيام الليل رحمه بهم وبه؛ ليتفرغ الرسول وأصحابه لبعض شئون الحياة، فعلينا أن نقدم الخير ونستغفر الله ابتغاء مرضاته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ لمن استغفره.

سورة «المدثر»

نزلت بمكة، وآياتها ٥٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ

معاني الكلمات:

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: المتلفف في الدثار، وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار: الثوب الذي يلي الجسد. ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: انهض من مضجعك في عزم وتقيم وبلغ الناس رسالتك، وحذرهم عذاب الله، إن لم يؤمنوا.

أسباب نزول سورة «المدثر»

(أ) عن جابر قال: حدثنا رسول الله ﷺ فقال: «جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدًا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو عَلَى العرش في الهواء؛ يعني جبريل ـ عليه السلام ـ ، فقلت: دثروني دثروني، فصبوا علي ماء فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾.

(ب) قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، عن عكرمة عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إِلَى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، وكأنه رق له؛ فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبلَهُ، فقال: قد علمت قريش إني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنّك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إنه لقوله الذي يقول حلاوة، وإنه عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، قال: لا يرضى عنك قومك؛ حَتَّى قال: فدعني حَتَّى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآيات كلها.

﴿فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: وعظم سيدك، واختصه بالتكبير والتعظيم.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: وطهر نفسك من الصفات المذمومة؛ الجزع وقلة الصبر.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرجز: العذاب؛ أي دوام عَلَى ترك ما يسبب العذاب.

(جـ) قال مجاهد: إن الوليد بن المغيرة كان يغشى النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ حَتَّى حسبتْ قريش أنه يسلم، فقال له أبو جهل: إن قريشا تزعم أنك إنما تأتي محمدًا وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما، فقال الوليد لقريش: إنكم ذوو أحساب وذوو أحلام، وإنكم تزعمون أن محمدًا مجنون، هل رأيتموه، «يجن قط، قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أن كاهن، وهل رأيتموه يتكهن قَط: قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر، هل رأيتموه ينطق بشعر قط، قالوا: لا، قال: فتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ قالوا: لا، قالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس؟ فقال: فما هو إِلاَّ ساحر، وما يقوله سحر، فذلك قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ إِلَى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

التفسير

عن ابن عباس يقول: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم عَلَى أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؛ أي شمر عن ساق العزم، وأنذر الناس، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي عظم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، عن عكرمة عن ابن عباس: أنه أتاه رجل فسأل عن هذه الآية، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قال: لا تلبسها عَلَى

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ ذَرْنِي﴾

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: ولا تمن مستكثرا؛ أي لا تعط عطاء تقدر في نفسك أنه كثير، ولا تعط طالبًا الكثير عوضا عنه. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: واصبر لأجل رضا ربك عَلَى مشقات النبوة، وطاعة الله وأذى المشركين. ﴿نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: نفخ في البوق يوم القيامة. ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: فذلك اليوم-وهو يوم القيامة-يوم شديد. ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: غير سهل ولا لين. ﴿ذَرْنِي﴾: دعني واتركني، وكل أمر الوليد بن المغيرة إلي، أمر للتهديد.

معصية، ولا عَلَى عذره، وعن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي نقي الثياب، وفي رواية فطهر من الذنوب، وعن ابن عباس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: من الإثم، وقال مجاهد: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي طهرها من المعاصي، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله إنه لدنس الثياب، وإذا وفى وأصلح: إنه لمطهر الثياب، وقال سعيد بن جبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، وقلبك ونيتك فطهر، وقال الحسن البصري: خلقك فحسن.

وقوله - تعالى -: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ والرجز: الأصنام فاهجر، وابن زيد: هي الأوثان، والضحاك: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ أي اترك المعصية، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك؛ كقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وقال الحسن البصري: لا تمن بعملك عَلَى ربك تستكثره، وعن مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير، وقال ابن زيد: لا تمن بالنبوة عَلَى الناس تستكثرهم بها تأخذ عليها عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال، والأظهر الأول، والله أعلم. وقوله - تعالى -: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾؛ أي اجعل صبرك عَلَى أذاهم لوجه ربك ﷻ، وقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ الناقور: الصور؛ وهو كهيئة القرن، وعن ابن عباس: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن

﴿وَمَن خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ۝١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ﴾

﴿وَحِيدٗا﴾: مفردًا حين ولادته، لا مال ولا ولد. ﴿مَّمۡدُودٗا﴾: مبسوطًا كثيرًا. ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾: أبناءه حاضرين معه في كل مجتمع، يعتز بهم. لا يفارقونه للتكسب لغناهم عنه. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾: وهيأت له نعمتي المال والجاه. ﴿كَلَّآۖ﴾: لن يكون له ما يريد. ﴿عَنِيدٗا﴾: معاندًا للنبي، منكرًا لما جاء به، مجاهرًا بعدواته. ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: سأذيقه وأحمله عذابا شاقا.

قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله، قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل عَلَى الله توكلنا»، وقوله - تعالى -: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾؛ أي شديد، ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾؛ أي غير سهل عليهم؛ كما قال - تعالى -: ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾، وعن زرارة بن أوفى قاضي البصرة: أنه صلَّى بهم الصبح فقرأ هذه السورة، فلما وصل إِلَى قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ شهق شهقة ثم خرَّ ميتًا - رحمه الله - تعالى.

قال - تعالى -: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾؛ أخرج من بطن أمه وحده لا مال له، ولا ولد، ثم رزقه الله - تعالى -: ﴿مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾؛ أي واسعا كثيرًا، قيل: ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار، وقيل: أرضا يستغلها، وقيل: غير ذلك، وجعل له ﴿بَنِينَ شُهُودٗا﴾، لا يغيبون أي حضورًا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم، وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم، ويتملى بهم، كانوا ثلاثة عشر، وقال ابن عباس: كانوا عشرة، وهذا أبلغ في النعمة، وهو إقامتهم عنده، ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾؛ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾؛ أي معاندًا وهو الكفر عَلَى نعمه بعد العلم.

﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾

﴿فَكَّرَ﴾: جعل يقلب وجوه الرأي فيما يصف به الرسول. ﴿وَقَدَّرَ﴾: وهيأ في نفسه ما يقوله. ﴿فَقُتِلَ﴾: لعن. ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾: كيف استطاع أن يهيء في نفسه ما يوافق غرض قريش؟ ﴿عَبَسَ﴾: قطب وجهه. ﴿وَبَسَرَ﴾: كلح وجهه، وتغير لونه، وهو أشد من العبوس. ﴿أَدْبَرَ﴾: أعرض عن الحق، وتراجع عنه. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: تعاظم أن يؤمن. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾: ما هذا الذي يقوله «محمد» إلا خديعة، وإظهار الباطل في صورة الحق. ﴿يُؤْثَرُ﴾: يروى وينقل عن غيره. ويتعلم من السحرة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا، قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفًا، ثم يهوي به كذلك فيه أبدًا».

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾، قال: «هو جبل في النار من نار يقلق أن يصعده فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت، وقال قتادة عن ابن عباس: صعودًا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر عَلَى وجهه، وقال السدي: صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها، وقال مجاهد: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾؛ أي مشقة من العذاب، وقال قتادة: عذابا لا راحة فيه، واختاره ابن جرير.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾؛ أي إنما أرهقناه صعودا؛ أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان؛ لأنه فكر وقدر؛ أي تروي ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال، ﴿وَقَدَّرَ﴾؛ أي تروى، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، دعاء عليه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾؛ أي أعاد النظر والتروي، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾؛ أي قبض بين عينيه وقطب، ﴿وَبَسَرَ﴾؛ أي كلح وكره، وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾؛ أي صرف عن الحق، ورجع القهقهري مستكبرًا عن الانقياد للقرآن، فقال: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٤﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٥﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٦﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾: ما كلام محمد ككلام من مارسوا السحر من الناس. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأدخله سقر؛ كي يصلى حرها، وسقر: اسم من أسماء جهنم. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾: كلمة تفظيع؛ أي وما أعلمك أي شيء هي؟ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: تأتي عَلَى كل شيء.

﴿يُؤْثَرُ﴾؛ أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله، ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾؛ أي ليس بكلام الله، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش ـ لعنه الله ـ، عن ابن عباس: قال: دخل الوليد بن المغيرة عَلَى أبي بكر بن أبي قحافة، فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج عَلَى قريش فقال: يا عجبًا لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام، قال: أنا والله أكفيك شأنه، فانطلق حَتَّى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر إِلَى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالا وولدا، فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل عَلَى ابن قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي!!! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلاَّ سحر يؤثر، فأنزل الله عَلَى رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، إِلَى قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.

وقال قتادة: زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بالشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه ليعلو وما يعلى عليه، وما أشك أنه سحر فأنزل الله، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾؛ أي سأغمره فيها من جميع جهاته، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾، وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي تأكل لحومهم وعروقهم، وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك،

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٨﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٢٩﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا﴾ ﴿٣٠﴾

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: مسوّدة للجلود، محرقة لها، والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: يقوم عَلَى جهنم تسعة عشر ملكا، هم الخزنة والرؤساء والنقباء. ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾: خزنة جهنم. ﴿عِدَّتَهُمْ﴾: عددهم تسعة عشر. ﴿فِتْنَةً﴾: امتحانًا وإختبارًا. ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾: ليوقن.

وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي للجلد، وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل، وقال قتادة: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي حراقه للجلد، وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾؛ أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم؛ أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشرة ملكا من الزبانية الأشداء؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، قال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم، قال الألوسي: روي عن ابن عباس أنها لما نزلت: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة ـ يعني محمدا ـ يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهْم؛ أي العدد، الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأسد الجمحي ـ وكان شديد البطش ـ أنا أكفيكم سبعة عشرة فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله، ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾؛ أي خزنتها، ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾؛ أي زبانية غلاظ شداد، وذلك رد عَلَى المشركين من قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم الواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾؛ أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون.

ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾: ولا يشك. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى. ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: في قلوبهم نفاق أو كفر. ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: قالوا في استغراب وإنكار: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلَى امتحان الكفار والمنافقين وارتيابهم واستيقان الكتابيين والمسلمين وإيمانهم.

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: يوضح للناس طريق الخير والشر، ولكلٌ فريق أن يختار.

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارًا منا للناس، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي يعلمون أن هذا الرسول حق فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة عَلَى الأنبياء قبله، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾؛ أي إلَى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد ﷺ، ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي المنافقين، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؛ أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي ما يعلم عددهم وكثرهم إلاَّ هو ـ تعالى ـ؛ لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فَقَطْ؛ كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة، وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة، «فإذا هو يدخل في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم» عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السموات السبع موضع قدم، ولا شبر ولا كف إلاَّ وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة، قالوا

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ

﴿وَمَا هِيَ﴾: وما سقر التي سبق وضعها. ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عظة. ﴿لِلْبَشَرِ﴾: للخلق. ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: ولى وذهب «قسم». ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: أضاء وانكشف «قسم». ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإحدى الدواهي العظيمة «جواب القسم». ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: إلى الخير والطاعة، ومن تأخر عن الطاعة والإيمان عوقب عقابا سرمديًا دائما. ﴿بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة عنده ـ تعالى ـ بعملها. ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾؟: أي شيء أدخلكم؟

جميعًا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلاَّ أنا لم نشرك بك شيئًا»، وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟»، قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله ﷺ: «أسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلاَّ وعليه ملك راكع أو ساجد، إن لله ـ تعالى ـ في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتَّى تقوم الساعة، فإذا قامت رفعوا رءوسهم، ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتَّى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم، قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»، قال عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلاتك».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، وما هي أي النار التي وصفها لكم الجبار

فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾: نشرع في الباطل لا نبالي. ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: بيوم الجزاء والحساب. ﴿الْيَقِينُ﴾: الموت. ﴿حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾: حمر وحشية، شديدة النفار. ﴿قَسْوَرَةٍ﴾: أسد، أو الرماة القنَّص، مفردها: قسور.

إلاَّ موعظة وتذكرة للخلق ليخافوا ويطيعوا.

قال - تعالى -: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾؛ أي ولى، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾؛ أي أشرق، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾؛ أي العظائم يعنى النار، ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾؛ أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي إِلَى الحق، أو يتأخر عنها ويردها.

يقول - تعالى - مخبرًا أن: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾؛ أي!!! معتقلة بعملها يوم القيامة، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾؛ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إِلَى خلقه من جنسنا، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾؛ أي نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاو غوينا معه، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾؛ يعنى الموت؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «أمَّا هو - يعنى عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه؛ أي حَتَّى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات، وإنما أخر التكذيب بيوم القيامة تعظيمًا له؛ لأنه أعظم جرائمهم وأفحشها حَتَّى فاجأهم الموت.

﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: كتبا مبسوطة أمام أنظارهم، تقرأ وتنشر. ﴿كَلَّا﴾: ليرتدعوا من هذا الظن الفاسد. ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾: حقا، إن القرآن موعظة وذكرى. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: فمن أراد ذكره اتعظ واعتبر.

يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

قال ـ تعالى ـ معقبا عَلَى اعترافهم بتلك الجرائم: !!!

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ أي من كان متصفا بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجح إذًا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالدًا فيها، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾؛ أي كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذًا فرت ممن يريد صيدها من أسد، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؛ أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب؛ كما أنزل الله عَلَى النبي ﷺ؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، وعن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بلا عمل، فقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي حقا القرآن تذكرة، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب، عن أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، ثم قال: قال ربكم: أنا أهل أن أتقي،

فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له، والله أعلم.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - «عسير - يسير»: طباق، والمقابلة بين ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾، وبين ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾.

٢ - ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ إطناب زيادة في التوبيخ والتشنيع.

٣ - ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ جناس الاشتقاق.

٤ - ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ تقديم المفعول لإفادة الاختصاص.

٥ - ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾، وبين «يتقدم ويتأخر» طباق.

٦ - ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾؟ تقريع وتوبيخ بطريقة الاستفهام.

٧ - ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ * فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾، تشبيه تمثيلي؛ لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

٨ - ﴿يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾، إيجاز بحذف بعض الجمل؛ أي قائلين لهم: ما سلككم في سقر، فحذف اعتمادًا عَلَى فهم المخاطبين.

٩ - ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾؟ الاستفهام للتهويل والتفخيم.

١٠ - ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ذكر الخاص بعد العام، خصه بالذكر مع أنه داخل في الخوض بالباطل مع الخائضين؛ لبيان تعظيم هذا الذنب.

١١ - ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾، ومثل: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ من السجع المرصع.

ما نتعلمه من سورة «المدثر»

١ - سميت سورة «المدثر»؛ لأنها تتحدث عن بعض جوانب من شخصية الرسول الأعظم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، من باب المؤانسة له ﷺ والتلطف.

٢ - كلف الله ﷻ الرسول بالنهوض بأعباء الدعوة، والقيام بمهمة التبليغ بجد ونشاط

وإنذار الكفار، والصبر عَلَى أذى الفجار حَتَّى يحكم الله بينه وبين أعدائه.

٣ ـ هددت السورة أولئك المجرمين بيوم عصيب شديد لا راحة فهم فيه لما فيه من الأهوال والشدائد.

٤ ـ الوليد بن المغيرة ذلك الشقي الفاجر الذي سمع القرآن وعرف أن كلام الله، ولكنه في سبيل الزعامة وحب الرئاسة زعم أن القرآن من قبيل السحر؛ الذي تعارفه البشر.

٥ ـ وعد الله الكافرين بعذاب أليم في نار جهنم، وعرفهم عن خزنتها الأشداء، زبانيتها الذين كلفوا بتعذيبهم، وهم تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء، لا يقوى عليهم أحد، ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب المقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم فهل من يتعظ؟

٦ ـ أقسم المولى عَجَلَّ بالقمر وضيائه، والصبح وبهائه، عَلَى أن جهنم إحدى البلايا العظام التي لا نظير لها، فكيف يستهزئون بها، ويكذبون، وقد أقسم سبحانه بهذا الأشياء تشريفًا لهم، وتنبيها عَلَى ما يظهر فيها من عجائب الله وقدرته.

٧ ـ الاعتراف الصريح من المجرمين يوم القيامة بأنهم لم يقوموا بأداء الصلاة، ولم يعطفوا عَلَى الفقراء والمساكين، والأدهى والأمر أنهم كانوا لا يصدقون بالبعث والجزاء، ويسألهم المؤمنون، وهم في أعلا درجات الجنة قائلين لهم ما سلككم في سقر؟ وهم في الدرك الأسفل من النار فيقول الكافرون: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾، وفي هذا الحوار ما يدفعنا إِلَى أن نحافظ عَلَى الصلوات، وأن نعطي الفقراء والمحتاجين، وأن نؤمن بالبعث والثواب والعقاب لعل الله أن يتقبلنا.

٨ ـ سبب إعراض المشركين عن الإيمان إمعانهم في الضلالة وإعراضهم عن ذكر الله، وطمع كل فرد منهم أن يكون رسولا يوحى إليه، وهيهات أن يصل الأشقياء إلى مراتب الأنبياء، إنهم قوم لا يصدقون بالبعث والحساب، ولا يؤمنون بالنعيم والعذاب، وهذا هو الذي أفسدهم وجعلهم يعرضون عن مواعظ القرآن، ﴿أَلَا

لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٩ - إن هذا القرآن موعظة بليغة كافية لاتعاظهم لو أرادوا لأنفسهم السعادة، فمن شاء اتعظ به، وانتفع بهداه، وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وترويح عن قلبه الشريف مما كان يخامره من إعراضهم وتكذيبهم، والله جل جلاله أهل لأنه يتقى لشدة عقابه، وأهل لأن يغفر الذنوب لكرمة وسعة رحمته، اللهم ارحمنا بالقرآن، واجعله لنا إمامًا ونورًا ورحمة، وهداية إِلَى طريق الحق والرشاد.

* * * * *

سورة «القيامة»

نزلت بمكة، وآياتها ٤٠ آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ

معاني الكلمات: ـ

﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: الضمير الحي الذي يؤنب صاحبه.

أسباب التنزيل

نزلت في عدي بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف يكون؟ أمرها وحالها، فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولن أومن به، أو يجمع الله هذه العظام!! فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

التفسير

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، إن المقسم عليه إذَا كان منتفيا جاز الاتيان بلا قبل المقسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه هو: إثبات المعاد، والرد عَلَى ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الإجساد، وقد أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة.

عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلاَّ يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي، ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها عَلَى الخير والشر وتندم عَلَى ما فات.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾؟؛ أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر عَلَى إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة، ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾،

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾

﴿بَنَانَهُۥ﴾: البنان أطراف الأصابع. ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: يتمادى في ارتكاب الذنوب، طيلة حياته المستقبلة. ﴿أَيَّانَ﴾: متى؟ والاستفهام بها يكون في موضع التهويل. ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾: زاغ يوم القيامة، ودهش حتَّى لا يرى. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: ذهب ضوؤه.

وقادرين حال من قوله - تعالى -: ﴿نَّجْمَعَ﴾؛ أي: أيظن الإنسان ألا نجمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين عَلَى أن نسوى بنانه؛ أي قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه، وهي أطراف أصابعه مستوية، وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾. عن ابن عباس يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، وقال مجاهد: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليمضي أمامه راكبًا رأسه، وعن سعيد بن جبير هو الذي يعمل الذنوب، ويسوف التوبة، وعن ابن عباس: هو الكافر الذي يكذب بيوم الحساب، لهذا قال بعده: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟؛ أي يقول: متى يكون يوم القيامة، وإنما سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده.

وقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ أي حار أي لا يستقر لهم بصر عَلَى شيء من شدة الرعب، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة، وتخشع وتحار من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله - تعالى -: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾؛ أي ذهب ضوؤه، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، قال مجاهد: كُورًا، وروي عن ابن مسعود: أنه قرأ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؟؛ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر، ويقول: أين المفر؟؛ أي هل من ملجأ، أو موئل، قال الله - تعالى -: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي لا نجاة، ﴿لَا وَزَرَ﴾؛ أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي المرجع والمصير، ثم قال -

يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: أين طريق النجاة؟ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا حصن ولا ملجأ. ﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾: الملجأ. ﴿يُنَبَّأُ﴾: يكشف له عن حاله، فيزن أموره بنفسه. ﴿قَدَّمَ﴾: عمل في حياته من حسن الأعمال وسيئها. ﴿وَأَخَّرَ﴾: وترك من آثار يقتدي الناس بها في خير أو شر. ﴿بَصِيرَةٌ﴾: شاهد وحجة، وبينة من أمره.

تعالى ـ: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾؛ أي هو شهيد عَلَى نفسه، عالم بما قبله، ولو اعتذر وأنكر؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

عن ابن عباس: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول: سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه، وقال قتادة: شاهد عَلَى نفسه، وفي رواية قال: إِذَا شئت والله رأيته بصير بعيوب الناس وذنوبهم، غافلا عن ذنوبه، وكان يقال إن في الإنجيل مكتوبًا يا ابن آدم تبصر القذاه في عين أخيك، وتترك الجذع في عينك لا تبصره.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ قال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصير عليها، وقال قتادة، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه، وقال السدي: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ حجته، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ عن ابن عباس هي: الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾، وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

هذا تعليم من الله عَجَلَّ للرسول ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إِلَى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عَجَلَّ إِذَا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره؛ لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه:

فالحالة الأولى جمعه في صدره.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

﴿مَعَاذِيرَهُ﴾: حججه للدفاع عن نفسه، جمع: معذرة. ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾: لا تتعجل في تحريك لسانك، مرددا ما يبلغك جبريل إياه. ﴿بَيَانَهُ﴾: إظهاره حتَّى تحفظه عن ظهر قلب.

﴿نَّاضِرَةٌ﴾: حسنة جميلة. ﴿بَاسِرَةٌ﴾: عابسة كالحة. فطن: تتوقع. ﴿قُرْءَانَهُ﴾: قراءة جبريل. ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا الفانية.

والثانية: تلاوته.

والثالثة: تفسيره، وإيضاح معناه.

ولهذا قال - تعالى -: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾؛ أي القرآن؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ثم قال - تعالى -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾؛ أي في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾؛ أي أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾؛ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله - تعالى -، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾؛ أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ثم ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾؛ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك، ونوضحه ونلهمك معناه عَلَى ما أردنا وشرعنا.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، قال لي ابن عباس: أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه، وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾، قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾؛ أي فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، وكان بعد ذلك إِذَا نزل جبريل قرأه كما اقرأه، ولفظ البخاري فكان إِذَا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ وكان ﷺ لا يفتر من قراءة القرآن مخافة أن ينساه، فقال الله - تعالى -: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا﴾

﴿نَاظِرَةٌ﴾: متطلعة إِلَى ثوابه، منتظرة. ﴿يُفْعَلَ بِهَا﴾: ينزل بها. ﴿فَاقِرَةٌ﴾: داهية تقصم العمود الفقري.

عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ أي نجمعه لك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أن نقرئك فلا تنسى، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، تبين حلاله وحرامه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾؛ أي إنما يحملهم عَلَى التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ عَلَى رسوله ﷺ من الوحي والقرآن إنهم إنما همتهم إِلَى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة؛ أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أي تراه عيانًا؛ كما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ تعالى ـ في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عيانا»، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة، وفي الصحيحين: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة!! فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟»، قالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كذلك». وعن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إِلَى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عَلَى صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إِلَى الله ﷻ إلاَّ رداء الكبرياء عَلَى وجهه في جنة عدن»، وفي إقرار مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله ـ تعالى ـ تريدون شيئًا أزيديكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا!! ألم تدخلنا الجنة! وتنجنا من النار!!، قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إِلَى ربهم؛ وهي الزيادة ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

وعن جابر قال: إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك، يعنى في عرصات القيامة، ففي هذه

﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا

﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾: وصلت الروح لأعالي الصدر، جمع ترقوة؛ وهي عظمة عند النحر. ﴿مَنْۜ رَاقٖ﴾؟: من ينجيه ويداويه من الموت. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾: الموت الذي يفارق فيه الدنيا، وتأكد من أن الموت نازل به. ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: التوت، أو التصقت؛ أي اشتد

الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إِلَى ربهم ﷻ في العرصات، وفي روضات الجنات.
عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إِلَى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجهه الله كل يوم مرتين، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، قال: تنظر إِلَى الخالق، وحق لها أن تنظر، وهي ناظرة إِلَى الخالق، ﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾، هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة؛ أي كالحة أو عابسة، ﴿ تَظُنُّ﴾ تستيقن، ﴿أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾، داهية، وقال السدي: تستيقن أنها هالكة، وقال ابن زيد: نظن أن ستدخل النار، وهذا المقام كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾، وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾، وقانا الله شر هؤلاء، ومتعنا يوم القيامة بالنظر إِلَى وجهه الكريم، والحمد الله رب العالمين.
يخبر ـ تعالى ـ عن حالة الاحتضار، وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾، إن جعلنا كلا رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بم أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانا، وإن جعلناها بمعنى حقا؛ أي حقا إِذَا بلغت التراقي؛ أي انتزعت روحك من جسدك، وبلغت تراقيك، والتراقي: جمع ترقوه؛ وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، وهي قريبة من الحلقوم، وقيل من راق، قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة، ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾، الأمر العظيم، وقال مجاهد:

﴿صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن﴾

الأمروالهول. ﴿يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾: سوق العباد للجزاء. ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبختر في مشيته اختيالا، ويتناهى بعناده وكفره. ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾: أحق وأجدر بك فقد قاربك ما يهلكك.

بلاء ببلاء، وقال الحسن البصري: هما ساقاك إِذَا التفتا أي ماتت رجلاه، فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوالا. وعن الحسن: هو لفّهما في الكفن. وقال الضحاك: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾؛ المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إِلَى السموات، فيقول الله ﷻ: «ردوا عبدي إِلَى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾، هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير منه باطنًا ولا ظاهرًا، وقوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي يختال ويتبختر جذلان أشرا بطرا كسلانا لا همة له، ولا عمل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾. وقوله: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾، وهذا تهديد ووعيد أكبر من الله ـ تعالى ـ للكافر به المتبختر في مشيه؛ أي يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك؛ كما يقال في مثل هذا عَلَى سبيل التهكم والتهديد، ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ عن قتادة أنه قال: قوله: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾، وعيد عَلَى إثر وعيد، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ

يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملا فلا يكلف ولا يجازي. ﴿نُطْفَةً﴾: جزء قليل من السائل الحقير. ﴿مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾: يصب في الرحم. ﴿عَلَقَةً﴾: قطعة دم متجمد. ﴿فَسَوَّىٰ﴾: فعدله وكلمه ونفخ فيه الروح، وجعلها جميلة متناسبة الأجزاء.

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾، فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا غيرك شيئًا، وإني لأعز من مشي بين جبليها!!! عنادا وكفرًا وطغيانًا منه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي لا يبعث ـ أو لا يؤمر ولا ينهى ـ؛ أي ليس يترك في الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشورًا إِلَى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا: إثبات المعاد والرد عَلَى من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال ـ تعالى ـ مستدلا عَلَى الإعادة بالبراءة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾؛ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، ﴿يُمْنَىٰ﴾ يراق من الأصلاب في الأرحام، ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي فصار علقة ثم مضغة، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سويًا سليم الأعضاء ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر عَلَى أن يعيده كما بدأه.

عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إِلَى أخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا عَلَى ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فانتهى إِلَى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، فليقل: آمنا بالله».

وعن قتادة قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إِذَا قرأ قال: سبحانك، وبلى.

اللهم اجعلنا من المصدقين المؤمنين بقدرتك وعظمتك وجلالك، ووفقنا لما أمرتنا به، فأنت القادر عَلَى كل شيء، وإليك المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إِلاَّ بالله العلي العظيم.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ «قدم ـ أخر، صدق وكذب» طباق يوضح المعنى ويقويه.

٢ ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾؟ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؟ استفهام إنكاري الغرض منه التوبيخ والتقريع.

٣ ـ ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الغرض من الاستفهام الاستبعاد والإنكار.

٤ ـ «بنانه ـ بيانه» جناس غير تام؛ لاختلاف بعض الحروف.

٥ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾، مقابلة بين نضارة وجوه المؤمنين، وكلاحة وجوه المجرمين.

٦ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ مجاز مرسل عبر بالوجه عَلَى الجسم كله، وذلك من إطلاق الجزء وإرادة الكل عَلَى طريق المجاز المرسل.

٧ ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾، التفات من الغيبة إِلَى المخاطب تقبيحا وتشنيعا.

٨ ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ توافق الفواصل، ويسمى بالسجع المرصع، وهذا من خصائص القرآن الكريم وإعجازه، وبه من الجرس الموسيقي والإيقاع ما يجعله سهل الحفظ، قوي التأثير في نفوس سامعيه.

ما نتعلمه من سورة «القيامة»

١ ـ سميت سورة «القيامة»؛ لأنها تعالج موضوع البعث والجزاء الذي هو أحد أركان الإيمان، وتركز بوجه خاص عَلَى القيامة وأهوالها، والساعة وشدائدها، وعن حالة

الإنسان عند الموت، وما يلقاه الكافر في الآخرة من المصاعب والمتاعب.

٢ - أن البعث حق لا ريب فيه، ويوم القيامة يخسف القمر، ويتحير البصر ويجمع فيه الخلائق والبشر للحساب والجزاء.

٣ - كان ﷺ يجهد نفسه عند نزول الوحي عليه من ربه، وكان جبريل عليه السلام أمينا عَلَى الوحي، فعلم الله ﷻ الرسول طريقة تلقي الوحي عن جبريل فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه، واستجاب الرسول لما دعاه إليه ربه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إِذَا أتاه جبريل عليه السلام أطرق واستمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله ﷻ.

٤ - ينقسم الناس في الآخرة إِلَى فريقين: سعداء وأشقياء؛ فالسعداء وجوههم مضيئة تتلألأ بالأنوار ينظرون إِلَى الرب جل وعلا، والأشقياء وجوههم مظلمة قاتمة يعلوها الذل والقترة.

٥ - عند الاحتضار تكون الأهوال والشدائد، ويلقي الإنسان من الكرب والضيق ما لم يكن في الحسبان، ولا ينفعه طبيب يعالج، ولا راق يرقيه، ومصيره مرهون بعمله، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، فادع الله بهذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق والسمعة والرياء»، فإذا خلص القلب من هذه الصفات: الشقاق والنفاق والسمعة والرياء أتى ربه بقلب سليم.

٦ - علينا أن نؤمن إيمانا صادقًا بالحشر والمعاد والجنة والنار والحساب والجزاء، فقد أثبتت البراهين النقلية والعقلية عَلَى قدرة الله وإحياء الموتى يوم القيامة؛ كما قال - تعالى -: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ والله الحافظ المعين.

* * * * *

سورة «الإنسان»

نزلت بالمدينة، وآياتها ٣١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

معاني الكلمات: ـ

﴿هَلْ﴾: قد.

أسباب النزول

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.
قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ نوبة أَخَّر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير، ليلة حَتَّى أصبح، وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئًا؛ ليأكلوا يقال له الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى إليه مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت هذه الآية.

التفسير

في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾؟
يقول ـ تعالى ـ مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾، ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؛ أي أخلاط والمشج والمشِج: الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ يعنى ماء الرجل وماء المرأة إِذَا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إِلَى

﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾

﴿نُّطْفَةٍ﴾: قليل من السائل. ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط ممتزجه متباينة الصفات مفردها مشج. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: مبتلين له، بالتكاليف فيما بعد نختبره ونمتحنه. ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: ذا سمع وذا بصر، أو ذا عقل وإدارك. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: بينا له طريق الهداية والضلال. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: مقدرا نعمتنا عليه. ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: جاحدًا للنعمة، حائدا عن طريق الهداية والرشاد. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا

طور، وحال إِلَى حال، ولون إِلَى لون، وهكذا، ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾؛ أي نختبره، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؛ أي جعلنا له سمعا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي بيناه ووضحناه وبصرناه به؛ كقوله جل وعلا، ﴿وهديناه النجدين﴾؛ أي بيينا له طريق الخير وطريق الشر.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب عَلَى الحال من الهاء في قوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، تقديره: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد.

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها، أو معتقها»، وعن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء»، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم عَلَى ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم، ولا يردون عَلَى حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم عَلَى ظلمهم فأولئك منى، وأنا منهم وسيردون عَلَى حوضي يا كعب بن عجرة: الصوم جُنَّة والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربات، أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب: الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها».

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود

﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾

وهيأنا. ﴿سَلَٰسِلَا﴾: بها يقادون وفي النار يسحبون. ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾: بها تجمع أبدانهم إِلَى أعناقهم ويقيدون. ﴿وَسَعِيرًا﴾: نار موقدة. ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾: الأخيار الصادقين الأتقياء. ﴿كَأْسٍ﴾: خمر، أو زجاجة فيها خمر. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: شرابها ممزوج بالكافور الطيب الرائحة. ﴿عَيْنًا﴾: ماء عين أو خمر عين. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: يشرب منها، أو يرتوي بها. ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يجرونها حَيْثُ شاء من منازلهم، أو يخرصون ماءها حَيْثُ شاءوا في سهولة.

يولد عَلَى الفطرة حَتَّى يعرب عنه لسانه، إما شاكرا وإما كفورا».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من خارج يخرج إلاَّ ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حَتَّى يرجع إِلَى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حَتَّى يرجع إِلَى بيته».

يخبر - تعالى - عما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير والحريق في نار جهنم، ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من العبر قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة مع ما يضاف إِلَى ذلك من اللذاذة في الجنة.

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها، ولهذا ضمن يشرب معنى يروي حَتَّى عداه بالباء، ونصب عينا عَلَى التمييز، قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور، وقال بعضهم هو من عين كافور، وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوبا بيشرب، وهذه الأقوال الثلاثة لابن جرير.

يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا

﴿بِٱلنَّذۡرِ﴾: كل فعل أوجبه الإنسان عَلَى نفسه.

﴿مُسۡتَطِيرٗا﴾: منتشرًا فاشيا غاية الانتشار.

وقوله - تعالى -: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾، يقودونها حَيْثُ شاءوا، وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع، وقوله - تعالى -: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾؛ أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أجبوه عَلَى أنفسهم بطريق النذر، عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه»، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير؛ أي منتشر عام عَلَى الناس إلاَّ من رحِم الله، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حَتَّى ملأ السموات والأرض.

وقوله - تعالى -: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، قيل: عَلَى حب الله - تعالى -، وجعلوا الضمير عائدًا إِلَى الله ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد عَلَى الطعام؛ أي ويطعمون الطعام فِي حال محبتهم وشهوتهم له.

وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر؛ أي فِي حال محبتك للمال وحرصك عليه، وحاجتك إليه، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾، أما المسكين: فهو الفقير الذي لا يملك من طعام الدنيا شيئا، ﴿وَيَتِيمٗا﴾ وهو من مات أبوه، وهو صغير، ﴿وَأَسِيرًا﴾؛ وهو من أسر فِي الحرب من المشركين، وكان رسول الله ﷺ يؤتي بالأسير، فيدفعه إِلَى بعض المسلمين، ويقول له: أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره عَلَى نفسه، نبه - تعالى - إِلَى أن أولئك الأبرار مع حاجتهم إِلَى ذلك الطعام فِي سد جوعتهم وجوعة عيالهم يطيبون نفسا عنه للبؤساء، ويؤثرون عَلَى أنفسهم؛ كقوله - تعالى -:

﴿نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى﴾

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾: تكلح فيه الوجوه لهوله. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديد العبوس مظلمًا. ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾: حفظهم. ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾: أعطاهم. ﴿نَضْرَةً﴾: أعطاهم حسنا وبهجة في الوجوه. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾: حالين في الجنة، وهي حال من «هم» في جزاهم.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه، ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي لا نبغي من وراء هذا الإحسان مكافأة، ولا نقصد الحمد والثناء منكم.

قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي إنما نفعل ذلك رجاء أن يقينا الله هول يوم شديد، تعبس فيه الوجوه من فظاعة أمره، وشدة هوله، وهو يوم قمطريرا؛ أي شديد عصيب.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾؛ أي حماهم الله ودفع عنهم شر ذلك اليوم وشدته، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾؛ أي وأعطاهم نضرة الوجه وسرورا في القلب، والتنكير في ﴿وَسُرُورًا﴾ للتعظيم والتفخيم، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي وأثابهم بسبب صبرهم عَلَى مرارة الطاعة والإيثار بالمال جنة واسعة وألبسهم فيها الحرير وأشار ﷻ بقوله: ﴿جَنَّةً﴾إلى ما يتمتع به أولئك الأبرار في دار الكرامة من أصناف الفواكه والثمار، والمطاعم والمشارب الهنيئة فإن الجنة لا تسمى جنة إلاَّ وفيها كل أسباب الراحة، وأشار بقوله ﴿وَحَرِيرًا﴾ إلى ما يتمتعون به من أنواع الزينة واللباس التي من أنفسها وأغلاها عند العرب: الحرير فقد جمع لهم أنواع الطعام والشراب واللباس، وهو قصارى ما تتطلع إليه نفوس الناس.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي مضطجعين في الجنة عَلَى الأسرة

ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الأسرة المفرد أريكة.

﴿شَمْسًا﴾: حرا شديدا.

﴿زَمْهَرِيرًا﴾: بردًا شديدًا.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾: قريبة منهم ظلال أشجارها. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾: قربت ثمارها لتناولها. ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: أقداح بلا عرى. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾: كالزجاجات في الصفاء، أوعية رقيقة لها بياض الفضة، وصفاء الزجاج؛ وهي جمع قارورة. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: قدرها الغلمان عَلَى قدر حاجة الطاعمين والشاربين.

المزينة بفاخر الثياب والستور، قال المفسرون: ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهي السرير ترخى عليه الحجلة، والحجلة هي ما يسدل عَلَى السرير من فاخر الثياب والستور، وإنما خصهم بهذه الحالة؛ لأنها أتم حالات المتنعم لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا؛ أي لا يجدون فيها حرا ولا بردا؛ لأن هواءها معتدل فلا حر ولا قرّ، وإنما هو نسمات تهب من العرش تحي الأنفاس، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾؛ أي ظلال الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾؛ أي أدنيت ثمارها منهم، وسهل عليهم تناولها. قال ابن عباس: إِذَا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حَتَّى يتناول منها ما يريد.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾؛ أي يدور عليهم الخدم بالأواني الفضية فيها الطعام والشراب، فيتناول كل واحد منهم حاجته، وهذه الأواني هي الصحاف بعضها من فضة وبعضها من ذهب؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾، ولا منافاة بين الآيتين فتارة يسقون بهذا، وتارة بذاك، ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾؛ أي وأكواب ـ وهي كالأقداح ـ رقيقة شفافة؛ كالزجاج في صفائه؛ أي هي جامعة بين الصفاء والزجاج، وحسن الفضة. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي قدرها السقاة عَلَى مقدار حاجتهم لا تزيد ولا تنقص، وذلك ألذ وأشهى.

قال ابن عباس: أتوا بها عَلَى قدر الحاجة لا يفضلون شيئا، ولا يشتهون بعدها شيئا،

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

﴿مِزَاجُهَا﴾: ما تمزج وتخلط. ﴿زَنجَبِيلًا﴾: ماء كالزنجبيل في أحسن أوصافه. ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: يوصف شرابها بالسلاسة في الانسياغ وسميت كذلك؛ لأن ماءها يسهل شربه. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: لا يموتون ولا يهرمون مُتقون عَلَى هيئة الولدان في البهاء. ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: كاللؤلؤ المنثور؛ أي المفرق في الحسن والصفاء.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾؛ أي يسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل، والعرب تستلذ من الشراب ما مزج بالزنجبيل لطيب رائحته، فرغبوا من نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب.

قال قتادة: الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا والمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾؛ أي يشربون من عين في الجنة تسمى السلسبيل؛ لسهولة مساغها وانحدارها في الحلق. قال المفسرون: السلسبيل: الماء العذب السهل الجريان في الحلق؛ لعذوبته وصفائه، وإنما وصف بأنه سلسبيل؛ لأن ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل، ولكن ليس فيه لذعته، فيشعر الشاربون بطعمه، لكنهم لا يشعرون بحرافته فيبقى الشراب سلسبيلا سهل المساغ في الحلق، ثم وصف بعد ذلك خدم أهل الجنة فقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي ويدور عَلَى هؤلاء الأبرار غلمان ينشئهم الله ـ تعالى ـ؛ لخدمة المؤمنين، ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي دائمون عَلَى ما سم عليه من الطراوة والبهاء.

قال القرطبي: أي باقون عَلَى ما هم عليه من الشباب والنضارة والغضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون عَلَى سن واحدة عَلَى مرّ الأزمنة.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾؛ أي إِذَا نظرتهم منتشرين في الجنةلخدمة أهلها خلتهم

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: نسيج من حرير رقيق.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: نسيج من حرير سميك.

﴿وَحُلُّوٓا﴾: ألبسوا الحلي.

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾: شرابًا نقيا من كل شائعة.

لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم؛ كأنهم اللؤلؤ المنثور، قال الرازي: هو من التشبيه العجيب؛ لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاعه عَلَى بعض فيكون أروع وأبدع.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾؛ أي وإذا رأيت ما في الجنة من مظاهر الأنس والسرور، رأيت نعيما لا يكاد يوصف، وملكا عظيما واسعا لاغاية له كما في الحديث القدسي، «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر عَلَى قلب بشر»، قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أن «أقل أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها»، فإذا كان هذا عطاؤه ـ تعالى ـ لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بمن هو أعلى منزلة وأحظى عنده ـ تعالى؟ ثم زاد ـ تعالى ـ في وصف نعيمهم فقال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾؛ أي تعلوهم الثياب الفاخرة الخضراء المزينة بأنواع الزينة من الحرير الرقيق؛ وهو السندس، والحرير الثمين وهو الاستبرق. فلباسهم في الجنة الحرير؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

قال المفسرون: السندس ما رق من الحرير، والاستبرق ما غلظ فيه وهذا لباس الأبرار في دار الجنة، وإنما قال عاليهم؛ لينبه عَلَى أن لهم عدة ثياب، ولكن الذي يعلوهم هي هذه، فتكون أفضلها، وحلوا أساور من فضة؛ أي وألبسوا في الجنة أساور فضية للزينة والحلية فإن قيل: كيف قال هنا ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة الكهف: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾

مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ وفي سورة فاطر: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ فالجواب أنهم تارة يلبسون الذهب فَقَطْ، وتارة يلبسون الفضة، وتارة يلبسون اللؤلؤ فَقَطْ، عَلَى حسب ما يشتهون. ويمكن أن يجمع فِي يد أحدهم أسورة الذهب والفضة واللؤلؤ.

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾؛ أي سقاهم الله فوق ذلك النعيم شرابا طهورا، ومن طهره أنه لا يصير بولا نجسا بل رشحا من أبدانهم كرشح المسك، ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم نعيمها هذا مقابل أعمالكم الصالحة في الدنيا.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي وكان عملكم مقبولا مرضيا جوزيتم عليه أحسن الجزاء مع الشكر والغناء. وكل ذلك للترغيب والترهيب عَلَى طريقة القرآن فِي المقارنة بين أحوال الأبرار والفجار، وبعد هذا الوضوح والبيان، كان المشركون يقابلون كل هذه الآيات بالصدود والإعراض والاستهزاء بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، وكان الرسول يتألم ويحزن لموقف المعاندين، لذلك جاءت الآيات تشد من عزيمته، وتسليه وتخفف عن قلبه الشريف آثار الهم والضجر ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾؛ أي نحن الذين أنزلنا عليك القرآن يا محمد هذا القرآن مفرقا لتذكرهم بما فيه من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فلا تحزن ولا تضجر، فالقرآن حق ووعده صدق، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي اصبر يا محمد وانتظر لحكم ربك وقضائه، فلا بد أن ينتقم الله منهم، ويقر عينك بإهلاكم إن عاجلا أو آجلا، ﴿وَلَا

يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن

﴿تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا﴾؛ أي ولا تطع من هؤلاء الفجرة من كان آثما؛ أي منغمسا في الشهوات، غارقا في الموبقات. ﴿أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي ولا تطع من كان مبالغا في الكفر والضلال لا ينزجر ولا يرعوي ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ من صيغ المبالغة ومعناها المبالغ في الكفر والجحود.

قال المفسرون: نزلت في «عتبة بن ربيعة»، و«الوليد بن المغيرة» قالا للنبي ﷺ: إن كنت تريد المال والنساء فارجع عن هذا الأمر ونحن نكفيك ذلك، فقال عتبة: أنا أزوجك ابنتي وأسوقها لك من غير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتَّى ترضى، والأحسن أنها عَلَى العموم؛ لأن لفظها عام فهي تشمل كل فاسق وكافر.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي صل لربك وأكثر من عبادته وطاعته، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي في أول النهار وآخره، وفي الصباح والمساء، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾؛ أي ومن الليل فصل له متهجدا مستغرقا في مناجاته، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؛ أي وأكثر من التهجد والقيام لربك في جناح الظلام والناس نيام؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، والمقصود أن يكون عابدًا لله ذاكرًا له في جميع الأوقات. في الليل والنهار والصباح والمساء بقلبه ولسانه، ليتقوى عَلَى مجابهة أعدائه.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ بعد تسلية النبي الكريم عاد إِلَى شرح أحوال الكفرة المجرمين فقال: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾؛ أي إن هؤلاء المشركين يفضلون الدنيا عَلَى الآخرة، وينهمكون في لذائذها الفانية. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا

يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

ثَقِيلٗا﴾؛ أي ويتركون أمامهم يوما عسيرا شديدا. عظيم الأهول والشدائد؛ وهو يوم القيامة، ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ﴾؛ أي نحن بقدرتنا أوجدناهم من العدم، وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق حَتَّى كانوا أقوياء أشداء.

﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾؛ أي ولو أردنا أهلكناهم، ثم بدلنا خيرا منهم يكونون أعبد لله وأطوع، وفي الآية تهديد ووعيد، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾؛ أي هذه الآيات الكريمة بمعناها الدقيق، ولفظها الرشيق موعظة وذكرى، يتذكر بها العاقل وينزجر بها الجاهل، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾؛ أي فمن أراد الانتفاع والاعتبار وسلوك طريق السعادة فليتقيد بالقرآن، وليستنير بنوره وضيائه، وليتخذه طريقا موصلا إِلَى ربه، بطاعته وطلب مرضاته، فأسباب السعادة ميسورة، وسبل النجاة ممهدة. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾؛ أي وما تشاءون أمرًا من الأمور، إلاَّ بتقدير الله ومشيئته، ولا يحصل شيء من الطاعة والاستقامة إِلاَّ بإذنه ـ تعالى ـ وإرادته، قال ابن كثير: أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل فِي الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا إِلاَّ بمشيئة اللَّه ـ تعالى ـ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾؛ أي عالم بأحوال خلقه، حكيم فِي تدبيره وصنعه، يعلم من يستحق الهداية فينيرها له، ومن يستحق الضلالة فيسهل له أسبابها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ أي يدخل من شاء من عباده جنته ورضوانه حسب مشيئته وحكمته وهم المؤمنون. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾؛ أي وأما المشركون الظالمون فقد هيأ لهم عذابا شديدا مؤلما فِي دار الجحيم، وختمت السورة الكريمة ببينان مآل المتقين ومآل الكفرة المجرمين.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - بين شاكرا وكفورا، وبين بكرة وأصيلا، وبين شمسا وزمهريرا طباق يؤكد المعنى ويقويه. مع ما فيه من جرس موسيقي رائع يؤثر فِي نفس السامع والقارئ.

٢ - ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ مجاز عقلي من اسناد العبوس إِلَى اليوم.

٣ - «فوقاهم - ولقاهم» جناس غير تام. ويطعمون الطعام جناس اشتقاق.

٤ - «يحيون ويذرون: طباق يؤكد المعنى ويقويه.

٥ - ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ إيجاز بالحذف؛ أي يقال لهم يوم القيامة.

٦ - ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ تشبيه رائع؛ أي كاللؤلؤ المنتشر.

٧ - ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ مقابلة، قابل بين المحبة والترك، وبين العاجلة والباقية.

٨ - «لؤلؤ منثورا، شرابا طهورا، وكان سعيكم مشكورا» سجع مرصع، وهو من أجمل المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من سورة «الإنسان»

١ - عظمة الله وقدرته تجلت فِي خلق الإنسان فقد خلقه فِي أطوار وهيأه ليقوم بما كلف به من أنواع العبادة، فجعل له السمع والبصر وسائر الحواس؛ ليدرك بها جلال الخالق وقدرته.

٢ - أعد الله فِي الآخرة لأهل الجنة نعيما مقيما يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، هؤلاء السعداء الموصوفون بالوفاء بالنذر، وإطعام الفقراء؛ ابتغاء مرضاة الله والخوف من عذابه، وقد أمنهم الله من ذلك اليوم العبوس الذي تكلح فيه الوجوه، ولهم من ربهم الأجر والكرامة فِي دار الإقامة فِي مأكلهم ومشربهم وملبسهم، وخدمة الذين يطوفون عليهم صباح مساء، وسيرون فِي الجنة بمشيئة الله «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر عَلَى قلب بشر».

٣ ـ إن هذا القرآن تذكرة لمن كان له قلب يعي، أو فكر ثاقب يستضيء بنوره، إنه موعظة يتذكر بها العاقل، وينزجر بها الجاهل، فمن أراد السعادة، فليعتد بآيات الله، وليتخذ طريقا يوصله إِلَى ربه فأسباب السعادة ميسورة وسبل النجاة ممهدة، وعلينا بطاعته وطلب مرضاته.

٤ ـ ما تشاءون من أمر من الأمور إلاَّ بتقدير الله ومشيئته، ولا يحصل شيء من الطاعة والاستقامة إِلاَّ بإذن الله ـ تعالى ـ وإرادته، فالله عالم بأحوال خلقه، حكيم فِي تدبيره وصنعه، يعلم من يستحق الهداية فييسرها له، ومن يستحق الضلالة فيسهل له أسبابها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

٥ ـ إن الكفرة المجرمين يحبون الدنيا، ويفضلونها عَلَى الآخرة، وينهمكون فِي لذائذها الفانية، ونسوا يوم القيامة، وما فيها من شدائد وأهوال، ونسوا نعم الله عليهم بعد أن أوجدهم من العدم، وأحكم ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق حَتَّى كانوا أقوياء أشداء، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

٦ ـ علينا أن نعمل عَلَى مرضاة الله، وأن نطيعه فِي السر والعلن، وأن نبتعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن تخلص أنفسنا من ظلمات الشرك والطغيان، وأن نداوم عَلَى الطاعة ليلا ونهارا، وفي التهجد ما يقربنا إِلَى الله جل علاه، وييسر لنا سبل الرشاد.

* * * * *

سورة «المرسلات»

نزلت بمكة، إلاّ الآية ٤٨ فقد نزلت بالمدينة وآياتها ٥٠ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾

معاني الكلمات:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾: أقسم بالرياح الهادئة التي يرسلها الله إرسالا متتابعا كعرف الفرس. ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾: الرياح الشديدة الهبوب المهلكة. ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾: الملائكة تنشر أجنحتها في الجو عند النزول بالوحي. ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾: الملائكة تأتي بالوحي فرقانا بين الحق والباطل.

التفسير

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فإنه ليتلوها، وإني أتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حيّة، فقال النبي ﷺ «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها»، وعن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا. وعن عبيدالله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة وإنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

عن أبي هريرة ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة، وعن أبي صالح أنه قال: هي الرسل، وفي رواية عنه: أنها الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة.

وعن أبي العبدين قال: سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال: الريح، وكذا قال في ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾ إنها الريح، وتوقف ابن جرير في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف، أو كعرف الفرس يتبع بعضها

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ﴾

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة تلقي الوحي إِلَى الأنبياء. ﴿عُذْرًا﴾: للإعذار من الله للخلق، رفعًا للوم المعتذرين. ﴿نُذْرًا﴾: للإنذار والتخويف بالعقاب. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾: من البعث «جواب القسم» يوم القيامة والحساب لنازل، وحاصل لا ريب فيه. ﴿طُمِسَتْ﴾: ذهب ضوءها. ﴿فُرِجَتْ﴾: حصل تشقق فيها، وفروج بين أجزائها.

بعضا، أو هي الرياح إِذَا هبت شيئًا فشيئًا، وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح، وممن قال ذلك فِي العاصفات عصفا أَيْضًا: علي بن أبي طالب والسدي، وتوقف فِي ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ هل هي الملائكة أو الريح؟ وعن أبي صالح: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ هي المطر.

والأظهر أن المرسلات هي الرياح؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، وهكذا العاصفات هي الرياح، يقال عصفت الرياح إِذَا هبت بتصويت، وكذا الناشرات: هي الرياح التي تنتشر السحاب فِي آفاق السماء كما يشاء الرب ﷻ، وقوله - تعالى -: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾، يعنى الملائكة فإنها تنزل بأمر الله عَلَى الرسل تفرق بين الحق والباطل والهدى والبغي والحلال والحرام، وتلقى إِلَى الرسل وحيا فيه إعذار إِلَى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره؛ أي تلقي الوحي إعذارا من الله للعباد لئلا يبقى لهم حجة عند الله، أو إنذاراً من الله للخلق بالنقمة والعذاب.

وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام؛ أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ فِي الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين فِي صعيد واحد، ومجازاة كل عامل يعمله إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشر، إن هذا كله لواقع؛ أي لكائن لا محالة، ثم قال - تعالى -: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾؛ أي ذهب ضوءها؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي انشقت وتدلت أرجاؤها،

نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ

﴿نُسِفَتۡ﴾: تطايرت أجزاؤها، وتبعثرت ذراتها. ﴿أُقِّتَتۡ﴾: بلغوا الوقت الذي كانوا ينتظرونه.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾: لأي يوم أخرت الأمور الخاصة بأقوام الرسل، وهي عذاب المكذبين، وجزاء المؤمنين؟

﴿يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾: يوم القيامة الذي يحاسب فيه الناس، وهو يوم القضاء الفصل. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: ما أعلمك. ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: الأمم السابقة، كقوم عاد وثمود.

ووهت أطرافها وتصدعت، ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾؛ أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾؛ أي جعل للرسل وقت وأجل، للفصل بينهم وبين الأمم، وهو يوم القيامة؛ كقوله - تعالى -: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾؟ وأصل: ﴿أُقِّتَتۡ﴾ وقتت من الوقت؛ أي جعل لها وقت محدد. قال الطبري: أي أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة، وقال مجاهد: هو الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة عَلَى أممهم، ثم قال - تعالى -: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾، يقول - تعالى -: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حَتَّى تقوم الساعة؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٤٧ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨﴾، وهو يوم الفصل؛ كما قال - تعالى -: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾، ثم قال - تعالى - معظما لشأنه: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾؛ أي ويل لهم من عذاب الله، وويل واد في جهنم والله أعلم. يقول - تعالى -: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعنى من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به. ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؛ أي ممن أشبههم، ولهذا قال - تعالى -: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾؛ أي هلاك عظيم وخسار كبير في ذلك اليوم

﴿الْآخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ٢٦﴾

﴿الْآخِرِينَ﴾: الأمم المتأخرة، التي جاءت بعد السابقة. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾: هلاك في ذلك اليوم الهائل. ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾: تذكير للمكذبين بقدرة الله. ﴿مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ماء حقير مني ضعيف. ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: مكان مصون يستقر فيه «وهو الرحم». ﴿قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: زمن معين وهو وقت الولادة. ﴿فَقَدَرْنَا﴾: قدرنا ذلك تقديرا. فقدرنا وهيأنا هذا الماء فتطور إلَى جنين بترتيب عجيب. ﴿الْأَرْضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ٢٦﴾: وعاء تضمن الأحياء عَلَى ظهرها والأموات فِي بطنها. ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: جبالا ثوابت مرتفعات. ﴿مَّاءً فُرَاتًا﴾: شديد

لأولئك المكذبين. قال المفسرون: كرر هذه الجملة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ فِي هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب.

قال - تعالى -: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾؛ أي ضعيف حقير بالنسبة إلَى قدرة الباريء ﷻ، وفي حديث بشر بن جحاش: «ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟»، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعنى جمعناه فِي الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله - تعالى -: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ يعنى إلَى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر، ولهذا قال - تعالى -: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٢٤﴾؛ أي فقدرنا عَلَى خلقه من النطفة فنعم القادرون نحن حَيْثُ خلقناه فِي أحسن الصور وأجمل الأشكال، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي هلاك ودمار للمكذبين بقدرتنا. قال الصاوي: هذه الآية تذكير من الله - تعالى - للكفار بعظيم إنعامه عليهم، وبقدرته عَلَى ابتداء خلقهم والقادر عَلَى الابتداء قادر عَلَى الإعادة ففيها رد عَلَى المنكرين للبعث، ثم

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي

العذوبة. ﴿ظِلٍّ﴾: هو دخان جهنم. ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: فرق ثلاث كالذوائب. ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: لا مظلل من الحر. ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: لا يدفع شيئا من حره. ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾: هو

ذكرهم بنعمة إيجادهم عَلَى الأرض حال حياتهم، ومواراتهم في باطنها بعد الموت، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾؛ أي ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها كالأم لكم تجمع الأحياء عَلَى ظهرها، والأموات في بطنها. قال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾؛ أي وجعلنا في الأرض جبالا راسخات عاليات مرتفعات لئلا تضطرب بكم. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾؛ أي وأسقيناكم ماء عذبا حلوا بالغ العذوبة، أنزلناه لكم من السحاب، وأخرجناه لكم من العيون والأنهار؛ لتشربوا منه أنتم ودوابكم، وتسقوا منه زرعكم وأشجاركم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة عَلَى عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر عَلَى تكذيبه وكفره، ثم يقول ـ تعالى ـ مخبرا عن الكفار والمكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾، يعنى لهب النار إِذَا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾؛ أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب، يعني ولا يقيهم حر اللهب.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾؛ أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر، قال ابن مسعود كالحصون، وقال ابن عباس: يعنى أصول الشجر، ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾؛ أي كالإبل السود، وعن سعيد بن جبير، ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ يعني حبال

﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾

ما تطاير من النار متفرقًا. ﴿كَالْقَصْرِ﴾: كل شررة كالبناء المشيد. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾: كأن الشرار إبل سود «وتسميها العرب صفرا في الكثرة»، والتتابع وسرعة الحركة واللون. ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾: لا يتكلمون ولا يعتذرون. ﴿لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلة لاتقاء العذاب. ﴿فَكِيدُونِ﴾: فاحتالوا للنجاة من عذاب الله في الآخرة.

السفن تجمع حتَّى تكون كأوساط الرجال، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ أي لا يتكلمون ولا ينطق فيه أولئك المكذبون، ولا يتكلمون كلاما ينفعهم فهم في ذلك اليوم خرس بكم، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؛ أي ولا يقبل لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح والجرائم، بل لا يؤذن لهم في أن يعتذروا؛ لأنه لا تسمع منهم تلك الحجج والأعذار، ولا تقبل كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، وعرصات القيامة حالات والرب ـ تعالى ـ يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل عَلَى شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾، وهذه مخاطبة من الخالق ـ تعالى ـ لعباده يقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾؛ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد أي إن قدرتم أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرون عَلَى

﴿فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين المصدقين، الذين يخشون ربهم بالغيب.

﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: يحبون.

﴿هَنِيئًا﴾: هانئين متمتعين.

ذلك؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾، وفي الحديث: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني». يقول ـ تعالى ـ مخبرًا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون؛ أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم؛ وهو الدخان الأسود المنتن، وقوله: ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي يقال لهم ذلك عَلَى سبيل الإحسان إليهم، ثم قال ـ تعالى ـ مخبرًا خبراً مستأنفا، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؛ أي مدة قصيرة قريبة قليلة، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؛ أي ثم تساقون إلى نار جهنم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟؛ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ

﴿٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾: أي تمتعوا بمتع الدنيا الزائلة زمنا قليلا، والمراد التهديد والوعيد.

﴿مُّجۡرِمُونَ﴾: مذنبون.

﴿ٱرۡكَعُواْ﴾: اخشعوا إلى الله وتواضعوا، ودعوا هذا الاستكبار.

ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾.

عن إسماعيل بن أمية قال: سمعت رجلا أعرابيا بدويا يقول: سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفا ـ فقرأ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤﴾ التأكيد بذكر المصدر زيادة في البيان، وتقوية للكلام، وهو من المحسنات اللفظية.

٢ ـ عذرا ـ نذرا ـ أحياء ـ أمواتا ـ الأولين ـ الآخرين : طباق.

٣ ـ ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾ وضع الظاهر مكان الضمير والمجيء بصغية الاستفهام لزيادة تفظيع الأمر وتهويله.

٤ ـ ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؟ ومثله ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾؟ استفهام تقريري.

٥ ـ «مهين ومكين» جناس غير تام.

٦ ـ ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ تشبيه مرسل مجمل، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ تشبيه مرسل مفصل.

٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ قابل ذلك بقوله: ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ مقابلة.

٨ - ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾، سمى العذاب ظلا تهكما وسخرية بهم.

٩ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ مجاز مرسل أطلق الركوع وأراد به الصلاة، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ أي وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون.

١٠ - توافق الفواصل في الحرف الأخير، ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾. ويسمى بالسجع المرصع.

ما نتعلمه من سورة «المرسلات»

١ - تعالج السورة الكريمة أمور العقيدة، وتبحث عن شئون الآخرة، ودلائل القدرة والوحدانية، وسائر الأمور الغيبية.

٢ - إن القيامة حق، وإن العذاب والهلاك واقع عَلَى الكافرين، وقد أقسم سبحانه بأنواع الملائكة المكلفين بتدبير شئون الكون عَلَى أن القيامة حق.

٣ - من مظاهر القيامة الذي وعد به المجرمون، ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾؟ الاستفهام للتعظيم والتهويل، إن ذلك يوم أعظم من أن يعرف أمره إنسان أو يحيط به عتل، أو وجدان ووضع الظاهر: ﴿مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟ مكان الضمير «ما هو»؟ لزيادة تفظيع وتهويل أمره.

٤ - دلائل قدرة الله الباهرة واضحة جلية عَلَى إعادة الإنسان بعد الموت وإحيائه بعد الفناء، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾؟ والقادر عَلَى الخلق والإيجاد أقدر عَلَى الإعادة والبعث. صنع الله الذي أتقن كل شيء.

٥ - مآل المجرمين في الآخرة وما يلقون فيه من نكال وعقاب يقابله بما أعده الله للمتقين من أنواع الإفضال والإكرام.

٦ ـ امتناع الكفار عن عبادة الله الواحد القهار هو بسبب طغيانهم وإجرامهم، وعدم اعترافهم بنعم الله عليهم، وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون، بل يظلون عَلَى استكبارهم وعدم خضوعهم لله رب العالمين.

قال مقاتل: نزلت الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ في ثقيف امتنعوا عن الصلاة، وقالوا لرسول الله ﷺ: حطّ عنا الصلاة فإننا لا ننحني، إنها مسبة علينا فأبى، وقال: «لا خير في دين لا صلاة فيه»، الويل لهؤلاء الكافرين فبأي كتاب وكلام بعد هذا القرآن المعجز الواضح يصدقون، إن لم يؤمنوا بالقرآن. وهو المعجزة الخالدة الباقية إِلَى أن يرث الله الأرض ومن عليها. اللهم اجعلنا من حملة القرآن الكريم المصدقين بما جاء به من أوامر ونواهي وتشريعات حكيمة فيها صلاح الأمة المؤمنة التي تؤمن بلقائه وتسعد برؤياه يوم النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده المتقين، اللهم احشرنا معهم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

* * * * *

تَفْسِيرُ جُزْءِ عَمَّ

مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ

سـورة النبإ

نزلت بمكة، وآياتها أربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ

معاني الكلمات:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: عن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا. ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: خبر يوم البعث. ﴿مُخۡتَلِفُونَ﴾: ينكره بعضهم، وبعضهم يتردد في تصديقه.

التفسير

يقول اللَّه ـ تعالى ـ منكرًا عَلَى المشركين تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ أي عن أي شيء يتساءلون ، عن أمر يوم القيامة، وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر، وقال قتادة: النبأ العظيم: البعث بعد الموت. وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول لقوله ﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾؛ يعني الناس فيه عَلَى قولين مؤمن به وكافر، ثم قال ـ تعالى ـ متوعدًا لمنكري القيامة ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة عَلَى خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة الدالة عَلَى قدرته عَلَى ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴾؛ أي ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة. ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾؛ أي جعلها أوتادًا أرساها بها وثبتها وقررها حَتَّى سكنت ولم تضطرب بمن عليها، ثم قال ـ تعالى ـ ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾؛ يعني ذكرًا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك؛ كقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾؛ أي قطعا للحركة لتحصل الراحة

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

﴿الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: فراشا موطأ للاستقرار عليها. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: كالأوتاد للأرض لتسكن. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ذكورًا وإناثًا للنسل. ﴿نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم. ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساترا لكم بظلمته كاللباس. ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: تحصلون فيه ما تعيشون به؛ وهو وقت السعي لطلب العيش. ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾: سبع سماوات قويات محكمات متماسكة. ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: مصباحا منيرا وقَّادا؛ أي شمسا مضيئة متلألئة. ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: السحائب التي جاز لها أن تمطر. ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: منصبا بكثرة مع التتابع.

من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي يغشى الناس ظلامه وسواده، وقال قتادة: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي سكنا. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي جعلناه مشرقا نيرا مضيئا؛ ليتمكن الناس من التصرف فيه، والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك. وقوله - تعالى -: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؛ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾؛ يعني الشمس المنيرة عَلَى جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم. وقوله - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قال ابن عباس: «الرياح»، ومعنى هذا القول: أنها تستدر المطر من السحاب، وعنه أَيْضًا ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي من

السحاب، وهو الأظهر؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي من بينه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ ثجاجا: منصبا، وقال النوري متتابعا، وقال ابن كثير: قال ابن جرير: وإنما الثج الصب المتتابع، ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الحج العج والثج»؛ يعني صب دماء الإبل، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للأناسي والأنعام. ﴿وَنَبَاتًا﴾؛ أي خضرًا يؤكل رطبًا. ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾؛ أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعًا، ولهذا قال ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾، قال ابن عباس وغيره ألفافا: مجتمعة. وهذه كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع مثل:

١ ـ ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾، إطناب بتكرار الجملة للوعيد والتهديد.

٢ ـ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ إيجاز بحذف الفعل المتقدم عليه؛ أي يتساءلون عن النبأ العظيم.

٣ ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ تشبيه بليغ؛ أي جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم، والجبال كالأوتاد التي تثبت الدعائم، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا، ومثله ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾؛ أي كاللباس في الستر والخفاء.

٤ ـ المقابلة بين ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ وبين ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾، قابل بين الليل والنهار والراحة والعمل. وهو من المحسنات البديعية التي تكسب الكلام رونقاء وجمالا.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ﴾

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾: بساتين ملتفة الأشجار.
﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾: يوم القيامة.
﴿مِيقَٰتٗا﴾: موعدًا للحساب.
﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: ينفخ في البوق، والمراد إعلان الناس يوم البعث. ﴿أَفۡوَاجٗا﴾: أممًا، أو جماعات مختلفة الأحوال. ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: اختل نظامها لِضَعْف ما بين كواكبها من تماسك. ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾: صارت ذات أبواب، أو تشققت من اختلال نظام كواكبها. ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾: تناثرت أجزاؤها. ﴿سَرَابًا﴾: كالسراب الذي لا حقيقة له، أو مثل الغبار المتطاير كأنه ماء.

التفسير

يقول اللَّه ـ تعالى ـ مخبرًا عن يوم الفصل؛ وهو يوم القيامة إنه مؤقت بأجل محدود لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، ولا يعلم وقته عَلَى التعيين إِلاَّ اللَّه ـ عز وجل ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴾.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ قال مجاهد: زمرًا زمرًا، وقال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ﴾، وقال البخاري: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾. عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون يوما؟ قال: «أبيت» قالوا: أربعون شهرًا قال «أبيت» قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم ينزل اللَّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إِلاَّ عظما واحدا؛ وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾؛ أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴾؛ أي يُخَيَّل إِلَى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر. كما قال ـ تعالى ـ:

جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً

﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: موضع ترصُّد وترقب للكافرين ينتظرهم. ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾: مرجعا ومأوى لهم. ﴿لَّٰبِثِينَ﴾: مقيمين. ﴿أَحْقَابًا﴾: دهورا متتابعة لا نهاية لها. أزمنة طويلة. ﴿بَرْدًا﴾: روحًا وراحة من حر النار. ﴿حَمِيمًا﴾: ماء بالغًا نهاية الحرارة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾؛ أي مرصدة معدة ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾؛ وهم المردة العصاة المخالفون للرسل ﴿مَـَٔابًا﴾؛ أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا، قال قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتَّى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس، وقوله ـ تعالى ـ:﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾؛ أي ماكثين فيها أحقابا؛ وهي جمع حقب؛ وهو المدة من الزمان، عن عبدالله بن عمرو: الحقب أربعون سنة كل يوم فيها كألف سنة مما تعدون، وقال الربيع عن أنس ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾؛ لا يعلم المدة هذه الأحقاب إلاَّ اللَّه ـ عز وجل ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؛ أي لا يجدون في جهنم بردًا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾؛ فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحمّوه، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، وقال ابن جرير المراد بقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني النوم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعلمونها في الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي لم يكونوا

وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤)

﴿وَغَسَّاقًا﴾: صديد يسيل من جلودهم. ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾: موافقا لأعمالهم.
﴿كِذَّابًا﴾: تكذيبا شديدا.
﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: حصرناه في كتاب. ﴿مَفَازًا﴾: فوزًا وظفرًا بكل محبوب، وفوزًا بالنعيم.
﴿وَكَوَاعِبَ﴾: فتيات ناهدات حسناوات (نساء الجنة).
﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات في السن والحسن. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: مترعة مليئة من خمر الجنة.

يعتقدون أن هناك دارًا يجازون فيها ويحاسبون.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾؛ أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله عَلَى خلقه التي أنزلها عَلَى رسله ﷺ فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله ﴿كِذَّابًا﴾؛ أي تكذيبا وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾؛ أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم عَلَى ذٰلك إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلاَّ عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج. عن عبدالله بن عمرو قال: لم ينزل عَلَى أهل النار أشد من هذه الآية. يقول الله ـ تعالى ـ مخبرًا عن السعداء وما أعد لهم ـ تعالى ـ من الكرامة والنعيم المقيم فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾. قال ابن عباس: متنزها، وقال قتادة: فازوا فنجوا من النار، والأظهر قول ابن عباس؛ لأنه قال بعدها ﴿حَدَائِقَ﴾، والحدائق بساتين من النخيل وغيرها. ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾؛ أي وحور كواعب، كواعب؛ أي نواهد يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلهن لأنهن أبكار، عرب أتراب؛ أي في سن واحدة. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة، وقال عكرمة صافية. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الملأى المترعة، وقال مجاهد: هي

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا﴾

﴿لَغْوًا﴾: كلاما غير معتد به أو قبيحا باطلا. ﴿كِذَّٰبًا﴾: تكذيبا شديدا. ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: إحسانا كافيا أو كثيرا عَلَى قدر أعمالهم. ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: لا يستطيع أحد أن يعترض عَلَى ما يفعل. ﴿ٱلرُّوحُ﴾: جبريل عليه السلام. ﴿صَفًّا﴾: مصطفين.

المتتابعة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾؛ أي ليس فيها كلام لاغ عار من الفائدة ولا إثم كذب بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص، وقوله ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي جازاهم اللَّه به بفضله وكرمه وإحسانه ورحمته. ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي كافيا وافيا سالما كثيرا. يخبر اللَّه ـ تعالى ـ عن عظمته وجلاله، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شلمت رحمته كل شيء. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ أي لا يقدر أحد عَلَى ابتداء مخاطبته إِلاَّ بإذنه؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اختلف المفسرون في المراد بالروح هاهنا ما هو؟

عن ابن عباس: إنهم أرواح بني آدم، **وقال قتادة** : هم بنو آدم.

الثالث: أنهم خلق من خلق اللَّه عَلَى صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش.

الرابع: هو جبريل ويستشهد لهذا القول بقوله ـ عز وجل ـ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إِلَى الرب ـ عز وجل ـ وصاحب الوحي.

﴿يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: قال قولا صوابا: كطلب الشفاعة لمن ارتضى الله من الخلق.
﴿مَآبًا﴾: مرجعا بالإيمان والطاعة.
﴿أَنذَرْنَاكُمْ﴾: حذرناكم.
﴿كُنتُ تُرَابًا﴾: في هذا اليوم فلا أعذب، أو لم أخلق.

الخامس: أنه القرآن قال ابن زيد؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.
السادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات عن ابن عباس. قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا، وتوقف ابن جرير عن هذه الأقوال كلها، وقال: الأشبه عندي - والله أعلم - بنو آدم. وقوله - تعالى -: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، وكما ثبت في الصحيح: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل»، وقوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي حقا ومن الحق لا إله إلا الله؛ كما قاله أبو صالح وعكرمة، وقوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾؛ أي الكائن لا محالة. ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾؛ أي مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾؛ يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾، وكقوله - تعالى -: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾؛ أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابا، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة، قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل

بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حَتَّى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: «كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ أي كنت حيوانا فأرجع إِلَى التراب، والله أعلم.

من إعجاز القرآن الكريم

١ ـ ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾: تشبيه بليغ؛ أي كالأبواب فِي التشقق والانصداع؛ فحذفت الأداة، ووجه الشبه.

٢ ـ ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾، صيغة الأمر ﴿فَذُوقُواْ﴾ يراد به الإهانة والتحقير، وفيه التفات من الغيبة إِلَى الخطاب زيادة فِي التوبيخ والإهانة.

٣ ـ الطباق بين (بردا ... وحميما).

٤ ـ ذكر العام بعد الخاص ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ الروح هو جبريل ـ عليه السلام ـ داخل فِي الملائكة، فقد ذكر مرتين مرة استقلالا ومرة ضمن الملائكة تنبيها عَلَى جلاله قدره.

٥ ـ السجع المرصع مثل: (ألفافا، أفواجا، أبوابا، مآبا، أحقابا) وهو من المحسنات البديعية التي تزيد الكلام جرسا موسيقيا جميلا يؤثر فِي النفس، ويكسب الكلام روعة وبهاء.

ما نتعلمه من الآيات الكريمة

١ ـ سميت سورة ﴿ٱلنَّبَإِ﴾؛ لأن فيها الخبر الهام عن القيامة، والبعث والنشور ومحور السورة يدور حول «إثبات عقيدة البعث» التي أنكرها المشركون.

٢ ـ تحدثت السورة عن موضوع القيامة، والبعث والجزاء، هذا الموضوع الذي شغل أذهان الكثيرين من كفار مكة، حَتَّى صاروا فيه بين مصدق ومكذب.

٣ ـ أقامت السورة الدلائل والبراهين عَلَى قدرة رب العالمين، فإن الذي يقدر عَلَى خلق العجائب والبدائع قادر عَلَى إعادة خلق الإنسان بعد فنائه.

٤ ـ حددت السورة وقت البعث ـ وهو يوم الفصل بين العباد، حيث يجمع اللَّه الأولين

والآخرين للحساب.

٥ ـ ذكرت السورة جهنم التي أعدها اللَّه للكافرين، وما فيها من ألوان العذاب المهين جزاء لهم عَلَى عصيانهم، وتكذيبهم رسل الله.

٦ ـ ثم تحدثت عما سينال المتقين من ضروب النعيم مكافأة لهم عَلَى حسن إيمانهم.

٧ ـ من هول يوم القيامة يتمنى الكافر أن يكون ترابا فلا يحشر ولا يحاسب، وقد حذر اللَّه العصاة أن يستمروا فِي طغيانهم وعصيانهم وإلا نزل بهم العذاب الأليم يتمنون معه أنهم لم يخلقوا.

٨ ـ علينا أن نؤمن بالبعث والنشور، وبالجنة والنار، وأن نؤمن إيمانا راسخًا بمجازاة المتقين بالجنة والعاصين بالنار.

اللَّهُمَّ قنا عذاب النار واكتبنا مع الشاهدين.

* * * * *

سورة النازعات

نزلت بمكة، وآياتها ٤٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ

معاني الكلمات:

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: أقسم الله بالملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم. غرقا: نزعا شديدا مؤلما بالغ الغاية. ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: الملائكة تسل أرواح المؤمنين برفق. ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾: الملائكة تنزل مسرعة لما أمرت به. ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾: الملائكة تسبق بالأرواح إلى مستقرها نارًا أو جنة. ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة تنزل بالتدبير المأمور به. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: لتبعثن يوم تضطرب الأجرام بالصيحة الهائلة «نفخة الموت». ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: نفخة البعث التي تردف الأولى.

التفسير

قال ابن مسعود وابن عباس ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلقة من نشاط، وهو قوله ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، وعن ابن عباس: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الموت، وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: هي النجوم والصواب أنهم الملائكة وعليه الأكثرون، وأما قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ قال ابن مسعود: هي الملائكة، وعن مجاهد: الموت، وقتادة هي النجوم، وقال عطاء: هي السفن، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾؛ أي الملائكة سبقت إلى الإيمان والتصديق، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾؛ هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني

﴿وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: مضطربة، أو خائفة وجلة. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة منكسرة من الفزع. ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾: إلى الحالة الأولى (الحياة). ﴿كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾: بالية متفتتة. ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: رجعة ذات خسران. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة (نفخة البعث).

بأمر ربها - عز وجل -، وقوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية، قال رسول ﷺ : «جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة»، جاء الموت بما فيه» فقال رجل يا رسول الله: أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك، قال: «إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك» وكان رسول اللهﷺ إذا ذهبت ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه» وقول - تعالى -: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يعني خائفة. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ أي أبصار أصحابها؛ ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؛ يعني مشركي قريش، ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة؛ وهي القيود، قال مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها، ولهذا قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾؛ أي بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله - تعالى -: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾؛ أي فإنما هو أمر من الله فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر - تعالى - إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب - عز وجل - ينظرون كما قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة،

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: هم أحياء عَلَى وجه الأرض. ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: الوادي المطهر، وهو بطور سيناء. ﴿طُوًى﴾: اسم الوادي المقدس. ﴿طَغَىٰ﴾: عتاد وتجبر وكفر وتجاوز الحد في تعديه عَلَى بني إسرائيل. ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تتطهر من الكفر والطغيان والرزائل. ﴿فَتَخْشَىٰ﴾: فتخاف الله، وتترك المعاصي. ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: انقلاب العصا حيّة.

وقال الحسن البصري: زجرة من الغضب، وقال الربيع بن أنس زجرة واحدة: هي نفخة الآخرة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ قال ابن عباس: الساهرة: الأرض كلها، وقال ابن زيد الساهرة: وجه الأرض. وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إِلَى أعلاها، قال: والساهرة المكان المستوي، وقال الثوري: الساهرة: أرض الشام، وقال عثمان: الساهرة: أرض بيت المقدس بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي، وقال الربيع بن أنس: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم.

يخبر ـ تعالى ـ رسوله محمدًا ﷺ عن عبده ورسوله موسى ـ عليه السلام ـ أنه ابتعثه إِلَى فرعون وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر عَلَى كفره وطغيانه حَتَّى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذبك بما جئت به، فقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي هل سمعت بخبره ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ أي كلمة نداء ، ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهر ﴿طُوًى﴾ وهو اسم الوادي عَلَى الصحيح، فقال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي تجبر وتمرد وعتا، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن

فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: أعرض عنه، ودبر المكائد. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: جمع السحرة والجنود، وقام فيهم خطيبا. ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾: بعقوبة أغرقه في الدنيا، وسيعذبه في الآخرة. ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: جعل ثخنها مرتفعًا جهة العلو؛ أي جعلها مرتفعة. ﴿فَسَوَّاهَا﴾: جعلها مستوية الخلق بلا عيوب.

تَزَكَّىٰ﴾؛ أي قل له هل لك أن تجيب إِلَى طريقة ومسلك تزكى به؛ أي تسلم وتطيع، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي أدلك إِلَى عبادة ربك، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾؛ أي فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشعًا بعد ما كان خبيثًا بعيدًا من الخير، ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾؛ يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلا واضحا عَلَى صدق ما جاءه به من عند الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ أي فكذب بالحق، وخالف ما أمره به من الطاعة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾؛ أي في مقابلة الحق بالباطل؛ وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى من المعجزات الباهرات، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾؛ أي في قوله ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾. قال ابن عباس: هذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ بأربعين سنة. قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي انتقم اللَّه منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، وهذا هو الصحيح في معنى الآية: أن المراد بقوله ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾؛ أي الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي لمن يتعظ وينزجر. ثم يقول ـ تعالى ـ محتجًا عَلَى منكري البعث في إعادة الخلق بعد موته ﴿أَأَنتُمْ﴾ أيها

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝٣١ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٣ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلمه. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أبرز نهارها المضيء بالشمس. ﴿دَحَاهَا﴾: بسطها، وأوسعها لسكنى أهلها. ﴿وَمَرْعَاهَا﴾: أقوات الناس والحيوان. ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾: أثبتها في الأرض، كالأوتاد. ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾: لأجل أن تتمتعوا. ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾: حيواناتكم من إبل وبقر وغنم. ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾: الداهية العظمى (القيامة).

الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾؛ يعني بل السماء أشد خلقا منكم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَنَاهَا﴾ فسره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾؛ أي جعلها عالية الضياء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي جعل ليلها مظلمًا أسود حالكا، ونهارها واضحا. قال ابن عباس: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي أنار نهارها. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ فسره بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾. قال ابن عباس: إن الأرض خلقت قبل السماء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء؛ بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل. ﴿دَحَاهَا﴾ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ودحاها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال، والسبل والآكام؛ فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾؛ أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم الرءوف بخلقه الرحيم، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجب الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب فهل من خلقك شيء

﴿مَا سَعَىٰ﴾: ما عمله من خير وشر. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: أظهرت إظهارا بينا. ﴿هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾: المرجع والمقام له. ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: خشي قيامه بين يديه يوم القيامة. ﴿الْهَوَىٰ﴾: اتباع الشهوات.

الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ

أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم: النار، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح. قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله».

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾؛ أي دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها، ويقر قرارها، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إِلَى أن ينتهي الأمر وينقضي الأجل.

يقول - تعالى -: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾؛ وهو يوم القيامة. قال ابن عباس: سميت بذلك لأنها تطم عَلَى كل أمر هائل مفظع كما قال - تعالى -: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾؛ أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره؛ كما قال - تعالى -: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ أي تمرد وعتا. ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أي قدمها عَلَى أمر دينه وأخراه. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾؛ أي فإن مصيره إِلَى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؛ أي خاف القيام بين يدي الله - عز وجل - وخاف حكم الله

هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متى يقيمها الله ويثبتها؟ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: لا تعلمها أنت ولا غيرك. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: لا يعلم وقتها إلاَّ الله. ﴿مُنذِرُ﴾: محذر ومخوف. ﴿يَلْبَثُوٓا۟﴾: لم يمكثوا في قبورهم.

فيه، ونهى نفسه عن هواها وردها إِلَى طاعة مولاها. ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي منقلبه ومصيره ومرجعه إِلَى الجنة الفيحاء. ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾؛ أي ليس علمها إليك، ولا إِلَى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها إِلَى الله ـ عز وجل ـ فهو الذي يعلم وقتها عَلَى التعين. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾؛ أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن حشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار عَلَى من كذبك وخالفك، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي إِذَا قاموا من قبورهم إِلَى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حَتَّى كأنها عندهم كانت عشية أو ضحى من يوم. قال ابن عباس: أما عشية فما بين الظهر إِلَى غروب الشمس. ﴿ضُحَىٰهَا﴾ ما بين طلوع الشمس إِلَى نصف النهار.

* * * * *

من إعجاز القرآن الكريم

١ - الطباق بين الآخرة والأولى في قوله - تعالى -: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ والطباق بين ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

٢ - جناس الاشتقاق في قوله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾.

٣ - المقابلة بين قوله ﴿السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾، وبين ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وكذلك المقابلة بين ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وبين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

٤ - أسلوب التشويق: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾؛ فإن المراد منه التشويق إلى معرفة القصة.

٥ - الطباق بين (الجنة - والجحيم) وبين (السماء - والأرض).

٦ - التشبيه المرسل المجمل ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

٧ - الاستعارة التصريحية ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ شبه أكل الناس برعي الأنعام واستعير الرعي للإنسان مع أكل الإنسان والحيوان من النبات.

٨ - توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل (ضحاها - دحاها - مرعاها - أرساها) ويسمى السجع، ويزيد الكلام جرسا موسيقيا جميلا، ويساعد على حفظ الآيات الكريمة بسبب اتباعه وتأثيره في النفس.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - أقسم الله - سبحانه وتعالى - بالملائكة الأبرار التي تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولين، وتنزع أرواح المجرمين بشدة وغلظة، والتي تدبر شئون الخلائق بأمر الله - جل وعلا.

٢ - صورت حالة المشركين المنكرين للبعث والنشور في يوم القيامة وما هم فيه من فزع ورعب.

٣ - ذكرت قصة «فرعون» الطاغية الذي ادعى الربوبية، وتمادى في طغيانه وجبروته،

فيقصمه اللَّه ويهلكه بالغرق هو وقومه الأقباط.

٤ ـ طغيان أهل مكة وتمردهم عَلَى رسول اللَّه ﷺ، وذكرتهم بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله، إنهم يعجبون من عودتهم إِلَى الحياة بعد أن بليت أجسامهم.

٥ ـ استبعد المشركون وأنكروا وكذبوا بحدوث يوم القيامة، وحددت الآيات بيان وقت الساعة ولا يعلم أحد من أمرها شيئا إِلاَّ اللَّه العلي القدير وحده، وليست وظيفة الرسول ﷺ أن يخبرهم عن الساعة، وإنما هو منذر؛ فمن اهتدى فلنفسه، ومن عمي فعليها، وما ربك بظلام للعبيد، وهو آت حتما.

٦ ـ يوم القيامة يتذكر كل إنسان ما عمله في الدنيا من خير أو شر، ويجازي عليه؛ فأما من عصى الله، وفضل شهوات نفسه عَلَى رضا اللَّه فمصيره النار، وأما من أطاع اللَّه وابتعد عن الشرور والآثام فجزاؤه الجنة. والله من وراء القصد.

* * * * *

سورة عبس

نزلت بمكة، وآياتها ٤٢ آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾

معاني الكلمات:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: قطَّب وجهه الشريف ﷺ وأعرض. ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: هو عبد الله بن أم مكتوم. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؟: وما يعرفك؟ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: يتطهر بتعليمك من دنس الجهل. ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: يتطهر من الذنوب مما يسمع منك. ﴿يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ.﴿ٱسْتَغْنَىٰ﴾: كان غنيا بماله وقوته.

أسباب النزول

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه، إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديما، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء، ويلح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعًا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم، وأعرض عنه، وأقبل عَلَى الآخر فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾.

التفسير

عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ جاء ابن أم مكتوم إِلَى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣﴾

﴿تَصَدَّىٰ﴾: تتعرض له بالإقبال عليه. ﴿وَمَا عَلَيۡكَ﴾: ليس عليك بأس أو ملامة. ﴿يَزَّكَّىٰ﴾: ألا يسلم الكافر. ﴿جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾: وصل إليك مسرعا ليتعلم. ﴿يَخۡشَىٰ﴾: يخاف الله. ﴿تَلَهَّىٰ﴾: تتلهى تتشاغل وتعرض. ﴿كَلَّآ﴾: حقا أو إرشاد بليغ لترك المعاودة. ﴿إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾: إن آيات القرآن موعظة وتذكير. ﴿ذَكَرَهُۥ﴾: حفظه واتعظ به. ﴿مُّكَرَّمَةٖ﴾: معظمة عند الله.

رسول الله ﷺ: «ما حاجتك؟ هل تريد شيئًا !!! وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء». عن عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بلال لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتَّى تسمعوا آذان ابن أم مكتوم» وهو الأعمى الذي أنزل الله فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾، وكان يؤذن مع بلال، قال سالم: وكان رجلًا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتَّى يقول له الناس حين ينظرون إِلَى بزوغ الفجر أذِّن.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾؛ أي هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم. وقال قتادة: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ يعني القرآن. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي فمن شاء ذكر الله في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إِلَى الوحي لدلالة الكلام عليه.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ * مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾؛ أي في معظَّمة موقرة. ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾؛ أي عالية القدر، ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾؛ أي من الدنس والزيادة والنقص، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾؛ السفرة: الملائكة والسفر يعني بين الله ـ تعالى ـ وبين خلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير. وقال البخاري: سفرة: الملائكة، سفرت أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إِذَا نزلت بوحي الله ـ تعالى ـ

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعة القدر والمنزلة. ﴿سَفَرَةٍ﴾: ملائكة تكون رسلا بين الله ورسله. ﴿بَرَرَةٍ﴾: مطيعين له - تعالى - أو صادقين. ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾: لعن الكافر أو عذب. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: ماء يسير مهين. ﴿فَقَدَّرَهُ﴾: فسواه وهيأه لما يصلح له. ﴿السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: بين له طريق الخير والشر. ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾: أمر بدفنه في قبره تكرمة له.

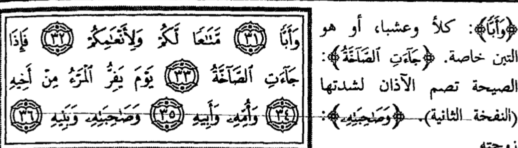
وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم.

وقوله - تعالى -: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أي خُلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله عَلَى السداد والرشاد. عن عائشة - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران». يقول الله - تعالى -: ذامًا لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قتل الإنسان لعن الإنسان ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أشد كفره، وقال ابن جرير: «أي شيء جعله كافرًا؛ أي ما حمله عَلَى التكذيب بالمعاد». وقال قتادة: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما ألعنه، ثم بين - تعالى - له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر عَلَى إعادته كما بدأ فقال - تعالى -:﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾؛ أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ عن ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه، وقال مجاهد: هذه كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾؛ أي أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أي جعله ذا قبر، وقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾؛ أي بعثه بعد موته، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلاَّ

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً﴾

﴿أَنشَرَهُۥ﴾: أحياه بعد موته. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: لم يفعل ما أمره الله به بل قصر. ﴿فَلْيَنظُرِ﴾: فليتأمل. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: أنزلناه من السحاب. ﴿شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾: جعلنا النبات يشق الأرض، أو بالحرث. ﴿وَقَضْبًا﴾: عملنا رطبا للدواب كالبرسيم. ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بساتين عظاما، ملتفة الأشجار كثيرتها.

عجب ذنبه» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل فيه تنشأون» وهذا الحديث ثابت في الصحيحين. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ يقول: لم يؤد فرض الله عليه ـ عز وجل ـ من الفرائض. ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي بعثه ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾؛ أي: لا يفعله الآن حَتَّى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إِلَى الدنيا، وقد أمر به ـ تعالى ـ فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم. أليس ذلك كله كافيا لإيمان الكافر؟ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة عَلَى إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية، وترابا متمزقا. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾؛ أي أنزلناه من السماء عَلَى الأرض. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ أي أسكناه فيها فيدخل في تخوفها، وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر عَلَى وجه الأرض. ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾؛ فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والقضب: هو الغصفة التي تأكلها الدواب رطبة. ويقال لها: «القت» وهو البرسيم. ﴿وَزَيْتُونًا﴾؛ وهو أدم وعصيره أدم يستصبح به ويدهن به. ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ يؤكل بلحا بسرًا ورطبًا وتمرًا ونيئا ومطبوخا. ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾؛ أي بساتين. قال قتادة: غلبا: نخل غلاظ كرام،



﴿وَأَبًّا﴾: كلأ وعشبا، أو هو التبن خاصة. ﴿جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: الصيحة تصم الآذان لشدتها (النفخة الثانية). ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته

وقال ابن عباس: ﴿غُلْبًا﴾ الشجر الذي يستظل به. وقال ابن عباس أيضا: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾؛ أي طوال، وقال عكرمة: ﴿غُلْبًا﴾؛ أي غلاظ الأوساط وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾؛ أبا: الفاكهة وكل ما يتفكه به من الثمار. قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطبا، «الأب»: ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم، وقال قتادة: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء: كل شيء نبت عَلَى وجه الأرض؛ فهو أب، وعن ابن عباس: الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس. ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾؛ أي عيشه لكم ولأنعامكم فِي هذه الدار إِلَى يوم القيامة. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ قال ابن عباس: الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه اللَّه وحذره عباده. قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة فِي الصور وقال البغوي: الصاخة يعني صيحة وسميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماء؛ أي تبالغ فِي أسماعها حَتَّى تكاد تصمها. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾؛ أي يراهم ويفر منهم، ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل. وفي الحديث الصحيح فِي أمر الشفاعة أنه إِذَا طلب إِلَى كل من أولى العزم أن يشفع عند اللَّه فِي الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك اليوم إِلاَّ نفسي حَتَّى أن عيسى بن مريم يقول: لا أسأل اليوم إِلاَّ نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾. قال قتادة: الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب، من هول ذلك اليوم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي هو فِي شغل شاغل عن غيره. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال

لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: حال يشغله عن غيره. ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: متهللة مشرقة مضيئة. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: يعلوها الغبار. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: يعلوها سواد وظلمة. ﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾: الذي يخرجون عن حدود الدين.

رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾؛ أي يكون الناس هناك فريقين وجوه مسفرة، أي مستنيرة. ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾؛ أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر علَى وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾؛ أي يعلوها وتغشاها قترة؛ أي سواد. قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة علَى وجوههم» قال فهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ وقال ابن عباس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾؛ أي يغشاها سواد الوجوه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾؛ أي الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

من إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الالتفات من الغيبة إلَى الخطاب زيادة في العتاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ فالتفت تنبيها للرسول إلَى العناية بشأن الأعمى.

٢ ـ جناس الاشتقاق بين «يذكر .. الذكرى».

٣ ـ الكناية الرائعة: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ كنى بالسبيل عن خروجه من بطن الأم.

٤ ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجب من إفراط كفره، مع كثرة إحسان الله.

٥ ـ الطباق بين «تصدى وبين تلهى»؛ لأن المراد بهما تتعرض وتنشغل.

٦ ـ التفصيل بعد الإجمال ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ثم فصل ذلك وبينه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

٧ ـ المقابلة بين السعداء والأشقياء: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ قابلها بقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

٨ ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات؛ مثل: ﴿عبس وتولى .. يزكى﴾، ومثل: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ العبرة والعظة من قصة «عبدالله بن أم مكتوم»، الذي جاء إِلَى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يعلمهَ مما علمه الله، وكان رسول اللَّه ﷺ مشغولا مع جماعة من كبراء قريش يدعوهم إِلَى الإسلام، وعاتبه ربه فِي ذلك، ولنعلم أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أمر رسوله بألا يفرق بين الغني والفقير وبين القوي والضعيف، وبين له أنه ليس عليه لوم فيمن بقي عَلَى كفره، وينبغي ألا يبعثه الحرص عَلَى إسلامه إِلَى الإعراض عمن أسلم.

٢ ـ آيات القرآن كلها مواعظ بينه ظاهرة، وهي مدونة فِي صحف مرفوعة القدر، لا يمسها إِلاَّ المطهرون، تنزل بها الملائكة الأطهار عَلَى خير رسله ـ عليهم السلام.

٣ ـ ما أشد جحود الكافر!!! لقد أوجده اللَّه من ماء سائل حقير، وجعله خلقا مستويا، وبين له طريق الخير والشر، ثم أماته، وأمر أن يتخذ له قبر يواري فيه جسده تكريما له، ثم يبعثه فِي الوقت الذي يريده، أليس ذلك كله كافيا لإيمانه؟

٤ ـ تعرف عَلَى قدرة اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، الذي أنزل الماء من السماء فأروى الأرض، فأنبتت أنواع الطعام ليستمتع به هو والحيوان، كالحب والفاكهة والزيتون والمرعى وإذا لم تجد طعامك فيكف تعيش، فسبحان ذو الفضل والنعم.

٥ ـ يوم القيامة ينشغل كل إنسان بنفسه، ويذهل كل إنسان عن أقرب الناس إليه، وصار الناس قسمين: قسما مسرورًا مبتجهًا، وهم المؤمنون، وقسمًا كئيبا حزينًا، وهم الكافرون.

وبالله التوفيق.

سورة التكوير

نزلت بمكة، وآياتها ٢٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا

معاني الكلمات:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أزيل ضياؤها، أو لفّت وطويت. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾: أظلمت - أو تساقطت وتهاوت. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أزيلت عن مواضعها، وسارت في الجو سير السحاب.

أسباب النزول

لما أنزل الله - عز وجل - ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا وإن لم نشأ لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

التفسير

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «من سره أن ينظر إِلَيَّ يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت. وقال مجاهد: ذهبتْ واضمحلت. قال ابن جرير: إن التكوير جمع الشيء بعضه عَلَى بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها ببعض. ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إِلَى بعض ثم لُفَّتْ فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها. وعن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فِي البحر ويبعث الله ريحًا دبورا فتضرمها نارًا، وعن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: فِي قول الله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كورت فِي جهنم. وقوله - تعالى -:

ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا

﴿ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: النوق الحوامل أهملت بلا راع، أو السحب لم تمطر. ﴿ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جمعت من كل صوب. ﴿ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أوقدت فصارت نارًا تضطرم.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي انتثرت، عن أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال عَلَى وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إِلَى الإنس والإنس إِلَى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض. ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ قال: اختلطت. ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أهملها أهلها. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر. قال: فانطلقوا إِلَى البحر فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إِذَا تصدعت الأرض صدعة واحدة إِلَى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا. قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي تناثرت. عن ابن عباس قال في قوله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾؛ أي تغيرت، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي زالت عن أمكانها، ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفًا، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال عكرمة ومجاهد: عشار الإبل، قال مجاهد: تركت وسيبت. وقال أبي بن كعب: أهملها أهلها، وقال الضحاك: تركت لا راعي لها، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾؛ أي جمعت. قال ابن عباس: يحشر كل شيء حَتَّى الذباب، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ عن سعيد بن المسيب قال: قال علي ﷺ لرجل من اليهود وأين جهنم؟ قال: البحر. فقال ما أراه إِلاَّ صادقا، ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: يرسل اللَّه الرياح فتسعرها وتصير نارًا تأجج، وفي سنن أبي داود «لا يركب البحر إِلاَّ

ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قرنت كل نفس بشكلها؛ أي عادت الروح إِلَى الأجسام. ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: البنت التي تدفن حية. ﴿ٱلصُّحُفُ﴾:

حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا»، وقال مجاهد: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت. وقال قتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيه قطرة. وقال الضحاك: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فجرت، وقال السدي: فتحت وصيرت، قال الربيع: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فاضت. ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ أي جمع كل شكل إِلَى نظيره، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ - قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله». وعن النعمان بن بشير أيْضًا: أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فقال: تزوجها أن تؤلف كل شيعة إِلَى شيعتهم، وفي رواية: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار، وسئل عمر عن قوله - تعالى -:﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوءَ فِي النار فذلك تزويج الأنفس، وعن الحسن البصري فِي قوله - تعالى -:﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ أي زوجت بالأبدان. وقيل: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين. وقوله - تعالى -:﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾، والموءودة: هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها فِي التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسئل الموءودة عَلَى أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإنه إِذَا سئل المظلوم فما ظن الظالم إِذًا. عن عائشة قال: حضر رسول اللَّه ﷺ فِي ناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت فِي الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئًا، ثم سألوه عن العزل فقال رسول اللَّه ﷺ : «ذلك الوأد الخفي، وهو الموءودة سئلت». وأخبرنا عوف قال: قلت يا رسول اللَّه: من فِي الجنة؟ قال: «النبي فِي الجنة، والشهيد فِي الجنة، والمولود فِي الجنة، والموءودة فِي الجنة». وعن

نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ

المكتوب فيها الأعمال. ﴿كُشِطَتْ﴾: قلعت كما يقلع السقف، أزيلت. ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أوقدت وأضرمت للكفار. ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قربت وأدنيت من المتقين. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: ما عملت من خير وشر.

عكرمة قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب. وعن عمر بن الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يار سول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية. قال: «اعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل. قال: «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله. قال قتادة: يا ابن آدم تُملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى في صحيفته. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ قال مجاهد: اجتذبت، وقال السدى: كشفت. وقال الضحاك: تنكشط فتذهب، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أحميت، وقال قتادة: أوقدت، قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ أي قربت إلى أهلها، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو الجواب؛ أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وأحضر ذلك لها؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾؛ هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، وعن بكر بن عبدالله في قوله ـ تعالى ـ:﴿ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال: هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق، وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم

بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: أقسم، واللام للتأكيد. ﴿بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: بالكواكب السيارة تخنس نهارًا، وتختفي عن البصر؛ وهي فوق الأفق، وتظهر ليلا ثم تنكس وتستتر في مغيبها تحت الأفق. ﴿عَسْعَسَ﴾: أقبل ظلامه، أو أدبر. ﴿تَنَفَّسَ﴾: ظهر، أو أضاء وتبلج. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: يبلغه عن اللَّه (جواب القسم) جبريل عليه السلام.

الخنس؛ أي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها: كنس من قول العرب: آوى الظبي إلى كناسه إذا تغيب فيه. وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش، قال: ويحتمل أن يكون الجميع مرادا. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ إذا أدبر. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي أضاء، وقال الضحاك: إذا طلع، وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين. وقوله - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم؛ أي ملك شريف، حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾؛ كقوله - تعالى -: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾؛ أي شديد الخلق، شديد البطش والفعل. ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؛ أي له مكان عند اللَّه - عز وجل - ومنزلة رفيعة، قال أبو صالح في قوله - تعالى -: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قال: جبريل يدخل في سبعين حجابا من النور بغير إذن. ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾؛ أي له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى. قال قتادة: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾؛ أي في السموات يعني ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وقوله - تعالى -: ﴿أَمِينٍ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدًا أن الرب - عز وجل - يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدًا ﷺ بقول - تعالى -: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾؛ يعني محمدًا ﷺ.

﴿ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ﴾

﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة رفيعة عنده - تعالى. ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: مطاع بين الملائكة. ﴿أَمِينٍ﴾: محافظ عَلَى الوحي. ﴿صَاحِبُكُم﴾: النبي ﷺ. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: رأى محمد جبريل - عليهما السلام. ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: رؤية عين.

وقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن اللَّه - عز وجل - عَلَى الصورة التي خلقه اللَّه عليها له ستمائة جناح. ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي البين وهي الرؤيا الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله - تعالى -: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾، وهذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلاَّ هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ ﴾، فتلك إنما ذكر في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء. وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾؛ أي وما محمد عَلَى ما أنزله اللَّه إليه بضنين أي ؟تهم، ومنهم قرأ ذلك بالضد؛ أي ببخيل بل يبذله لكل أحد. قال قتادة: كان القرآن غيبا فأنزله اللَّه عَلَى محمد فما ضن به عَلَى الناس بل نشره وبلغه، وبذله لكل من أراده. وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم؛ أي لا يقدر عَلَى حمله ولا يريده، ولا ينبغي له؛ كما قال - تعالى -: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢ ﴾.

وقوله - تعالى -: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند اللَّه - عز وجل - وقال قتادة: ﴿فَأَيْنَ

ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الوحي وخبر السماء. ﴿بِضَنِينٍ﴾: ببخيل فيقصر في تبليغه. ﴿رَّجِيمٍ﴾: ملعون. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: كيف تضلون بعد ظهور الحق؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: ليس القرآن إلاّ عظة. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: يتبع الحق.

تَذْهَبُونَ﴾؛ أي عن كتاب الله وعن طاعته. وقوله - تعالى -: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي ليست المشيئة موكولة إليكم؛ فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله - تعالى - رب العالمين. قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبدالعزيز عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. والله الموفق.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - الخنس والكنس: جناس ناقص.

٢ - ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ استعارة تصريحية في كلمة تنفس حيث شبه إقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحيي القلب، واستعار لفظ التنفس لإقبال النهار بعد الظلام.

٣ - ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ كني عن محمد بلفظ ﴿صَاحِبُكُم﴾.

٤ ـ الطباق بين لفظ (الجحيم ـ والجنة).
٥ ـ (أمين ومكين) جناس غير تام.
٦ ـ توافق الفواصل رعاية لرءوس الآيات: (كورت ـ سيرت ـ سجرت ـ سعرت) (الخنس، الكنس، عسس، وتنفس). وكل هذه المحسنات تكسب الكلام جرسا موسيقيا جميلا يثير النفس ويبعث عَلَى الحفظ.

ما نتعلمه من الآيات الكريمة

١ ـ تعالج السورة الكريمة حقيقتين هامتين هما: «حقيقة القيامة، وحقيقة الوحي والرسالة»، وكلاهما من لوازم الإيمان.
٢ ـ بيان القيامة وما يصاحبها من إنقلاب كوني هائل يشمل الشمس والنجوم والجبال، والبحار، والأرض، والسماء والأنعام، والوحوش؛ كما يشمل البشر ويهز الكون هزًا عنيفا طويلا، ينتثر فيه كل ما في الوجود، ولا يمضي شيء إلاَّ وقد تبدل وتغير من هول ما يحدث في ذلك اليوم الرهيب.
٣ ـ حقيقة الوحي، وصفة النبي الذي يتلقاه، ثم شأن المخاطبين بهذا الوحي الذي نزل لينقلهم من ظلمات الشرك والضلال إِلَى نور العلم والإيمان.
٤ ـ يؤكد اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، أن القرآن قول جبريل عن الله، والله أمره بتبليغه إِلَى نبيه، وليس محمد مجنونا؛ كما يدعي الكفار، لكنه رسول الله، جاءه جبريل بالوحي، فلم يبخل به عليكم، وبلغه إليكم.
٥ ـ لقد ظهر لكم طريق الخير، وطريق الشر، فالذي يريد لنفسه الخير يسلك طريق الخير، ويوفقه اللَّه إليه. ولنا في رسول اللَّه ﷺ أسوة حسنة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ونسأل اللَّه التوفيق والسداد.

* * * * *

سورة الانفطار

نزلت بمكة وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

معاني الكلمات:

﴿انفَطَرَتْ﴾: انشقت عند قيام الساعة، فاختل نظامها.
﴿انتَثَرَتْ﴾: تساقطت متفرقة.
﴿فُجِّرَتْ﴾: شققت جوانبها فصارت بحرًا واحدًا.
﴿الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب ترابها، وأخرج موتاها. ﴿قَدَّمَتْ﴾: عملت من طاعة الله. ﴿وَأَخَّرَتْ﴾: تركت من طاعة.
﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾: أي شيء خدعك، فكفرت بربك.

التفسير

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾؛ أي انشقت، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾؛ أي تساقطت. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ تحرك فيخرج من فيها. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، هذا هو الجواب؛ أي علمت عندئذ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر، وما قدمت من صالح، وهذه بعض أحوال الآخرة وأهوالها. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؛ أي: أي شيء خدعك بربك الحليم الكريم حتّى عصيته وتجرأت عَلَى مخالفة أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك، وهذا توبيخ وعتاب؛ كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان، حدثنا سفيان: أن عمر سمع رجلا يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال عمر: الجهل. وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ شيء ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان، وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي ما غرك بي لقلت «ستورك

﴿ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا﴾

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: جعل أعضاءك سوية سليمة. ﴿فَعَدَلَكَ﴾: جعلك معتدلا، متناسب الخلق. ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا﴾: في أعجب صورة وأتقنها. ﴿تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾: بالحساب أو الجزاء. ﴿لَحَٰفِظِينَ﴾: ملائكة يحفظون أقوالكم وأعمالكم. ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾: المؤمنين. ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾: الكفار. ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾: لفي دار العذاب. ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: يدخلونها، أو يقاسون حرها وعذابها.

المرخاة». وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي ما غرك بربك الكريم، لقلت غرني كرم الكريم، وإنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾؛ لينبه عَلَى أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال الفجور، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: ما غرك بالرب الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك،؛ أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال. ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: إنما يحملكم عَلَى مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم. عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتبين الذي لا يفارقوكم إلاَّ عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره»، ثم يخبر ـ تعالى ـ عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله ـ عز وجل ـ ولم يقابلوه بالمعاصي عن ابن عمر عن النبيﷺ قال: «إنما سماهم الأبرار؛ لأنهم برُّوا الآباء والأبناء» ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي يوم الحساب

يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء.
﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: لا يخرجون منها.
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ؟﴾: أي شيء أعلمك.
﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: والحكم.

والجزاء والقيامة، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إِلَى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوما واحدًا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكده بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾؛ أي لا يقدر أحد عَلَى نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إِلاَّ أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضى، ونذكر هنا حديث رسول اللَّه ﷺ: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، لا أملك لكم من اللَّه شيئًا»، ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وكقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. قال قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد.
تباركت ربنا وتعاليت ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

* * * * *

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ قدمت ـ وأخرت: طباق.
٢ ـ الأبرار ـ والفجار، نعيم ـ جحيم: وهي مقابلة لطيفة.
٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ استعارة مكنية شبه الكواكب بجواهر قطع سلكها

فانتثرت متفرقة، وحذف المشبه ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الانتثار عَلَى سبيل الاستعارة المكنية.

٤ - ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ الاستفهام للتوبيخ والإنكار.

٥ - لفظة (نعيم وجحيم) التنكير للتعظيم والتهويل.

٦ - ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ إطناب لتعظيم ذلك اليوم وبيان شدته.

٧ - السجع المرصع؛ وهو من المحسنات البديعية. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَـٰتِبِينَ (١١)﴾.

روي أن الخليفة سليمان بن عبدالملك: قال لأبي حازم المزني: ليت شعري أين مصيرنا يوم القيامة؟ وما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك عَلَى كتاب الله تجد ما لك عند اللَّه. فقال: وأين أجد ذلك في كتاب اللَّه !!! قال: عند قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ قال سليمان: فأين إذًا رحمة الله؟ فأجابه بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ نفعنا اللَّه بعلمهم، وزادنا علما، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ما نتعلمه من السورة الكريمة «الانفطار»

١ - بينت السورة مشاهد الانقلاب الذي يحدث في الكون من انفطار السماء وانتثار الكواكب، وتفجير البحار وبعثرة القبور، وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء.

٢ - الإنسان يجحد نعم الله، ويقابل فيوض النعمة منه - جلا وعلا -، ولا يعرف للنعمة حقها، ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكره عَلَى الفضل والنعمة والكرامة التي منحها له.

٣ - وكَّل اللَّه - سبحانه وتعالى - بكل إنسان ملائكة يسجلون عليه أعماله، ويتعقبون أفعاله، فيجب ألا نقابلهم بالقبائح؛ لأنهم يسجلون علينا كل صغيرة وكبيرة.

٤ - يوم القيامة تتجرد النفوس يومئذ من كل حول وقوة، وينفرد اللَّه - جل وعلا -

بالحكم والسلطان، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

٥ ـ الإيمان بالجزاء والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، يوم القيامة وعلينا أن نشكر نعم اللَّه علينا، وأن نحارب شياطين الإنس والجن بالدعوة إِلَى اللَّه والإخلاص فِي عبادته فهو نعم المولى، ونعم النصير.

* * * * *

سورة المطففين

نزلت بمكة وآياتها ٣٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ

معاني الكلمات:

﴿وَيْلٌ﴾: عذاب أو هلاك، أو وادٍ في جهنم. ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: المنقصين في الكيل أو الوزن. ﴿اكْتَالُوا﴾: اشتروا بالكيل ومثله الوزن. ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخذون الكيل وافيا. ﴿كَالُوهُمْ﴾: أعطوا غيرهم بالكيل. ﴿وَّزَنُوهُمْ﴾: أعطوا غيرهم بالوزن. ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون الكيل والوزن. ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾: ألا يعلم؟

أسباب النزول

عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال القرطبي: كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها.

وقال السدى: قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية.

التفسير

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ المراد بالتطفيف البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر ـ تعالى ـ المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك؛ وهو الويل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾؛ أي من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾؛ أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

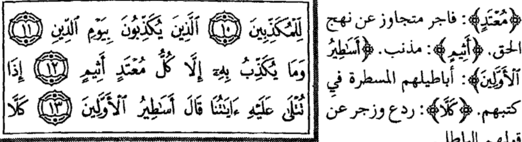
أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٩﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ

﴿مَّبۡعُوثُونَ﴾: محاسبون. ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة. ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾: يقومون من قبورهم. ﴿كَلَّآ﴾: حقا. ﴿كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾: ما يكتب من أعمالهم، جمع فاجر: وهو العاصي. ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾: لمثبت في ديوان الشر، وهي منزلة منحطة. ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ﴾: واضح الكتابة، أو معلم بعلامة.

يُخۡسِرُونَ﴾؛ أي ينقصون. وقد أمر اللَّه - تعالى - بالوفاء في الكيل والميزان فقال - تعالى -: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾، وأهلك اللَّه قوم شعيب ودمرهم عَلَى ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال. ثم قال - تعالى - متوعدًا لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل نارًا حامية؟ وقوله - تعالى -: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقت صعب حرج ضيق ضنك عَلَى المجرم، ويغشاهم من أمر اللَّه - تعالى - ما تعجز القوي والحواس منه. عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حَتَّى يغيب أحدهم في رشحه إِلَى أنصاف أذنيه»، وعن ابن عمر سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حَتَّى إن العرق ليلجم الرجال إِلَى أنصاف آذانهم»، وعن المقداد قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حَتَّى تكون قدر ميل أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم؛ منهم: من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا» رواه مسلم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم





﴿مُعْتَدٍ﴾: فاجر متجاوز عن نهج الحق. ﴿أَثِيمٍ﴾: مذنب. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم المسطرة في كتبهم. ﴿كَلَّا﴾: ردع وزجر عن قولهم الباطل.

الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟» قال بشير: المستعان الله، قال: «فإذا أويت إِلَى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة، وسوء الحساب»، وفي سنن أبي داود أن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة، وعن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشرا ويحمد عشرا، ويسبح عشرا، ويستغفر عشرا، ويقول: «اللهم اغفر لي واهدني، وارزقني، وعافني»، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة. يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾؛ أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن؛ وهو الضيق، ولهذا عظم أمره فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟؛ أي هو أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم، ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة. يقول اللَّه ﷻ في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سجين، وسجين هي تحت الأرض السابعة، وقيل صخرة تحت السابعة خضراء وقيل بئر في جهنم. ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وهو يجمع الضيق والسفول، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ ليس تفسيرًا لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إِلَى سجين؛ أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد، ولا ينقص منه أحد، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي إِذَا صاروا يوم القيامة إِلَى ما أوعدهم اللَّه من السجن والعذاب المهين، والمراد بالويل الدمار والهلاك. قال رسول اللَّه ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له» ثم قال ـ تعالى ـ مفسرًا للمكذبين الفجار الكفرة، ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾؛

﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ

﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾: غلب وغطى عليها. ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾: لممنوعون من رؤية الله. ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: لداخلون النار، أو مقاسون حرها. ﴿كَلَّا﴾: ردع وزجر عن قولهم

أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي إذا سمع كلام الله ـ تعالى ـ من الرسول يكذب به، ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾؛ أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله عَلَى رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين، الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، والرين يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت فذلك قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، ولفظ النسائي: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتَّى تعلو قلبه فهو الران»، وقال الحسن البصري: هو الذنب عَلَى الذنب حتَّى يعمى القلب فيموت.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي علهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم خالقهم. قال الإمام أبو عبد الله الشافعي، وفي هذه الآية دليل عَلَى أن المؤمنين يرونه ـ عز وجل ـ يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ كما دل عليه منطوق قوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ

تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

الباطل. ﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: ما يكتب من أعمالهم. ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: لمثبت في ديوان الخير؛ وهي منزلة رفيعة. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: وما أعلمك؟ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: يراه الملائكة. ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: مقاعد منجدة، ذات ومتكآت؛ هي الأسرة في الحجال.

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وكما دلت عَلَى ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة.

قال ابن جرير في قوله - تعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾. قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية، وقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي ثم هم مع هذا الحرمان من رؤية الرحمن من أهل النيران. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك عَلَى وجه التقريع والتوبيخ، والتصغير، والتحقير.

يقول اللَّه - تعالى - حقا: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾؛ أي مصيرهم إِلَى عليين. عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر عن سجين قال: قال هي الأرض السابعة، وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عليين، فقال: هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، وعن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾؛ يعني الجنة. وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمنى، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى، والظاهر: أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال - تعالى - معظما أمره ومفخما شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثم قال - تعالى - مؤكدًا لما كتب لهم: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾؛ وهم الملائكة وعن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها، ثم قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾؛ أي

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بهجته ورونقه وبهاءه. ﴿مِن رَّحِيقٍ﴾: أجود الخمر وأصفاه ولا غش فيه. ﴿مَّخْتُومٍ﴾: إناؤه حَتَّى يفكه الأبرار. ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾: ختام إنائه المسك بدل الطين، أو عاقبته ريح المسك. ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾: فليتسارع، أو فليستبق. ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: ما يخلط به ذلك الشراب. ﴿مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا﴾: من عين مرتفعة يتدفق منها الماء؛ بسهولة بها أشرف شراب.

يوم القيامة هم فِي نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ وهي السرر تحت الحجاب. ﴿يَنظُرُونَ﴾ قيل معناه ينظرون فِي ملكهم، وما أعطاهم اللَّه من الخير والفضل، الذي لا ينقضي ولا يبيد. وقيل معناه: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إِلَى اللَّه ـ عز وجل ـ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إِلَى اللَّه ـ عز وجل ـ وهم عَلَى سررهم وفرشهم؛ كما فِي حديث ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فِي ملكه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاهم لمن ينظر إِلَى اللَّه ـ عز وجل ـ فِي اليوم مرتين»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي تعرف إِذَا نظرت إليهم فِي وجوههم نضرة النعيم؛ أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾؛ أي يسقون من خمر الجنة والرحيق من أسماء الخمر. عن أبِي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: أيّما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء عَلَى ظمأ سقاه اللَّه ـ تعالى ـ يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمنًا عَلَى جوع أطعمه اللَّه من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا عَلَى عري كساه اللَّه من خضر الجنة». وقال ابن مسعود فِي قوله: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي خلطه مسك، وعن ابن عباس: طيب اللَّه لهم الخمر فكأن، آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك، وقال إبراهيم والحسن: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي عاقبته مسك. وعن

بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: كفروا. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾: يستهزئون بالمؤمنين. ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يشيرون إليهم استهزاء. ﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾: رجعوا ضاحكين ساخرين من المؤمنين متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين. ﴿لَضَآلُّونَ﴾: منحرفون عن الحق. ﴿حَٰفِظِينَ﴾: شاهدينَ بهدايتهم أو ضلالهم. ﴿ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾: جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين.

أبي الدرداء: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلاً من أهل الجنة أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلَّا وجد طيبها. وعن مجاهد: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: طيبه مسك. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي وفي مثل هذا الحال فليفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلَى مثله المستبقون. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾؛ أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم؛ أي من شراب يقال له تسنيم؛ وهو أشرف شراب الجنة وأعلاه، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي يشربها المقربون صرفا، وتمزج لأصحاب اليمين، ثم يخبر ـ تعالى ـ عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين؛ أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم؛ أي محتقرين لهم. ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾؛ أي وإذا انقلب؛ أي رجع هؤلاء المجرمون إلَى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين؛ أي مهما طَلَبوا وَجَدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة اللّه عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ أي لكونهم عَلَى غير دينهم، قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين عَلَى هؤلاء المؤمنين ما يصدونهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾؛ يعني يوم القيامة. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾؛ أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾؛ أي إِلَى اللَّه ـ عز وجل ـ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء اللَّه المقربين ينظرون إِلَى ربهم فِي دار كرامته، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي هل جوزي الكفار عَلَى ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص، أم لا يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ التنكير للتهويل والتفخيم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

٢ ـ الطباق: بين «يستوفون، ويخسرون».

٣ـ المقابلة بين حال الفجار والأبرار: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾، و﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾.

٤ ـ التفخيم والتعظيم لمراتب الأبرار ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾؟

٥ ـ جناس الاشتقاق: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

٦ ـ الإطناب بذكر أوصاف ونعيم المتقين: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾.

٧ ـ التشبيه البليغ ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي كالمسك في الطيب والبهجة.

٨ ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات؛ مثل: يضحكون، ينظرون، يكسبون.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ إعلان الحرب عَلَى المطففين فِي الكيل والوزن، الذي لا يخافون الآخرة، ولا يحسبون حسابًا للوقفة الرهيبة بين يدي اللَّه ـ سبحانه وتعالى.

٢ - بينت جزاء الكفار الفجار يوم القيامة؛ حيث يساقون إِلَى الجحيم مع الزجر والتهديد.

٣ - جزاء المتقين الأبرار، وما لهم من النعيم الخالد الدائم فِي دار العز والكرامة.

٤ - موقف أهل الشقاء والضلال من عباد اللَّه الأخيار؛ حيث كانوا يهزءون بهم فِي الدنيا، ويسخرون عليهم لإيمانهم وصلاحهم ويوم القيامة يضحك المؤمنون من الكفار؛ كما ضحك الكفار منهم فِي الدنيا.

٥ - إن عذاب اللَّه يقع عَلَى الذين إِذَا كان لهم شيء عند أحد استوفوه كاملا، وإذا كان لأحد شيء عندهم أعطوه ناقصا، ولو كانوا يظنون أنهم مبعوثون ومحاسبون عَلَى ما يعلمون، ما فعلوا ذلك.

٦ - الذين يعصون الله، يرون يوم القيامة صحف أعمالهم الخبيثة فِي منزلة منحطة، وهولاء لهم عذاب أليم فِي الآخرة، بسبب عصيانهم وتكذيبهم.

٧ - هؤلاء الكافرون يحجبون عن رحمة الله، ويدخلون النار يقاسون حرها وشدتها.

٨ - الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لا يضيع عمل عامل منهم، بل هو محفوظ فِي كتاب رفيع المنزلة، يراه المقربون إِلَى اللَّه، وهؤلاء يدخلون الجنة، ويتمتعون بنعيمها وراحتها.

٩ - يجلس المؤمنون عَلَى مقاعد منجدة ذات متكآت، فِي مقاصير فردية، وينظرون ما أمامهم من أنواع الجمال، ويضحكون ويستبشرون، ويشربون شرابا خالصًا تفوح منه رائحة المسك.

١٠ - وفي يوم القيامة تنعكس القضية، ويسخر المؤمنون من الكافرين الذي يعاقبون بكفرهم، ويدخلون جهنم وبئس القرار، وقانا اللَّه وإياكم شر فيح نار جهنم، وعصمنا من كل سوء، وجعلنا نشرب من رحيق مختوم ختامه مسك، تباركت يا ذا الجلال والإنعام، ولك الحمد عَلَى ما هديتنا إِلَى الإيمان بك يا أرحم الراحمين.

* * * * *

سورة الانشقاق

نزلت بمكة، وآياتها ٢٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)

معاني الكلمات:

﴿السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾: انصدعت عند قيام الساعة. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾: استمعت، فأطاعت وانقادت له ـ تعالى. ﴿وَحُقَّتْ﴾: حَقَّ اللَّهُ عليها الاستماع والانقياد.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: بسطت وسويت. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: لفظت ما في جوفها من أموات ونيران ومعادن. ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: لم يبق في باطنها شيء وخلت عنه غاية الخلو.

التفسير

عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها، وعن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ فسجد، فقلت له فقال : سجدت خلف أبي القاسمﷺ فلا أزال أسجد بها حَتَّى ألقاه، وعن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول اللهﷺ في ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾، و﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾، أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة، ﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي حق لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء، وذل كل شيء، وذل له كل شيء، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾؛ أي بسطت وفرشت ووسعت.

عن علي بن الحسن أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم؛ حَتَّى لا يكون لبشر من الناس إِلَّا موضع قدميه فأكون أَوَّل من يدعى وجبريل عن يمين

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا

﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾: جاهد في عملك إلى لقاء ربك.
﴿فَمُلَـٰقِيهِ﴾: فملاق عملك.
﴿يَدۡعُواْ ثُبُورًا﴾: ينادي هلاكا يا ثبوراه.

الرحمن، والله ما رآه قبلها فأقول: يا رب إن هذ أخبرني أنك أرسلته إليّ فيقول الله ـ عز وجل ـ: صدق ثم اشفع، فأقول: يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض ـ قال ـ وهو المقام المحمود، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾؛ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم. ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾، وحق أن أن تطيع أمره، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾؛ أي إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا، ﴿فَمُلَـٰقِيهِ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحببت ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»، ومن الناس من يعيد الضمير عَلَى قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي فملاق ربك ومعناه مجازيك بعملك ويكافئك عَلَى سعيك، قال العوفي عن ابن عباس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾، إن كدحك يا بن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلاَّ بالله. ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب». قالت فقلت: أفليس قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»، عن

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١١ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٢ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٣ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٤ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٥ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٦﴾

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾: يدخلها أو يقاسي حرها.
﴿لَّن يَحُورَ﴾: لن يرجع إِلَى ربه تكذيبا بالبعث.
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: أقسم، واللام للتأكيد. ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: بالحمرة بعدالغروب. ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ماضمّ وجمع ماانتشر بالنهار، وجمع كل المخلوقات تحت ظلمته.

عائشة قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا»، فلما انصرفت قلت: يا رسول اللَّه ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك». صحيح عَلَى شرط مسلم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾؛ أي ويرجع إِلَى أهله في الجنة قال قتادة والضحاك: مسرورا؛ أي فرحا مغتبطا بما أعطاه اللَّه ـ عز وجل ـ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾؛ أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إِلَى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا﴾؛ أي خسارا وهلاكا، ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾؛ أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل. ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾؛ أي كان يعتقد ألا يرجع إِلَى اللَّه ولا يعيده بعد موته قال ابن عباس. والحور: هو الرجوع قال اللَّه: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ يعني بلى سيعيده اللَّه كما بدأه ويجازيه عَلَى أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به بصيرا؛ أي عليما خبيرًا.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾؛ الشفق: الحمرة، وعن أبي هريرة قال: الشفق البياض، فالشفق هو حمرة الأفق، إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد: وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة. قال الخليل ابن أحمد: الشفق الحمرة من غروب الشمس إِلَى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل: «غاب الشفق». ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام، وقال ابن جرير: أقسم اللَّه بالنهار مدابرًا وبالليل مقبلا،

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ

﴿ٱتَّسَقَ﴾: اجتمع وتكامل وتمَّ نوره. ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾: لتُلاقين أيها الناس. ﴿طَبَقًا﴾: حالا بعد حال متطابقة في الشدة. ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فلماذا لا يؤمن الكافرون، وقد علموا أن آخرتهم سيئة. ﴿يَسْجُدُونَ﴾: يخضعون.

وقال ابن جرير الشفق اسم للحمرة والبياض، وقالوا: هو من الأضداد. ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، وما جمع من نجم ودابة، قال عكرمة: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يقول: ما ساق من ظلمة إِذَا كان الليل ذهب كل شيء إِلَى مأواه: ﴿والقمر إِذَا اتسق﴾ يقول ابن عباس: إِذَا اجتمع واستوى، وابن زيد ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ إِذَا استوى وقال قتادة: إِذَا استدار ومعنى كلامهم أنه إِذَا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق، وقوله - تعالى -: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال، قال: هذا نبينا ﷺ، وعن الشعبي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قال: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء يعنون ليلة الإسراء. وعن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ منزلا عن منزل؛ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذّة بالقذة حَتَّى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: «فمن؟» قال عبد الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: السماء تتشقق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون وعن ابن مسعود ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق، وقال سعيد بن جبير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قال قوم: كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول حالا بعد حال رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغني بعد فقر، وفقرا بعد غني، وصحة بعد سقم، وسقما بعد صحة، عن جابر بن عبد اللَّه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن اللَّه - تعالى - إِذَا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره اكتب شقيا أو سعيدا، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث اللَّه إليه ملكا آخر

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُوعُونَ﴾: يضمرونه في صدورهم من الكفر.
﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أنذرهم.
﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع عنهم.

فيحفظه حتَّى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك، ثم يوكل اللَّه به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته؛ فإذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان، وجاءه ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الملك الروح في جسده، ثم ارتفع ملك الموت، وجاء ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائقا وآخر شهيدًا، ثم قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾، والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك: وإن كان الخطاب موجها إِلَى رسوله اللَّه ﷺ فهو موجه إِلَى جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؛ أي فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وما لهم إِذَا قرئت عليهم آيات اللَّه وكلامه، وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظامًا وإكراما واحتراما، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم، ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي فأخبرهم يا محمد بأن اللَّه ـ عز وجل ـ قد أعد لهم عذابًا أليما. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات؛ أي بجوارحهم.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾؛ أي في الدار الآخرة. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك: غير محسوب، وحاصل قولهما: أنه غير مقطوع كما قال

تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، إن الله - عز وجل - له المنة عَلَى أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم؛ فله عليهم المنة دائما سرمدًا والحمد لله وحده أبدا، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده؛ كما يلهمون النفس، وآخرهم دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - (السماء والأرض) طباق.

٢ - المقابلة بين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ و ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾.

٣ - ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ كناية عن الشدة والأهوال التي يلقاها الإنسان.

٤ - الجناس الناقص بين كلمتي ﴿وَسَقَ﴾ و﴿ٱتَّسَقَ﴾.

٥ - الأسلوب التهكمي ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استعمال البشارة في موضع الإنذار تهكم وسخرية بالكفار.

٦ - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات؛ مثل: (انشق - حقت - بالشفق - وسق - اتسق ، طبقا عن طبق) ويسمى السجع، وهو من المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من سورة الانشقاق

١ - حينما ينتهي أمر الدنيا، ويأتي أمر الآخرة يختلف نظام الكون، ثم يبعث الناس ويحاسب كل إنسان عَلَى ما عمل في الدنيا من خير أو شر، والمؤمن يحاسب حسابًا يسيرًا، ويدخل الجنة وأما الكافر فإنه يحاسب حسابا عسيرا، ويدخل النار، بعد أن كان متمتعا بلذات الدنيا ظانا أنه لن يبعث بعد الموت للحساب.

٢ - أكد الله - سبحانه وتعالى - للكافرين أنهم سيبعثون بعد الموت فلماذا لا يؤمنون؟ ولما لا يخضعون لأوامر القرآن ونواهيه؟ مثل هؤلاء لهم في الآخرة عذاب عظيم، أما المؤمنون فلهم ثواب دائم ونعيم مقيم.

٣ - علينا أن نؤمن بأهوال يوم القيامة، وأن نستعد للقاء الله - رب العالمين - الذي أنعم علينا بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها نعمة الإيمان، نعمة البصر والسمع، نعمة الطاعة، نعمة التوفيق، نعمة الخلود في النعيم المقيم، اللَّهُمَّ وفقنا لطاعتك حَتَّى نلقاك وأنت راض عنا.

سورة البروج

نزلت بمكة، وآياتها ٢٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ

معاني الكلمات:

﴿الْبُرُوجِ﴾: منازل الكواكب والشمس والقمر المعروفة. ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: يوم القيامة. ﴿وَشَاهِدٍ﴾: الله. ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: الإنسان الذي تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

أسباب النزول

أنزل الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ في شأن ذو نواس وكان ملكًا على اليمن، واسمه زرعة وهو ابن بيان أسعد أبي كريب وهو نبع «الغي غزا المدينة وكسى الكعبة، واستصحب معه إلى اليمن حبرين من يهود المدينة، وتهود من تهود من أهل اليمن على يديهما، ولما اعتنق ذو نواس اليهودية حاول أن يجبر أهل اليمن على اعتناقها، لكنهم أبوا أن يستجيبوا له لأنهم كانوا قد اعتنقوا المسيحية، فشق لمن خالفه الأخدود، وملأه بالنيران، وحرق من خالفه وألقاه في الأخدود، وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم ما يقرب من عشرين ألفًا.

التفسير

يقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالسماء وبروجها واختار بن جرير: أنها منازل الشمس والقمر؛ وهي اثنا عشر برجا تسير الشمس في كل واحد فيها شهرًا، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين. ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿وَالْيَوْمِ

﴿ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: لعن أشد اللعن (جواب القسم).
﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾: الشق العظيم في الأرض؛ كالخندق، وأصحاب الأخدود: قوم باليمن كانوا أصحاب بأس وقوة.
﴿ٱلنَّارِ﴾: أصحاب النار.
﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: وما عابوا وما أنكروا عليهم.

ٱلْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة، وما طلعت شمس ولا غربت عَلَى يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عند مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلاَّ أعطاه إياه، ولا يستعيذ بها من شر إلاَّ أعاذه، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة. وعن سعيد بن جبير الشاهد: الله، وتلا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾، والمشهود «نحن»، وقال الأكثرون عَلَى أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾؛ أي لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد؛ وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إِلَى من عندهم من المؤمنين بالله ـ عز وجل ـ فقهروهم وأرادهم أن يرجعوا عن دينهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ أي شاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾؛ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلاَّ إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجانبه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدَّر عَلَى عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار؛ فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي لا يغيب عنه شيء في

﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: اختبروهم بالإحراق.

﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾: أخذه الجبابرة والظلمة بالعذاب.

﴿هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: يخلق الخلق ثم يبعثهم.

جميع السموات والأرض لا تخفى عليه خافية، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ أي حرقوا قال ابن عباس، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا عَلَى ما أسلفوا، ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وذلك أن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: انظروا إِلَى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إِلَى التوبة والمغفرة، ويخبر ـ تعالىَ ـ عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ؛ أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي، فإنه ـ تعالى ـ ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء فِي مثل لمح البصر أو هو أقرب ولذا قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي من قوته وقدرته التامة يبديء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾؛ أي يغفر ذنب من تاب إليه، وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، ﴿الْوَدُودُ﴾ هو الحبيب، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾؛ أي صاحب العرش العظيم العالي عَلَى جميع الخلائق، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله، وقد روي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو فِي مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال:

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المحب لمن أطاع.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: صاحب السلطان والملك.

﴿مُحِيطٌ﴾: عليم بكل شيء.

﴿مَّجِيدٌ﴾: العظيم الجليل المتعالي.

﴿مَّحْفُوظٍ﴾: لا يحصل فيه تغيير ولا تبديل.

نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي إني فعال لما أريد. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾؛ أي هل بلغك ما أحل اللَّه بهم من اليأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي إذًا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدًا، أخذ عزيز مقتدر، عن عمرو بن ميمون قال: مر النبيﷺ عَلَى امرأة تقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ فقام يستمع قال: «نعم قد جاءني»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾؛ أي هم فِي شك وريب وكفر وعناد، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾؛ أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي عظيم كريم. ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾؛ أي هو فِي الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

قال أنس رضي الله عنه إن اللوح المحفوظ فِي جبهة إسرافيل، وعن عبدالرحمن بن سليمان قال: ما من شيء قضى اللَّه: القرآن فما قبله وما بعده إلاَّ وهو فِي اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني «إسرافيل»، وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند اللَّه فِي لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء عَلَى من يشاء من خلقه. وعن ابن عباس قال: إن فِي صدر اللوح لا إله إلاَّ اللَّه وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن باللَّه، وصدق بوعده، واتبع رسله، أدخل الجنة. قال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين

السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك، وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش، وعن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه - تعالى - خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوته حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - الطباق بين «يبدىء - ويعيد».

٢ - جناس الاشتقاق ﴿وَشَاهِدٍ - وَمَشْهُودٍ﴾.

٣ - تأكيد المدح بما يشبه الذم ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، كأنه يقول ليس لهم جريمة إلاَّ إيمانهم بالله، وهذا من أعظم المفاخر والمآثر.

٤ - المقابلة بين مصير المؤمنين، ومصير المجرمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قابله قوله: ﴿إن الذين آمنوا .. جنات﴾.

٥ - أسلوب التشويق لاستماع القصة ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾؟

٦ - صيغة المبالغة مثل: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ، ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

٧ - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات: ويسمى بالسجع.

٨ - ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ الاستفهام للتشويق؛ أي هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء؟ هل بلغك ما أحل اللَّه بهم من البأس وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - أن اللَّه - سبحانه وتعالى - يختبر المؤمين، حين يبتليهم ببطش أعدائهم وإيذائهم، كما صنع «ذو نواس» بالمؤمنين، حين شق لهم الأخاديد وملأها بالنار، وألقاهم فيها، فصبروا عَلَى أذى أعدائهم، وعلى المؤمنين أن يصبروا عَلَى أذى الكفار فإن

اللَّه سوف سينتقم لهم، كما انتقم من أصحاب الأخدود.

٢ ـ لن يفلت هؤلاء الكفار من عذاب الله، وسيأخذهم بعملهم أخذًا شديدًا والمؤمنون والمؤمنات يدخلون الجنة.

٣ ـ عقاب اللَّه يوم القيامة سيكون شديدًا؛ لأنه قادر ودليل قدرته أنه يخلق الناس أولًا، ثم يعيدهم ثانيا.

٤ ـ الإيمان بأن اللَّه يغفر للتائب ذنبه، ويحب من يخلص له الطاعة، وهو صاحب العظمة والسلطان، يعفو عن التائبين ويهديهم إِلَى صراطه المستقيم.

٥ ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾، استفهام للتشويق؛ أي هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء يؤنسه بذلك ويسليه وهل بلغك ما أحل اللَّه بهم من البأس وما أنزل عليهم من العذاب؟ أتدري .. من هم؟ فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أولى البأس والشدة، فقد كانوا أشد بأسا، وأقوى مراسا من قومك، ومع ذلك أخذهم اللَّه بذنوبهم.

٦ ـ الفطنة والاعتبار بما حلّ بأولئك الكفرة المكذبين فقد أخذهم اللَّه أخذ عزيز مقتدر، وعلينا أن نهتدي بهدي رسولنا ـ عليه السلام.

٧ ـ اللَّه قادر عَلَى كل الجبابرة والظالمين لا يفوتونه ولا يعجزونه؛ لأنهم فِي قبضته فِي كل حين وزمان.

٨ ـ القرآن كتاب عظيم شريف متناه فِي الشرف والمكانة، وقد سما عَلَى الكتب السماوية فِي إعجازه ونظمه وصدق معانيه، وهو محفوظ فِي اللوح المحفوظ الذي فِي السماء محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

* * * * * *

سورة الطارق

نزلت بمكة وآياتها ١٧ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن

معاني الكلمات:

﴿وَالطَّارِقِ﴾: قسم بالنجم الثاقب يطلع ليلا مأخوذ من الطرق بمعنى الضرب بشدة، وكل ما جاء بليل يسمى طارقًا. ﴿الثَّاقِبُ﴾: المضيء المتوهج والمرتفع العالي.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: ما كل نفس. ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾: إلَّا عليها. ﴿حَافِظٌ﴾: مهيمن ورقيب وهو اللّٰه ـ تعالى.

التفسير

عن جابر قال: صلَّى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ، أما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها؟».

يقسم تبارك وتعالى بالسماء، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾. قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقًا؛ لأنه إنما يرى بالليل، ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهي أن يطرق الرجل أهله طروقًا؛ أي يأتيهم فجأة بالليل، وفي الحديث الآخر المشتمل عَلَى الدعاء: «إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿الثَّاقِبُ﴾ قال ابن عباس: المضيء، وقال السدى: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾؛ أي كل نفس عليها من اللّٰه حافظ يحرسها من الآفات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؟ تنبيه للإنسان عَلَى ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد

﴿مَّآءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾

﴿دَافِقٍ﴾: مصبوب بدفع وسرعة في الرحم. ﴿ٱلصُّلْبِ﴾: ظهر كل من الرجل والمرأة، أو ما يقال له سلسلة الظهر. ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: عظام الصدر من المرأة؛ حيث تكون القلادة. ﴿رَجْعِهِۦ﴾: إعادة الإنسان بعد فنائه، بعثه بعد موته. ﴿تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: تكشف مكنونات الصدور. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾: ليس للإنسان قوة. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾: المطر لرجوعه إِلَى الأرض مرارا. ﴿ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾: النبات الذي

له إِلَى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر عَلَى البداءة فهو قادر عَلَى الإعادة، بطريق الأولى كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾؛ يعني الذي يخرج دفقا من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾؛ يعني صلب الرجل وترائب المرأة، وهو صدرها، وعن ابن عباس: تريبة المرأة موضع القلادة. وقال ابن عباس: الترائب بين ثدييها، وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من بين صلبه ونحره، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾؛ فيه قولان؛ أحدهما: عَلَى رجع هذا الماء الدافق إِلَى مقره الذي خرج منه لقادر عَلَى ذلك، والقول الثاني: إنه عَلَى رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق؛ أي إعادته وبعثه إِلَى الدار الآخرة لقادر واختاره ابن جرير، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر؛ أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهودًا، وفي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند أسته يقال هذه غدرة فلان بن فلان.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾؛ أي الإنسان يوم القيامة، ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي في نفسه، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ أي من خارج منه؛ أي لا يقدر عَلَى أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك. ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه هو السحاب فيه المطر، وعنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ تمطر ثم تمطر. وقال قتادة: ترجع رزق

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

يكشف عنه فيخرج منها.
﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: فاصل بين الحق والباطل. ﴿وَمَا بِٱلْهَزْلِ﴾: باللعب والباطل. ﴿يَكِيدُونَ﴾: يدبرون المكائد. ﴿وَأَكِيدُ﴾: وأدبر.
﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فلا تستعجل بالانتقام منهم.
﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾: إمهالا قريبا، أو قليلا حتَّى يأتيهم العذاب.

العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم. ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ قال ابن عباس: حق. ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾؛ أي بل هو جد حق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ أي يمكرون بالناس في دعوتهم إِلَى خلاف القرآن، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي انظرهم ولا تستعجل لهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾؛ أي قليلا، أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وقانا الله وإياكم شر هؤلاء المخالفين الكافرين. ألا بعدًا للقوم الظالمين.

بالسورة الكريمة صور جمالية رائعة؛ مثل:

١ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ الاستفهام للتفخيم والتعظيم.
٢ ـ الطباق بين (السماء، والأرض)، وبين (الفصل، والهزل).
٣ ـ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ جناس الاشتقاق.
٤ ـ ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ إطناب بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد.
٥ ـ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ كني بالصلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة.
٦ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ، وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾، ومثل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ سجع رصين يزيد في جمال الأسلوب ورشاقته ونضارته.

ما نتعلمه من سورة «الطارق»

١ - يؤكد اللَّه ﷻ أن كل نفس عليها رقيب فِي الدنيا يراقب أعمالها وأرزاقها وآجالها، وهو اللَّه ﷻ.

٢ - تأمل قدرة اللَّه فِي خلقه، فقد أوجدنا من ماء، وأنشأنا خلقا كاملا عاقلا مدركا قادرا، ومن كان قادرا عَلَى خلقنا فإنه أقدر عَلَى إعادتنا بعد الموت ليحاسبنا عَلَى أعمالنا، ويوم القيامة لا يستطيع أحد منا أن يدافع عن نفسه، ولا يجد أحدا يدافع عنه.

٣ - إن ما جاء به محمد ﷺ هو القول الحق الذي لا شك فيه، والذي لا يصدقه، ويحاول أن يخدع الناس، ويريد بهم السوء لن ينالوا من رسول اللَّه ما يبتغون.

٤ - إن الذين يدبرون المكائد لرسول اللَّه ﷺ سيبطل اللَّه كيدهم وتدبيرهم ويرد كيدهم إِلَى نحورهم.

٥ - وقد أمر اللَّه الرسول الكريم أن يمهلهم قليلا، وألا يستعجل عقاب اللَّه لهم، فإنه لا بد أن يحل بهم.

٦ - القرآن العظيم معجزة محمد الخالدة، وحجته البالغة إِلَى الناس أجمعين، وعلينا أن نتعظ بما جاء به رسولنا الكريم، بعد أن ثبت صدق هذا القرآن الكريم، اللَّهُمَّ نجنا من كيد الكافرين وسوء عاقبتهم، فهو نعم المولي ونعم النصير.

* * * * *

سورة الأعلى

نزلت بمكة، وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

معاني الكلمات:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: نزهة ومجده - تعالى - عما لا يليق به. ﴿خَلَقَ﴾: أوجد كل شيء بقدرته. ﴿فَسَوَّىٰ﴾: أوجد العالم في أبهى صورة، وأتم خلق في الاتقان والإحكام. ﴿قَدَّرَ﴾: قدر لكل شيء ما يصلحه، وجعل الأشياء عَلَى مقادير مخصوصة. ﴿فَهَدَىٰ﴾: وجه كل واحد فيها إِلَى ما ينبغي له، وعرفه طريق ما يصلحه. ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾: أنبت العشب رطبا غضا. ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾: يابسًا هشيما من بعد كالغثاء؛ وهو ما يحمله السيل من البالي من ورق الشجر مخالطا زبده. ﴿أَحْوَىٰ﴾: أسود أو أسمر بعد الخضرة.

التفسير

قال الإمام أحمد لما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال لنا رسول اللَّه ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم». وقال قتادة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ذكر لنا أن نبي اللَّه ﷺ كان إِذَا قرأها قال: سُبْحَانَ ربي الأعلى، وقوله - تعالى -: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾؛ أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾: قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، وهذه الآية كقوله - تعالى - إخبارًا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي قدر قدرًا وهدى الخلائق إليه؛ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه عَلَى الماء»، وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾؛ أي من

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي﴾

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾: سيقرأ جبريل عليك القرآن مرات. ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: لتأمن النسيان. ﴿ٱلۡجَهۡرَ﴾: الإعلان. ﴿يَخۡفَىٰ﴾: يستتر في الضمائر. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: ونوفقك لعمل الخير. ﴿فَذَكِّرۡ﴾: أبلغهم رسالتك. ﴿يَخۡشَىٰ﴾: يخاف الله. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾: ولا يتعظ الشقي الكافر.

جميع صنوف النبات والزروع. ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾، قال ابن عباس: هشيما متغيرا، وقوله - تعالى -: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي يا محمد، ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، وهذا إخبار من الله - تعالى - ووعد منه بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلَّا ما شاء الله، وقيل المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ طلب وجعلوا معنى الاستثناء عَلَى هذا يقع من النسخ؛ أي لا تنسى ما نقرئك إلَّا ما يشاء اللَّه رفعه فلا عليك أن تتركه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾؛ أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخافونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء. وقوله - تعالى -: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾؛ أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرِّع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه، ولا حرج ولا عسر. وقوله - تعالى -: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾؛ أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان فتنة لبعضهم، وقال: حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذَّب اللَّه ورسوله، وقوله - تعالى -: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾؛ أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد مَنْ قلبه يخشي اللَّه ويعلم أنه ملاقيه، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى * ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾؛ أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعرما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال، عن أبي سيعد عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار الذين لا يريد إخراجهم اللَّه لا يموتون فيها

يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ

﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: يدخل جهنم أو يقاسي حرها. ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: ولا يحيا حياة طيبة. ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بالبغية. ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من الكفر والمعاصي. ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: وذكر صفات الله فخشع. ﴿تُؤْثِرُونَ﴾: تفضلون.

ولا يحيون، وإن أهل النار الذين يريد اللّه إخرجهم يميتهم فيها إماتة حَتَّى يصيرا فحما، ثم يخرجون ضبائر فيلقون عَلَى أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيف». وقد اللّه - تعالى - إخبار عن أهل النار: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾، وقال - تعالى -: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾.

يقول - تعالى - ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة متابع ما أنزل اللّه عَلَى الرسول - صلوت اللّه وسلامه عليه -، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان اللّه، وطاعة لأمر اللّه وامتثالا لشرع اللّه.

عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: «من شهد أن لا إله إلّا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول اللّه»، ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها. وقال ابن عباس: إن المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير. حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة: قال دخلت عَلَى أبي العالية فقال لي في إِذَا غدوت غدا إِلَى العيد فَمُرَّ بي قال فممرت به فقال: هل طعمت شيئا؟ قلت: نعم، قال: أفضت عَلَى نفسك من الماء؟ قلت نعم، قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك!! قلت قد وجهتها قال: إنما أردتك لهذا، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها، ومن سقاية الماء، وقال قتادة في هذه الأية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، زكى ماله وأرضى خالقه.

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: المنزلة قبل القرآن.

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي تقدمونها عَلَى أمر الآخرة وتبدونها عَلَى ما فيه نفعكم وصلاحكم فِي معاشكم ومعادكم، ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي ثواب اللَّه فِي الدار الآخرة خير من الدنيا، وأبقى فإن الدنيا دار فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى عَلَى ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد، عن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له».

وعن أبي موسى الأشعري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى عَلَى ما يفنى.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: كلها فِي صحف إبراهيم وموسى، وقال أبو العالية: قصة هذه السورة فِي الصحف الأولى واختار ابن جرير أن المراد بقوله: إن هذا إشارة إِلَى قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي مضمون هذا الكلام، ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، صحف موسى غير التوراة، وقد ورد أنه أعطى عشر صحف وكانت كلها عبر.

قال أبو ذر: سألت رسول اللَّه ﷺ عن صحف موسى ما كانت ؟ قال: كانت عبرًا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، عجبت لم أيقن بالقدر ثم ينصب!! عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل !!!.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾: طباق وكذلك ﴿ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾.

٢ ـ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾، «وذكر والذكرى» جناس الاشتقاق.

٣ ـ المقابلة بين ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ وبين ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾.

٤ ـ حذف المفعول ليفيد العموم في قوله: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ وفي ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾؛ لأن المراد خلق كل شيء فسواه، وقدر كل شيء فهداه.

٥ ـ السجع (المرعى ـ أحوى) وهو من المحسنات البديعية التي تكسب الكلام جرسا موسيقيا جميلا يؤثر في النفس.

ما نتعلمه من سورة الأعلى

١ ـ علينا أن نعظم اللَّه ونمجده، فنعمه كثيرة علينا، وأوجد العالم في أحسن صورة، وأتم خلق، ويسر لكل حي ما يصلحه، وبين له طريق الخير والرشاد، وأخرج له النبات لينتفع به ثم حول ذلك النبات بالجفاف واليبوسة وتغيير اللون، وكذلك الدنيا بعد نضارتها وازدهارها تزول وتفنى، فلا يغتر الكافر بيما يناله فيها.

٢ ـ أنزل اللَّه ﷻ القرآن عَلَى نبيه ﷺ ليقرأه ويحفظه، فلا ينسى شيئا منه، إِلَّا إِذَا أراد اللَّه ذلك فالله يعلم ما ظهر من أحوال الناس وما خفي منها، وهو الذي يهدي إِلَى عمل الخير.

٣ ـ ما عَلَى الرسول إِلَّا البلاغ، وعليه أن يبلغ الرسالة ويذكر الناس بواجبهم، ولا يحزنه انصراف بعض الناس عن دعوته.

٤ ـ الذين يخافون الله، فإنهم يؤمنون به، ويصدقون برسالة محمد ﷺ ، وأما من غلب عليهم الشقاء، فإنهم يكذبون برسالته، ولا يصدقون دعوته فيدخلون النار في الآخرة، ولا يموتون فيها فيستريحوا ولا يحيون حياة سغيدة فيهنئوا.

٥ ـ الآخرة خير وأبقى، فالذين لا يؤمنون إيمانا صادقا يتغلغل في صدروهم وتطمئن به قلوبهم يفضلون الدنيا عَلَى الآخرة مع أن الآخرة أفضل من الدنيا، وهذا شيء بينه

الله - تعالى - في الكتب التي نزلها عَلَى إبراهيم وموسى.

٦ - علينا أن ننزه الله - تعالى - عن الشريك، وأن نسبحه في كل وقت وحين، وأن نعترف بنعم الله - جل وعلا - علينا، قد خلقنا في أحسن صورة، وأنبت لنا من الأرض نباتا، ويسر علينا حفظ القرآن الكريم، وسهل لنا طريق الوصول إليه، وأن نؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها، وأن ندرك أن الأشقياء والكفرة سيعذبهم الله يوم القيامة في نار جهنم؛ حيث لا يموتون فيها ولا يحيون حياة سعيدة، فيجب علينا أن نتطهر بإخراج الزكاة، ونزكي أنفسنا بالطاعة والعبادة، فالآخرة خير وأبقى، فالآخرة هي الباقية، والدنيا زائلة، وقانا الله شر مباهج الدنيا وزخرفها، ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

* * * * *

سورة الغاشـية

نزلت بمكة، وآياتها ٢٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا

معاني الكلمات:

﴿الْغَاشِيَةِ﴾: القيامة تغشى الناس بأهوالها. ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة خاضعة من الخزي. ﴿عَامِلَةٌ﴾: عملت في الدنيا ما أتعبها في الآخرة تجر السلاسل والأغلال في النار. ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: تعبة مما تلاقيه فيها من العذاب. ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾: تدخل نارًا تناهى حرها. ﴿عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: بلغت أناها «غايتها» في الحرارة. ﴿ضَرِيعٍ﴾: طعام في النار كالشوك مرّ منتن.

التفسير

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة، وعنه أيضًا كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، والغاشية من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم عن عمر بن ميمون قال: مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني»، وقوله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾؛ أي ذليلة، وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله - تعالى -: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؛ أي قد عملت عملا كثيرا، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نار حامية، وقال البخاري قال ابن عباس: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، النصارى، وقال السدى عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والإهلاك، ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾؛ أي حارة شديدة الحر، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾؛ أي قد انتهى حرها وغليانها، وقوله - تعالى -: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، عن ابن عباس: شجر من النار. وقال سعيد بن جبير:

﴿يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾: لا يدفع عنهم جوعا. ﴿نَّاعِمَةٌ﴾: ذات بهجة وحسن ونضارة. ﴿لَاغِيَةً﴾: لغو وباطلا، أحاديث لا فائدة فيها، أو تؤذي سمعك.

﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: ينبوع ماء جار.

﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: مرتفعة السمك، أو رفيعة القدر. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: أقداح بين أيديهم للشرب منها. ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائد ومرافق يتكأ عليها «مخدات». ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بعضها إِلَى جنب بعض.

هو الزقوم، وعنه أنها الحجارة، وقتادة: هو الشبرق، قال: قريس تسميه فِي الربيع: الشبرق، وفي الصيف: الضريع. قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، وقال مجاهد: ﴿ضَرِيعٍ﴾ نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز: الضريع إِذَا يبس وهو سم. قال قتادة: ﴿ضَرِيعٍ﴾ من شر الطعام وأبشعه وأخبثه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾؛ يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور، ولما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء قال: ﴿وُجُوهٌ نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي يوم القيامة، ﴿نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسيعها، وقال سفيان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ قد رضيت عملها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي رفيعة بهية فِي الغرفات آمنون، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾؛ أي لا تسمع فِي الجنة كلمة لغو، ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ أي سارحة وهذه نكرة فِي سياق الإثبات، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال، أو من تحت جبال المسك»، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾؛ أي عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك عليها الحور العين، قالوا: فإذا أراد ولي اللَّه أن يجلس عَلَى تلك السرر العالية تواضعت له، ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾؛ يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ النمارق: الوسائد، وقول ـ تعالى ـ: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؛

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: بسط فاخرة مفرقة في المجالس. ﴿نُصِبَتْ﴾: أقيمت. ﴿سُطِحَتْ﴾: مهدت.

الزرابي: البسط، و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾؛ أي هاهنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها. عن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: قولوا إن شاء الله، قال القوم: إن شاء الله. يقول الله - تعالى - آمرا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة عَلَى قدرته وعظمته. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حَتَّى ننظر إِلَى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت!! أي كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض هذا الرفع العظيم؛ كما قال - تعالى -: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؛ أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها من المنافع والمعادن، ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبه البدوي عَلَى الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته عَلَى قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، عن ثابت عن أنس قال: كنا نهينا

﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمتسلط جبار. ﴿تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: أعرض وأنكر الحق. ﴿إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم بعد الموت بالبعث.

أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

أن نسأل رسول اللَّه ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيئ الرجل من أهل البادية العاقل نيسأله، ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن اللَّه أرسلك، قال: صدق، قال: فمن خلق السماء! قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض! قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل! قال: «الله» قال فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدق» قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال وزعم رسوله أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: «صدق» قال: ثم ولي فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئا، فقال النبيﷺ : «إن صدق ليدخلن الجنة».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾؛ أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم عَلَى الإيمان. عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حَتَّى يقولوا: لا إله إِلَّا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إِلَّا بحقها وحسابهم عَلَى اللَّه ﷻ ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾؛ أي تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه، وهذه كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾،

ولهذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾. عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد أن أبا أمامة الباهلي مرّ عَلَى خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:«ألا كلكم يدخل الجنة إلَّا من شرد عَلَى الله شراد البعير عَلَى أهله»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾؛ أي مرجعهم ومنقلبهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؛ أي نحن نحاسبهم عَلَى أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرًا فخير وإن شر فشر»، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الخير يا كريم». روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام، أتاه راهب شيخ كبير عليه سواد، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين إنه نصراني؟ فقال: ذكرت قول الله عز وجل ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ فبكيت رحمة عليه.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ أسلوب التشويق: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾؟.

٢ ـ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد الكل.

٣ ـ الطباق في الحرف بين ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

٤ ـ جناس الاشتقاق (فذكر ـ مذكر) وبين (يعذبه ـ والعذاب).

٥ ـ المقابلة بين «وجوه الأبرار ووجوه الفجار».

٦ ـ ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ سجع رصين.

ما نتعلمه من سورة «الغاشية»

١ ـ صورت السورة الكريمة القيامة وأحوالها وأهوالها وما يلقاه الكافر فيها من البلاء والعناء، وما يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء.

٢ ـ الأدلة والبراهين عَلَى وحدانية رب العالمين، وقدرته الباهرة في خلق الإبل العجيبة والسماء البديعة، والجبال المرتفعة، والأرض الممتدة الواسعة وكلها شواهد عَلَى وحدانية الله وجلال سلطانه.

٣ ـ الإيمان برجوع الناس جميعا إِلَى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء.

٤ ـ أمر اللَّه رسوله الكريم بأن يذكر الناس، وأن يوجه نظرهم إِلَى ما يغفلون عنه من الإيمان بقدرة اللَّه وعظمته، فالله هو المسيطر عَلَى قلوبهم والمتسلط عليهم، فالذي لا يؤمن يعذبه فِي الآخرة، ولا مفر من ذلك؛ لأن مرجعه إِلَى اللَّه وحده وسيجازيه عَلَى عمله فِي الدنيا، إن خيرًا فخير وإن شرا فشر، وصلى اللَّه عَلَى سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه أجمعين.

* * * * *

سورة الفجـر

نزلت بمكة وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي

معاني الكلمات: ـ

﴿وَالْفَجْرِ﴾: أقسم اللَّه ـ تعالى ـ بالوقت المعروف.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: العشر الأول من ذي الحجة؛ وهي الأيام التي تقام فيها مناسك الحج. ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: مناسك الحج يؤدى بعضها زوجا، وبعضها فردا.

﴿إِذَا يَسْرِ﴾: إذَا يمضي ويذهب، أو يسار فيه.

التفسير

عن جابر قال: صلَّى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه، فطوّل فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله جئت أصلي معه فطول عليّ فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناقتي، فقال رسول اللَّه ﷺ : «أفتَّانٌ أنت يا معاذ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والفجر، والليل إذَا يغشى».

﴿وَالْفَجْرِ﴾؛ هو الصباح، وقيل المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل: المراد الصلاة التي تفعل عنده، وقيل: المراد به جميع النهار، وهو رواية عن ابن عباس. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؛ والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلَى اللَّه فيهن من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل اللَّه؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل اللَّه إلَّا رجلا خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»، وقول ـ تعالى ـ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾؛ يعني أن الوتر يوم عرفة؛ لكونه التاسع، وأن

﴿ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي﴾

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور الذي أقسمنا به. ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾؟: مقسم به حقيق بالتعظيم لدى العقلاء. ﴿بِعَادٍ إِرَمَ﴾: قوم هود سموا باسم أبيهم، وعاد قبيلة من العرب القدامي، مسكنها جنوب جزيرة العرب، ﴿إِرَمَ﴾: لقب القبيلة. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: الشدة، أو الأبنية الرفيعة المحكمة بالعمد.

الشفع يوم النحر؛ لكونه العاشر، وفي رواية أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلَّا واحدًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر». قال الحسن البصري: الخلق كلهم شفع ووتر أقسم اللَّه ـ تعالى ـ بخلقه، وعن ابن عباس: الشفع والوتر قال اللَّه وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال: الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب، وعن مجاهد: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قال: الشفع الزوج، والوتر: اللَّه ﷻ، وعنه قال: اللَّه الوتر، وخلقه الشفع الذكر والأنثى، وقال أيْضًا: وكل شيء خلقه اللَّه شفع السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾؛ أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد، وعن جابر أن رسول اللَّه ﷺ قال:«الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، قال العوفي عن ابن عباس: أي إذَا ذهب، وقال عبدالله بن الزبير: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ حَتَّى يذهب بعضه بعضا، وقال الضحاك: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾؛ أي يجري، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾؛ أي لذي عقل ولب وحجا، وإنما سمي العقل حجرا؛ لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجر البيت؛ لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر الحاكم عَلَى فلان؛ إذَا منعه التصرف والمعاني متقاربة، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لربه الخاشعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؟ وهؤلاء

لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ

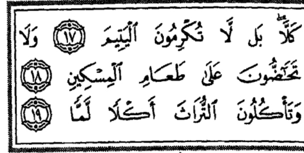
﴿مِثْلُهَا﴾: مثل عاد في قوتها. ﴿وَثَمُودَ﴾: قبيلة من العرب، كان مسكنها بين الحجاز والشام. ﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾: قطعوه ونحتوا فيه بيوتهم. ﴿بِالْوَادِ﴾: بالوادي الذي يقيمون فيه. ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر الذي كان في زمن سيدنا موسى. ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾: الجيوش الكثيرة التي تشد ملكه، أو الأبنية العظيمة.

كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر - تعالى - كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، وهؤلاء عاد الأولى، وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية؟ وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله - تعالى -: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله - تعالى -: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وقال هاهنا: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾؛ أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم عن المقدام عن النبي ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد؛ فقال: كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم، والمراد هو الإخبار عن القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، وقوله - تعالى -: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾؛ يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها، قال ابن إسحاق: كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى، وقوله - تعالى -: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي

﴿طَغَوْا﴾: تجاوزوا الحد في الظلم. ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ﴾: أنزل عليهم. ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾: عذابا شديدا مؤلما دائما. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾: يرقب أعمالهم ويجازيهم عليها. ﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾: امتحنه واختبره بالنعم أو النقم. ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾: فضيقه عليه ولم يبسطه له.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)﴾

الْأَوْتَادِ﴾، عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذي يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها عن أبي رافع قيل لفرعون ذي الأوتاد؛ لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل عَلَى ظهرها رحى عظيمة حَتَّى ماتت. وقوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)﴾؛ أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد، والأذية للناس، ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أي أنزل عليهم رجزًا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين. وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قال ابن عباس: يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا لسعيه في الدنيا والآخرة، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور، يقول - تعالى - منكرًا عَلَى الإنسان في اعتقاده إِذَا وسع اللَّه - تعالى - عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من اللَّه إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال - تعالى -: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾، وكذلك في الجانب الآخر إِذَا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من اللَّه إهانة له، قال اللَّه - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾؛ أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن اللَّه يعطي المال من يحب ومن لا



﴿كَلَّا﴾: ردع للإنسان عما قاله في الحالين. ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾: لا تحسنون إليه. ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾: لا يحث بعضكم بعضا. ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: ميراث النساء واليتامى. ﴿لَّمًّا﴾: شديدا، جمعا بين الحلال والحرام.

يحب، ويضيق عَلَى من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك عَلَى طاعة اللَّه في كل من الحالين إِذَا كان غنيا بأن يشكر اللَّه عَلَى ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾؛ فيه أمر بالإكرام له، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ـ ثم قال بإصبعه ـ أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا»، وعن أبي سعيد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»، وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ يعني لا يأمرون بالإحسان إِلَى الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم عَلَى بعض في ذلك، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾؛ يعني الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾؛ أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾؛ أي كثيرا.

يخبر ـ تعالى ـ عما يقع من الأهوال العظيمة فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا﴾؛ أي حقا، ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾؛ أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾؛ يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم عَلَى الإطلاق محمد ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحدا بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم حَتَّى تنتهي النوبة إِلَى محمد ﷺ فيقول: «أنا لها أنا لها»، فيذهب فيشفع عند اللَّه ـ تعالى ـ في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه اللَّه ـ تعالى ـ في ذلك وهي أَوَّل الشفاعات، وهي المقام المحمود، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا﴾

﴿جَمًّا﴾: كثيرا. ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾: دقت جبالهم ومرتفعاتها حتَّى استوت مع وجه الأرض بالزلازل.
﴿دَكًّا دَكًّا﴾: دكا متتابعا حتَّى صارت هباء. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: ظهر سلطانه وعظمته. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: صفوفا متتابعة. ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾: أظهرت للكافرين.
﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يتنبه وتزول عنه الغفلة. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: من أين له منفعتها؟ هيهات.
﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: عملت عملا طيبا. ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾: عذاب الله.

يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾؛ أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه»، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي وكيف تنفعه الذكرى، أي وكيف تنفعه الذكرى، ﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾؛ يعني يندم عَلَى ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا، قال الإمام أحمد بن حنبل عن محمد بن عمرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لو أن عبدًا خرّ عَلَى وجهه من يوم ولد إِلَى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولودَّ أنه رد إِلَى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه»، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم ﷻ وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين؛ فأما النفس الزكية المطمئنة، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝

﴿يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ٣٠﴾

﴿وَلَا يُوثِقُ﴾: لا يشد بالسلاسل والأغلال.
﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: المؤمنة.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي إِلَى جوراه وثوابه، وما أعد لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾؛ أي في نفسها، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ قدر رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾؛ أي في جملتهم، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، وهذا يقال لها عندا الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا. عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا، ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، والظاهر الأول؛ أي إِلَى جواره وثوابه. عن سعيد بن جبير قال: قرأت عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ* ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾؛ فقال أبو بكر ﷺ: إن هذا لحسن فقال له النبي ﷺ: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت»، وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل اللَّهُمَّ إنّي أسألك نفسا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك، اللَّهُمَّ وفقنا لما تحبه وترضاه، واجعلنا من الذين يؤمنون بلقائك ونرضى بقضائك، ونقنع بعطائك»، ربنا ولك الحمد حمدا جزيلا مباركا فيه.

اشتملت سورة الفجر عَلَى صور من البيان والبديع؛ مثل:

١ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؟ استفهام تقريري.

٢ - الشفع والوتر: طباق.

٣ - ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ﴾ - ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ﴾، «يتذكر - الذكرى» جناس الاشتقاق.

٤ - المقابلة: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ وبين ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾، فقد قابل بين (أكرمن، وأهانن)، وبين توسعة الرزق وضيقه.

٥ ـ الاستعارة الفائقة: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ شبه العذاب الشديد الذي نزل عليهم بسياط لاذعة تكوي جسد المعذب، واستعمل الصب للإنزال عَلَى سبيل الاستعارة التصريحية.

٦ ـ الالتفات: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾؛ فيه التفات من ضمير الغائب إِلَى الخطاب زيادة فِي التوبيخ والعتاب، والأصل: «بل لا يكرمون».

٧ ـ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ الإضافة للتشريف.

٨ ـ السجع الرصين؛ مثل: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ... إلخ.

ما نتعلمه من سورة «الفجر»

١ ـ أقسم اللَّه ﷻ بضوء الصبح عند مطاردته ظلمة الليل، وبالليالي المباركات العشر من أوَّل ذي الحجة؛ لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج، وهذا قسم عظيم عند ذوي العقول والألباب، وقد أقسم اللَّه ﷻ بهذه الأشياء لما فيها من عجائب، ودلائل تدل عَلَى توحيده وربوبيته.

٢ ـ أن نتعظ بقصص بعض الأمم المكذبين لرسل اللَّه؛ كقوم عاد وثمود، وقوم فرعون بعد أن عرفنا ما حلَّ بهم من العذاب والدمار بسبب طغيانهم.

٤ ـ الإنسان فِي هذه الحياة يبتلى بالخير والشر، والغنى والفقر، وطبيعة الإنسان أنه يحب المال سواء عن طريق حلال أو حرام، وفي هذا ضياعه وعذابه، فلنحذر عقاب الله، ولنشكره فِي حالة الغنى، وأن نصبر فِي حالة الفقر، اللَّهُمَّ اجعلنا من الشاكرين لنعمك، الصابرين عَلَى بلائك.

٥ ـ فِي الآخرة شدائد وأهوال والناس فيها سعداء وأشقياء، وسيكون مآل النفس الشريرة إِلَى عذاب أليم، ومآل النفس الكريمة إِلَى الجنة والنعيم المقيم، ولنا فِي كتاب اللَّه ما يشفي صدورنا ويقوي إيماننا لنسير عَلَى الدرب الصحيح من كتاب اللَّه وسنة رسوله الكريم، والآخرة خير وأبقى، ولينصرن اللَّه من ينصره، ألا بعدًا للقوم الظالمين الجبارين فِي الأرض. والله خير شاهد ووكيل.

* * * * *

سورة البلـد

وهي مكية وآياتها عشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ

معاني الكلمات: ـ

﴿لَا أُقْسِمُ﴾: اللام للتأكيد، والمعنى أقسم. ﴿بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: مكة المكرمة. ﴿حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: حلال لك ما تصنع به يومئذ. ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: آدم وجميع ذريته. ﴿كَبَدٍ﴾: تعب ومشقة ومكابدة للشدائد.

التفسير

هذا قسم من اللّه ـ تعالى ـ بمكة أم القرى لينبه عَلَى عظمة قدرها في حال إحرام أهلها عن ابن عباس: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾؛ يعني مكة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وقال الحسن البصري: أحلها اللّه له ساعة من نهار، وقد ورد به الحديث المتفق عَلَى صحته، إن هذا البلد حرمه اللّه يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام يحرمه اللّه إِلَى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، وفي لفظ آخر، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللّه فقولوا: إن اللّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، عن ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له. وقال مجاهد: يعني بالوالد آدم وما ولد ولده؛ لأنه ـ تعالى ـ لما أقسم بأم القرى، وهي المساكن أقسم بعده بالساكن؛ وهو آدم أبو البشر وولده. وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؛ أي منتصبا في بطن أمه، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول خلقناه سويا مستقيما، وعن ابن عباس فِي كبد، قال فِي شدة خلق ألم تر إليه،

عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ

﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: كثيرا في المكرمات تعاظما.

﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: طريق الخير والشر.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: دخل بشدة، وجاهد نفسه في أعمال البر.

وذكر مولده ونبات أسنانه. وقال مجاهد: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ نطفة ثم علقة ثم مضغة، يتكبد في الخلق وهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾، ووضعته كرها، وأرضعته كرها، ومعيشته كره، فهو يكابد ذلك، وقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ في شدة وطلب معيشة، وقال عكرمة في شدة وطول، وقال قتادة: في مشقة، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، قال الحسن البصري: يأخذ ماله، وقال قتادة: ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ أي يقول ابن آدم أنفقت مالا لبدا؛ أي كثيرا، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، قال مجاهد: أي أيحسب أن لم يره الله ﷻ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾؛ أي يبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا﴾؛ أي ينطق به فيعبر عما في ضميره. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالا لوجهه وفمه، عن مكحول قال: قال النبي ﷺ يقول الله ـ تعالى ـ: «يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصي عددها، ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك، أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجلعت لك لسانا، وجعلت له غلافا، فانطق بما أمرتك، وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجا، وجعلت لك سترًا فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، ابن آدم، إنك لا

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ﴾

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: تخليصها من الرق والعبودية. ﴿ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾: مجاعة. ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾: قرابة في النسب. ﴿مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: فاقة شديدة لصق منها بالتراب.

تحتمل سخطي ولا تطيق انتقامي.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ الطريقين، وعن ابن مسعود قال: الخير والشر. وعن ابن عباس: ﴿ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ الثديين، والصواب القول الأول.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير». ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾؛ أي دخل، ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾، قال ابن عباس: جبل في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة فحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى، وقال قتادة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾، ثم أخبر - تعالى - عن اقتحامها، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾، وقال ابن زيد: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾؛ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال - تعالى -: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ قرئ فك رقبة بالإضافة، وقرئ عَلَى أنه فعل وفيه ضمير الفاعل، والرقبة مفعول به، والمعنى متقارب. عن سعيد بن مرجانة: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «من أعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل إرب - أي عضوا - منها إرْبا منه من النار حَتَّى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج»، فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي بن الحسين لغلام له: أَفْرَهُ غلمانه ادع «مطرفا»، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله. رواه البخاري ومسلم.

وعن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «من بنى مسجدًا ليذكر الله فيه بنى له بيتا في الجنة، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة». عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «من

﴿بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: السعداء، من اليمين وهو البركة، أو ناحية اليمين.

﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: الشؤم، أو ناحية الشمال.

﴿نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة مغلقة أبوابها.

ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل اللَّه كانت له نورا يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل اللَّه بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة، ومن اعتق رقبة مؤمنة اعتق اللَّه بكل عضو منه عضوا منه من النار، ومن أنفق زوجين في سبيل اللَّه فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله اللَّه من أي باب شاء منها»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، قال ابن عباس: ذي مجاعة، والسغب هو الجوع، وقال النخعي في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة: في يوم مشتهى فيه الطعام، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَتِيمًا﴾؛ أي أطعم في هذا اليوم يتيما، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي ذا قرابة منه، عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «الصدقة عَلَى المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي فقيرا معدما مدقعا لاصقا بالتراب، وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج، وقال ابن عباس: هو ذو العيال، وكل هذه قريبة المعنى، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند اللَّه عز وجل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾؛ أي كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر عَلَى أذى الناس، وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، وفي الحديث الآخر: «لا يرحم اللَّه من لا يرحم الناس».

عن عبدالله بن عمرو قال: من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا، وقوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾؛ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾؛ أي أصحاب الشمال، ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾؛ أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها، قال السدى: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾؛ أي مطبقة، وقال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب؛ أي أغلقه، وقال قتادة: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ مطبقة فلا ضوء فيها، ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد، وقال أبو عمران الجوني: إِذَا كان يوم القيامة أمر اللَّه لكل جبَّار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فِي الدنيا شره فأوثقوا بالحديد، ثم أمر بهم إِلَى جهنم، ثم أوصدوها عليهم؛ أي أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدمهم عَلَى قرار أبدًا، ولا والله لا ينظرون فيها إِلَى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم عَلَى غمض نوم أبدا، ولا والله لا يذقون فيها بارد شراب أبدا. رواه ابن أبي حاتم. ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾، اللَّهُمَّ أجرنا من النار، ومن عذاب النار، واكتبنا مع الشاهدين.

بالسورة الكريمة «البلد» صور من البيان والبديع هي:

١ - ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ أي أقسم بهذا البلد، ولا لتأكيد القسم.

٢ - ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة، ويسمى جناس الاشتقاق.

٣ - ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾؟ ومثله ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؟ الاستفهام الإنكاري، الغرض منه التوبيخ.

٤ - ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ * وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾؟ الاستفهام للتقرير والتذكير بالنعم.

٥ - ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾؟ الاستفهام للتهويل والتعظيم؛ لأن الغرض تعظيم شأنها.

٦ - ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾؛ أي طريق الخير والشر، وأصل النجد: الطريق المرتفع، استعير كل منهما لسلوك طريق السعادة، وسلوك طريق الشقاوة.

٧ - ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ استعارة تبعية فِي الفعل ﴿ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾؛ لأن أصل العقبة

الطريق الوعر فِي الجبل، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة؛ لأنها تصعب وتشق عَلَى النفوس.

٨ - «مقربة، ومتربة» جناس ناقص.

٩ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾، و﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ مقابلة لطيفة.

١٠ - مراعاة الفواصل ورءوس الآيات؛ مثل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ * وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ * لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾، ومثل: ﴿عَيۡنَيۡنِ * وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾، والمحسنات البديعية تكسب الكلام جرسا موسيقيا جميلا يزيده قوة، وإيقاعا فِي النفس.

ما نتعلمه من سورة «البلد»

١ - هذه السورة الكريمة أهدافها تثبيت العقيدة والإيمان، والتركيز عَلَى الإيمان بالحساب والجزاء، والتمييز بين الأبرار والفجار.

٢ - أقسم اللَّه ﷻ بالبلد الحرام، الذي هو سكن النبي - عليه الصلاة والسلام - تعظيما لشأنه، وتكريما لمقامه الرفيع عند ربه، ولفتا لأنظار الكفار إِلَى أن إيذاء الرسول فِي البلد الأمين من أكبر الكبائر عند اللَّه.

٣ - بعض كفار مكة اغتروا بقوتهم، فعاندوا الحق، وكذبوا رسول اله ﷺ ، وأنفقوا أموالهم فِي المباهاة والمفاخرة ظنا منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله، وقد ردت عليهم الآيات بالحجة القاطعة والبرهان الساطع.

٤ - فِي القيامة أهوال وشدائد ومصاعب ومتاعب وعقبات لا يستطيع أحد أن يقطعها ويجتازها إِلَّا بالإيمان الصادق، والعمل الصالح.

٥ - فرق اللَّه بين المؤمنين والكفار فِي ذلك اليوم العصيب، وبينت السورة مآل السعداء ومآل الأشقياء فِي دار الجزاء.

٦ - علينا أن نثبت عقيدة الإيمان فِي قلوبنا وعقولنا، وندرك أن مكة بلد اللَّه الحرام فلا قتال فيها حَتَّى تقوم الساعة، وأن نحذر من عقاب اللَّه، وأن نعمل عملا صالحا يقربنا إليه، اللَّهُمَّ آمين.

* * * * *

سورة الشمس

نزلت بمكة، وآياتها ١٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ

معاني الكلمات: ـ

﴿وَضُحَاهَا﴾: ضوئها إِذَا أشرقت. ﴿تَلَاهَا﴾: تبعها فِي الإضاءة بعد غروبها. ﴿جَلَّاهَا﴾: أظهر الشمس للرائين. ﴿يَغْشَاهَا﴾: يغطيها حين تغيب فتظلم الآفاق. ﴿وَالسَّمَاءِ﴾: الكون الذي فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب. ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾: والذي بناها وهو اللَّه ـ تعالى.

التفسير

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾؛ أي أقسم بالشمس وضوئها الساطع إِذَا أنار الكون، وبدد الظلام، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾؛ أي وأقسم بالقمر إِذَا سطع مضيئًا، وتبع الشمس طالعًا بعد غروبها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، قال ابن عباس: يتلو النهار، قال ابن زيد: هو يتلوها فِي النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه وهو يتقدمها فِي النصف الأخير من الشهر، وحكمة القسم بالشمس: أن العالم فِي وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة، وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الضحْوة، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها، والشمس والقمر مخلوقان لمصالح البشر، والقسم بهما للتنبيه عَلَى ما فيهما من المنافع العظيمة، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾؛ إِذَا غشيها النهار، قال ابن جرير: والنهار إِذَا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليه. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾؛ أي البسيطة. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فِي ذلك عَلَى الشمس لجريان ذكرها، وقالوا فِي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾؛ يعني إِذَا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق، وقوله ـ تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾، يحتمل أن تكون «ما» هاهنا مصدرية (بمعنى والسماء وبنائها)،

﴿وَمَا طَحَٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾

﴿طَحَٰهَا﴾: بسطها ومهدها. ﴿سَوَّىٰهَا﴾: خلقها في أحسن صورة، وعدل أعضاءها ومنحها قواها. ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: أعلمها وأشعرها. ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: معصيتها وطاعتها، وخيرها وشرها. ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بالجنة، وظفر بالمحبوب. ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾: طهرها وأنماها بالتقوى. ﴿خَابَ﴾: خسر. ﴿دَسَّىٰهَا﴾: أفسدها بالمعصية، وأخملها بالفجور.

وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنى «مَنْ»؛ يعني السماء وبانيها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم، والبناء هو الرفع؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ـ أي بقوة ـ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾، وهكذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَٰهَا﴾ قال ابن عباس: أي خلق فيها، وابن زيد قال: ﴿طَحَٰهَا﴾ بسطها، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾؛ أي خلقها سوية مستقيمة عَلَى الفطرة القويمة؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد عَلَى الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم ـ أي حولتهم ـ عن دينهم»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾؛ أي فأرشدها إِلَى فجورها وتقواها؛ أي بين لها ذلك وهداها إِلَى ما قدر لها، قال ابن عباس: بين لها طريق الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله؛ كما قال قتادة، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي دسسها؛ أي أخملها

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ⑪ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ

﴿ثَمُودُ﴾: قبيلة من العرب القدامى. ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بطغيانها ومجاوزتها الحد في العصيان. ﴿ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: قام مسرعًا يعقر الناقة «قدار بن سالف». ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: صالح عليه السلام. ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾:

ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتّى ركب المعاصي وترك طاعة اللَّه عز وجل، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى اللَّه نفسه، وقد خاب من دسى اللَّه نفسه؛ كما قال العوفي عن ابن عباس، وعنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول في قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: «أفلحت نفس زكاها اللَّه عز وجل»، وعن ابن عباس قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذَا مرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، وقف ثم قال: اللَّهُمَّ آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها، وعن أبي هريرة قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهدم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللَّهُمَّ آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها، قال زيد: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكموهن. رواه مسلم.

يخبرنا اللَّه - تعالى - عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي قال قتادة: فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين. ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾؛ أي أشقى القبيلة وهو «قدار بن سالف» عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال اللَّه - تعالى -: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ الآية، وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم شريفا في قومه نسيبًا رئيسا مطاعا، عن عبدالله بن زمعة قال: خطب رسول اللَّه ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾، انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»، وعن عماد بن ياسر قال: قال رسول اللَّه ﷺ لعلي: «الا أحدثك بأشقى الناس»، قال:

﴿وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

احذروا عقرها، ونصيبها من الماء. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فذبحوها. ﴿فَدَمْدَمَ﴾: فأهلكهم الله بصاعقة دمرت بيوتهم، والدمدمة هلاك باستئصال؛ أي دمرهم عن آخرهم. ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾: بتكذيبهم رسولهم، وعقرهم الناقة. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جعل الهلاك سواء بينهم، فلم يفلت منهم أحد، وهم قبيلة «ثمود». ﴿عُقْبَٰهَا﴾: عاقبة هذه العقوبة، لا يبالي الله عاقبة أعماله؛ كما يبالي الناس؛ لأنه حر التصرف في ملكه.

بلى، قال: «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي عَلَى هذا - يعني قرنه - حَتَّى تبتل منه هذه» يعني لحيته. وقوله - تعالى -: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني صالحاً عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾؛ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قال الله - تعالى -: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي كذبوه فيما جاء به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي غضب عليهم فدمر عليهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم عَلَى السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حَتَّى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها. وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة، وقال السدى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي لم يخف لذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى؛ لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

اشتملت السورة الكريمة «الشمس» عَلَى صور من البيان والبديع؛ مثل:

١ - الطباق بين: (الشمس والقمر)، (الليل والنهار)، وبين ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

٢ - المقابلة بين ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ وبين ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ وبين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن

﴿زَكَّنهَا﴾ وبين ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا﴾.

٣ ـ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ الإضافة للتكريم والتشريف، نسبت إِلَى اللَّه تشريفا لأنها خرجت من حجر أصم معجزة لصالح عليه السلام.

٤ ـ ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ فإن التعبير بالدمدمة يدل عَلَى هول العذاب والدمدمة: هلاك باستئصال فلم يفلت منهم أحد، وهذا يفيد التهويل والتفظيع.

٥ ـ السجع المرصع مراعاة للفواصل ورءوس الآيات: «ضحاها ـ تلاها ـ جلاها ـ يغشاها ـ بناها ـ طحاها ـ سواها ـ تقواها ـ زكاها ـ دساها».

ما نتعلمه من سورة «الشمس» الكريمة

١ ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بمخلوقاته الدالة عَلَى عظمته وقدرته، وهي الشمس والقمر وضياؤهما، والنهار والليل وسائر ما فِي الكون من كواكب، والنفوس التي خلقها فِي أحسن صورة، ومنحها العقول التي تميز الخير من الشر، يقسم ـ سبحانه ـ أن المفلح الناجي من عقاب اللَّه، هو من طهّر نفسه بالطاعات، وأن الخاسر من أفسدها بالسيئات والمعاصي.

٢ ـ ثمود قبيلة من قبائل العرب الأولين كانت تعيش بشمال الجزيرة العربية، فبعث اللَّه لهدايتهم نبيًا منهم؛ وهو صالح عليه السلام، ولما طلب منه قومه أن يأتيهم بدليل يدل عَلَى صدقه، قال لهم: هذه الناقة: هي البينة الدالة عَلَى أني نبي مرسل لهدايتكم من عند اللَّه، فاجعلوا لها نصيبا من الماء تشربه فِي وقت معلوم، ولكم أنتم نصيب آخر منه، واحذروا أن تمسوها بسوء، فيأخذكم عذاب أليم.

٣ ـ قوم «صالح» لم يصدقوه وخالفوه، وترصدوا الناقة، وأسرع إليها أشقاهم «قدار» فذبحها، فأهلكهم اللَّه جميعا بعصيانهم وذنوبهم.

٤ ـ أهلك اللَّه أهل «ثمود» بسبب إجرامهم وطغيانهم واستأصلهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير، ولا يخاف اللَّه عاقبة إهلاكهم وتدميرهم؛ كما يخاف الرءوساء والملوك عاقبة ما يفعلون؛ لأنه ـ تعالى ـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

٥ ـ ما زالت قرى ثمود، آثارها باقية بعد أن أهلكهم اللَّه ـ تعالى ـ، وحين يمر بها المسافر يسرع الخطى خشية أن يقع عليه العذاب كما وقع لآل «ثمود».

٦ ـ علينا أن نتعظ بما حدث لقوم «ثمود» وأن نطيع اللَّه ورسوله الكريم فيما أمرنا اللَّه به، ونهانا عنه، عسى اللَّه أن يتوب عَلَى العصاة والمذنبين من أمة محمد ـ صلوات اله وسلامه عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

سورة الليـل

نزلت بمكة وآياتها ٢١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)

معاني الكلمات: -

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: يغطي الأشياء بظلمته «قسم». ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: ظهر ووضح.

أسباب النزول

عن ابن عباس: أن رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إِذَا جاء ودخل الدار، فصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حَتَّى يأخذ التمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حَتَّى يخرج التمرة من فيه، فشكا الرجل ذلك إِلَى النبي ﷺ ، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة، فقال له النبي ﷺ : «اذهب، ولقي صاحب النخلة، وقال: تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان، ولك بها نخلة في الجنة» فقال له الرجل - لقد أعطيت - وإن لي نخلا كثيرًا وما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة منها، ثم ذهب الرجل فلقي رجلا كان يسمع الكلام من رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها، قال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة فساومها منه، فقال له: أشعرت أن مُحمدًا أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت: يعجبني ثمرها، فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ قال: لا إِلَّا أن أعطى بها مالا أظنه أعطي قال: فما مناك؟ قال: أربعون نخلة؟ قال له الرجل: لقد جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟ ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فقال له: أشهد لي إن كنت صادقا، فمر ناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إِلَى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك ، فذهب رسول اللَّه ﷺ إلى صاحب الدار فقال: إن النخلة لك ولعيالك فأنزل

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ﴾

﴿لَشَتَّىٰ﴾: لمختلف في الجزاء.
﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: بالملة الحسنى وهي الإسلام. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: فسنوقه ونهيئه لدخول الجنة لينعم بالراحة.

اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

عن ابن إسحاق عن عبدالله: أن أبا بكر اشترى بلالا من بني أمية بن خلف ببردة وعشر أواق من ذهب فأعتقه، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إِلَى قوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما منكم من أحد إِلَّا كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، قالوا: يا رسول اللَّه أفلا نتكل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

وعن عامر بن عبدالله، عن بعض أهله قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني، أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا جلدة يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد، قال فَتُحدِّث: ما نزل هؤلاء الآيات إِلَّا فيه وفيما قاله أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة.

التفسير

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؛ أقسم بالليل إِذَا غطى بظلمته الكون وستر بشبحه الوجود، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؛ أي وأقسم بالنهار إِذَا تجلى وانكشف وأنار العالم وأضاء الكون، أقسم ـ تعالى ـ بالليل؛ لأنه سكن لكافة الخلق، يأوي فيه الإنسان والحيوان إِلَى مأواه، ويسكن عن الاضطراب والحركة، ثم أقسم بالنهار؛ لأن فيه حركة الخلق وسعيهم إِلَى اكتساب الرزق والحكمة فِي هذا القسم ما فِي تعاقب الليل والنهار من مصالح لا تحصى، فإنه لو كان العمر كله لَيلا لتعذر المعاش، ولو كان كله نهارا لما سكن الإنسان إِلَى الراحة، ولاختلت مصالح البشر، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن كُلِّ

﴿بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا﴾

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: فسنهيئه لدخول النار.
﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ﴾: ما يدفع العذاب عنه. ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾: هلك أو سقط في النار. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: الدلالة

شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضًا متضادًا، ولهذا قال - تعالى -: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾؛ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضًا ومتخالفة فمن فاعل خيرا، ومن فاعل شرا، قال اللَّه - تعالى - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ أي أعطى ما أمر بإخراجه واتقى اللَّه في أموره. ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي بالمجازاة علَى ذلك، ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال الضحاك: أي بلا إله إلَّا اللَّه، وعن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي بما أنعم اللَّه عليه. وعن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة: وصدقة الفطر، وعن أبي بن كعب قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الحسنى قال: ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة.

وقوله - تعالى -: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: يعني للخير، وقال زيد بن أسلم يعني الجنة، وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، ولهذا قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾؛ أي بما عنده، ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ أي بخل بماله واستغنى عن ربه ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي بالجزاء في الآخرة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي لطريق الشر كما قال - تعالى -: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي اللَّه ﷻ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلَّا وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول اللَّه أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي أن أهل

لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي

عَلَى الحق، أو بيان طريقه.
﴿نَارًا تَلَظَّى﴾: تتلهب وتتوقد. لا ﴿يَصْلَاهَا﴾: لا يدخلها أو لا يقاسي حرها. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ سيبعد عنها.

السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، عن بشير بن كعب العدوي قال: سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير»، قالا: ففيم العمل إذًا؟ قال: «اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له» قالا: نجد ونعمل. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسه إلَّا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلَّا الثقلين: اللَّهُمَّ اعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا»، وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، قال ابن جرير: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما اشترى بلالا من أمية بن خلف وأعتقه لوجه الله - تعالى -، أو حينما قال له أبوه: أي بني تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، قال: أي أبت إنما أريد ما عند الله، فنزلت الآية، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ الآيات.

وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ قال مجاهد: أي إذَا مات، وعن زيد بن أسلم: إذَا تردى في النار. قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾؛ أي نبين الحلال والحرام، وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلَى الله، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾؛ أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما، وقوله - تعالى -: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ قال مجاهد: أي توهج، قال أبو إسحاق: سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل توضع في

﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾: يتطهر به من الذنوب.
﴿تُجْزَىٰ﴾: تكافأ.

أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه»، وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه؛ كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾؛ أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلَّا الأشقى، ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ ﴿كَذَّبَ﴾؛ أي بقلبه، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي عن العمل بجوارحه وأركانه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلَّا شقي» قيل: ومن الشقي قال: «الذي لا يعمل بطاعة، ولا يترك لله معصية»، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلَّا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾؛ أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسره بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾؛ أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي ماله ونفسه وما وهبه الله من دين ودنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾، وليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾؛ أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؛ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد أجمع المفسرون عَلَى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ فإنه كان صديقًا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج إِلَى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه عَلَى السادات والرؤساء من سائر القبائل، والآية

لفظها لفظ العموم، فهي تشمل الأمة كلها، ولا شك أن أبا بكر داخل فيها، قال المفسرون: نزلت الآيات في حق أبي بكر الصديق، حين اشترى بلالا وأعتقه في سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده، فنزلت ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي ليس له غاية إلَّا مرضاة الله، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾؛ أي ولسوف يعطيه الله في الآخرة ما يرضيه، وهو وعد كريم من رب رحيم.

بالسورة الكريمة وجوه من البيان والبديع؛ مثل

١ - «الأشقى،والأتقى»، «واليسرى، والعسرى» طباق.

٢ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ وبين ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ مقابلة لطيفة.

٣ - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ جناس الاشتقاق؛ لأن اليسرى من التيسير فبينهما مجانسة.

٤ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ حذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب.

٥ - «الأشقى - الأتقى» السجع الرصين غير المتكلف دليل عَلَى إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام اللَّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - كان بلال بن رباح عبدا مملوكا لأمية بن خلف، وكان يعذبه لإسلامه ويخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه عَلَى ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع عَلَى صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حَتَّى تموت، أو تكفر بمحمد!!! فيقول وهو في تلك الحالة: «أحد أحد»، فمر به أبو بكر الصديق، وهم يصنعون به ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي اللَّه في هذا المسكين!! فقال له: أنت أفسدته علي فأنقذه مما ترى، فاشتراه أبو بكر منه واعتقه في سبيل الله، فقال المشركون: إنما اعتقه ليد كانت له عنده، فنزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

٢ - الحكمة في هذا القسم ما في تعاقب الليل والنهار من مصالح لا تعد ولا تحصى،

فإنه لو كان العمر كله ليلا؛ لتعذر المعاش، ولو كان نهارا لما سكن الإنسان إِلَى الراحة، ولاختلت مصالح البشر.

٣ ـ إن عمل الإنسان فِي الحياة مختلف فمنهم الطائع، ومنهم العاصي، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، فالمحسن ينفق ماله فِي سبيل الخير، ويفعل ما أمره اللّٰه به، ويجتنب ما نهي عنه، ويتصف بالصفات الحميدة، فيهيئه اللّٰه للخير ويدخله الجنة، والمسيء يبخل بماله عَلَى الناس، ويستغني به، فيترك عبادة ربه، ولا يجتنب ما نهي، ولا يتصف إِلَّا بالصفات الذميمة فيهئيه اللّٰه للشر، ويدخله النار فيعذب فيها، ولا ينفعه ماله إِذَا مات، وصارت جهنم مأواه.

٤ ـ وهب اللّٰه ﷻ لنا عقولا نميز بها الخير من الشر، وبين لنا طريق الهدى وطريق الضلال، وجعل التصرف فِي أمور الدنيا والآخرة خاضع لحكمته وقدرته.

٥ ـ خوف اللّٰه ـ تعالى ـ العصاة بالعذاب فِي ناره الشديدة، وأبعد عنها الأتقياء الصالحين، الذين ينفقون أموالهم يرجون بها ثواب اللّٰه؛ لأنه لا يكافئ بثوابه إِلَّا المخلصين، الذي يقصدون بأعمالهم الطيبة وجه اللّٰه ورضاه.

٦ ـ يجب علينا أن نخلص فِي طاعتنا لله، وأن نصبر عَلَى كيد الكافرين والمنافقين، وأن نتحمل الأذى فِي سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ولنا فِي بلال أسوة حسنة، ولنا فِي الصديق أسوة حسنة، وصلى اللّٰه وسلم عَلَى نبيه الذي أرشدنا وعلمنا وهدانا إِلَى صراط اللّٰه المستقيم.

* * * * *

سورة الضحى

وهي مكية، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ

معاني الكلمات: -

﴿وَالضُّحَىٰ﴾: الوقت الذي ترتفع فيه الشمس أوّل النهار، أقسم ﷻ بوقت ارتفاع الشمس، والضحى مشتق من الضَّح؛ وهو نور الشمس. ﴿سَجَىٰ﴾: سكن أو اشتد ظلامه. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: ما تركك منذ اختارك. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: ما أبغضك منذ أحبك، والقلى: شدة البغض. ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾: نهاية الأمر. ﴿خَيْرٌ لَّكَ﴾: لما فيها من الكرامات لك.

أسباب نزول سورة «الضحى»

نزلت هذه السورة لما قال الكفار عن تأخر الوحي عنه ﷺ: إن ربه ودعه وقلاه، وعن جندب قال: قالت امرأة من قريش، وهي أم جميل امرأة أبي لهب: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك!!! لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، وعن ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه، وتدلى منهبطا عليه، وهو بالأبطح قال رسول الله ﷺ: «لقد سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: يا رب إنه قد كانت الأنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح، وذكر سليمان بن داود، ومنهم من كان يحيى الموتى، وذكر عيسى بن مريم، ومنهم ومنهم قال: فقال: ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قال: قلت بلى [يا رب] قال: ألم أجدك ضالا فهديتك؟ قال: قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ قال: قلت: بلى يا رب، قال: ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى [يا رب].

﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾

﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: الدنيا.
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾: ألم يَعْلَمْكَ ربك، قدعلمت. ﴿يَتِيمًا﴾: طفلا لا أبا لك، بفقد أبيك قبل ولادتك.
﴿فَـَٔاوَىٰ﴾: فضمك إِلَى من يرعاك، بأن ضمك إِلَى عمك أبي طالب. ﴿ضَآلًّا﴾: غافلا عن تفاصيل الشريعة.
﴿فَهَدَىٰ﴾: أي هداك إليها. ﴿عَآئِلًا﴾: فقيرا.

التفسير

تتناول سورة «الضحى» شخصية النبي الأعظم ﷺ وما حباه اللَّه به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة، ليشكر اللَّه عَلَى تلك النعم الجليلة، وابتدأت السورة بالقسم عَلَى جلاله قدر الرسول ﷺ ، وأن ربه لم يهجره، ولم يبغضه، كما زعم المشركون، بل هو عند اللَّه رفيع القدر، عظيم الشأن، ومن نعم اللَّه ﷻ عَلَى رسوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وذلك بأن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبدالمطلب إِلَى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره عَلَى دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدرة اللَّه وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار اللَّه له الهجرة من بين أظهرهم إِلَى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ، وكل هذا من حفظ اللَّه وكفالته وعنايته به. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾؛ أي في الدار الآخرة يعطيه حَتَّى يرضيه في أمته، قال النبي ﷺ : «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار»، ومن جملة ما أعده اللَّه له من الكرامة نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر، عن عبدالله بن عباس قال: عُرِض عَلَى رسول اللَّه ﷺ ما هو مفتوح عَلَى أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل اللَّه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ فأعطاه في

فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

﴿فَأَغْنَىٰ﴾: أغناك بما قنعت به من الغنيمة وغيرها.
﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾: فلا تغلبه عَلَى ماله، ولا تستند له ولا تظلمه.
﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾: فلا تزجره، وارفق به. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: عليك بالنبوة وغيرها. ﴿فَحَدِّثْ﴾: أخبرهم.

الجنة ألف ألف قصر، فِي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. عن ابن عباس: من رضاء محمد ألا يدخل أحد منَ أهل بيته النار، قال رسول اللَّه ﷺ: «إنا وأهل بيتي اختار اللَّه لنا الآخرة عَلَى الدنيا»، ولهذا كان رسول اللَّه ﷺ أزهد الناس فِي الدنيا، ولما خير عليه السلام فِي آخر عمره بين الخلد فِي الدنيا إِلَى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إِلَى اللَّه ﷻ اختار ما عند اللَّه عَلَى هذه الدنيا الدنية، وكان يقول: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وقد توفي أبوه عبدالله وهو فِي بطن أمه، ثم كفله جده عبدالمطلب، ثم كلفه عمه أبو طالب، وكان ينصره ويرفع من قدره، ويكف عنه أذى قومه من المشركين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ كقوله - تعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾، ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضل فِي شعاب مكة، وهو صغير ثم رجع، وقيل: إنه ضل وهو مع عمه فِي طريق الشام، وكان راكبا ناقة فِي الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إِلَى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إِلَى الطريق حكاهما البيهقي، وهذا هو الأرجح فِي أقوال المفسرين؛ لأن الرسول ﷺ قد عصمه اللَّه من الضلال. ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾؛ أي كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك اللَّه عمن سواه، فجمع بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر صلوات اللَّه وسلامه عليه. وقال قتادة فِي قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ قال: كانت هذه منازل رسول اللَّه ﷺ

قبل أن يبعثه الله ﷻ، وقال رسول الله ﷺ : «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم؛ أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي وكما كنت ضالا فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد، قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي فلا تكن جبارًا ولا متكبرا، ولا فاحشًا، ولا فظا عَلَى الضعفاء، من عباد الله. وقال قتادة: يعني رد المسكين برحمة ولين. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؛ أي وكما كنت عائلا فقيرًا فأغناك الله، فحدث بنعمة الله عليك، وذلك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي، «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها، وأتمها علينا»، وعن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها، وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ عَلَى المنبر: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب، وعن أنس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، قال: لا ما دعوتم الله لهم وآثنيتم عليهم»، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «من بلي بلاء فذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفر». ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، قال: ما علمت من خير فحدث إخوانك، وقال محمد بن إسحاق: ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوّة فحدث بها واذكرها وادع إليها، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرًا إِلَى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة فصلى. واستمر رسول الله ﷺ يعلم الناس طول حياته بما أنعم الله به عليه من أمور النبوة والشريعة الغراء، فكان هاديا وداعيا إِلَى الله بإذنه وسراجا منيرا.

من دلائل إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الطباق بين «الآخرة والأولى».

٢ ـ والمقابلة في: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا

﴿فَأَغْنَىٰ﴾، قابلها بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا﴾.

٣ - الجناس الناقص بين: «تقهر وتنهر».

٤ - السجع المرصع: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - الإيمان بقدرة اللَّه - تعالى - وعظمته فقد أقسم ﷻ بوقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وأقسم بالليل إِذَا اشتد ظلامه، وهذا قسم منه - تعالى - بالضحى، وما جعل فيه من الضياء، وبالليل إذا سكن فأظلم وادلهم، وهذا دليل عَلَى قدرة الخالق وعظمته.

٢ - الرد عَلَى المشركين حين قالوا: عن رسول اللَّه ﷺ لقد هجره ربه فما ترك اللَّه محمدًا منذ اختاره، ولا أبغضه منذ أحبه.

٣ - اليقين بأن الدار الآخرة خير لنا من الدار الدنيا؛ لأن الآخرة باقية والدنيا فانية، قال رسول اللَّه ﷺ : «اللهم لا عيش إِلَّا عيش الآخرة» ففيها النعيم المقيم والخلود فِي الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر عَلَى قلب بشر.

٤ - من نعم اللَّه عَلَى رسولنا الحبيب أن اللَّه ﷻ سوف يعطيه فِي الآخرة من الثواب والكرامة والشفاعة إِلَى أن يرضى، قال ابن عباس: هي الشفاعة الكبرى فِي أمته حَتَّى يرضى، لما روي أن النبي ﷺ ذكر أمته فقال: اللّهم أمتي أمتي فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد، واسأله ما يبكيك؟ وهو أعلم، فأتى جبريل رسول اللَّه ﷺ وسأله فأخبره رسول اللَّه بما قال: فقال اللَّه: يا جبريل اذهب إِلَى محمد وقل له: إنا سنرضيك فِي أمتك ولا نسوءك، وفي الحديث: «لكل نبي دعوة مستجابة فتجّعل كل نبي دعوته، وأنا خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة».

٥ - وقد أنعم اللَّه ﷻ عَلَى رسوله بخيري الدنيا والآخرة، أعطاه فِي الدنيا النصر والظفر عَلَى الأعداء، وكثرة الأتباع والفتوح، وأعلى دينه وجعل أمته خير الأمم، وأعطاه فِي الآخرة الشفاعة العامة، والمقام المحمود.

٦ـ ومن نعم اللَّه عَلَى رسوله كما جاء فِي السورة أنه ـ سبحانه ـ آواه فِي حال صغره، وذلك بكفالة جده وعمه أبي طالب، ووجده تائها عن معرفة الشريعة والدين فهداه إليها، ووجده فقيرا محتاجًا فأغناه عن الخلق.

٧ـ وصية اللَّه لرسوله: فقد أوصاه بثلاث وصايا مقابلها، وهي: فأما اليتيم فلا تحتقره، وكن له كالأب الرحيم، وأما السائل الذي يسأل عن حاجة وفقر فلا تزجره إِذَا سألك، ولا تغلظ له القول بل أعطه ورده ردًا جميلا، وحدث الناس بفضل اللَّه وإنعامه عليك؛ لأن التحدث بالنعمة شكر لها.

قال الألوسي: كنت يتيما وضالا وعائلا، فأواك اللَّه وهداك وأغناك، فلا تنس نعمة اللَّه عليك فِي هذه الثلاث فتعطف عَلَى اليتيم، وترحم عَلَى السائل، وارشد العباد إِلَى طريق الرشاد. ولنا فِي رسول اللَّه أسوة حسنة وعلينا أن نشكر اللَّه فِي السر والعلن، وأن نخلص فِي حبنا لله ولرسوله، وأن نؤمن بشفاعته العامة، وأن نعطف عَلَى اليتيم، وألا ننهر السائل، وأن نتحدث بنعم اللَّه علينا، ونداوم عَلَى شكره ونسبحه ونقدسه آناء الليل وأطراف النهار، وأن تلهج ألسنتنا بذكره وشكره وعبادته، والله الموفق إِلَى سبيل الرشاد.

* * * * *

سورة الانشراح

نزلت بمكة وآياتها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ

معاني المفردات: -

﴿نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: نوسعه، ونذهب الضيق عنه، ألم نفسح، قد شرحنا وأفسحنا.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾: خففنا عنك، وسهلنا عليك.

التفسير

كان النبي ﷺ يشعر بضيق الصدر، وانقباض النفس لإعراض قريش عن إجابة دعوته، لحرصه عَلَى هداية قومه، فلما دخل الناس في دينه أفواجا، سُرَّت نفسه وانشرح صدره. فذكره اللَّه بنعمته عليه فقال: قد أذهبنا عنكَ ضيق الصدر، وما كنت تشعر به من هم ثقيل.

يقول - تعالى -: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا؛ كقوله - تعالى -: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، وكما شرح اللَّه صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا ضيق.

وقيل المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شرح صدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أَيْضًا فالله أعلم.

عن أُبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا عَلَى أن يسأل رسول اللَّه ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول اللَّه ما أَوَّل ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول اللَّه ﷺ جالسا وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأَشْهُر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل أهو هو؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها عَلَى أحد قط فاقبلا إليّ يمشيان حَتَّى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما

﴿وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ

﴿وِزْرَكَ﴾: حملك الثقيل، «أعباء النبوة والرسالة». ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أثقله حَتَّى سمع له صوت.
﴿ٱلْعُسْرِ﴾: الصعوبة والشدة.

لصاحبه: أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد فأخرج شيئًا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: ادخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخْرج شبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمني فقال: إغْدُوا سلم فرجعت بها أعدو رقة عَلَى الصغير ورحمة للكبير.
﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ بمعنى: يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الانقضاض الصوت، وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؛ أي أثقلك حمله. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قال مجاهد: لا أذكر إِلَّا ذكرت معي، أشهد ألا إله إِلَّا اللَّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، وعن أبي سعيد عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: اللَّه أعلم، قال: إِذَا ذكرت ذكرت معي».
وعن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إِلَّا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلا، وموسى كليما، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسي الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أكثر من ذلك كله، أني لا أذكر إِلَّا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهرا، ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي، لا حول ولا قوة إِلَّا بالله العلي العظيم».
وقال آخرون: رفع اللَّه ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق عَلَى جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته، فلا يذكر اللَّه إِلَّا ذكره معه.

﴿مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾

﴿يُسۡرٗا﴾: التسهيل.
﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾: من عبادة أديتها.
﴿فَٱنصَبۡ﴾: أتعب، واجتهد وأتبعها بعبادة أخرى.
﴿فَٱرۡغَب﴾: ارفع إليه طلبك، وتضرع إليه بالدعاء.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا * إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾، أخبر ﷻ أن مع العسر يوجد اليسر، حدثنا عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالسا وحياله حجر فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حَتَّى يدخل عليه فيخرجه»، وعن الحسن قال: خرج النبي ﷺ يوما فرحًا مسرورا وهو يضحك، وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين»، ومعنى هذا: أن العسر معرف في الحالين فهو مفرد، واليسر منكر فتعدد، ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين»؛ يعني قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا * إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾؛ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدد، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «نزلت المعونة من السماء عَلَى قدر المؤنة، ونزل الصبر عَلَى قدر المصيبة». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾؛ أي إِذَا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها فانصب إِلَى العبادة، وقم إليها نشيطا، فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضرا العشاء فابدءوا بالعشاء». قال مجاهد في هذه الآية: إِذَا فرغت من أمرالدنيا فقمت إِلَى الصلاة فانصب لربك، وفي رواية عنه: إِذَا قمت إِلَى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إِذَا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَٱنصَبۡ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وعن ابن عباس: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾؛ يعني في الدعاء، وقال زيد بن أسلم والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾؛ أي من الجهاد، ﴿فَٱنصَبۡ﴾؛ أي في العبادة، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إِلَى اللَّه ـ ﷿.

ما نتعلمه من سورة «الانشراح»

١ - النبي ﷺ قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم، ودخول المشركين في دين اللَّه أفواجا.

٢ - شرح اللَّه ﷻ صدر النبي ﷺ بالنبوة ، وأخرج من قلبه الغل والحسد، وملأه بالرأفة والرحمة.

٣ - غفر اللَّه ﷻ لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان رسول اللَّه ﷺ لهجا بذكر اللَّه، ويقوم الليل حَتَّى تورمت قدماه، ولما سئل عن ذلك، وقد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

٤ - رفع اللَّه ذكر رسوله في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد ولا صاحب صلاة إِلَّا ينادي بها: أشهد أن لا إله إِلَّا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وجعل صدور أمته أناجيل يقرأون القرآن ظاهرا.

٥ - من نعم اللَّه عَلَى رسوله أن جعل صدور أمته أناجيل يقرءون القرآن ظاهرا، وأعطاه كنزا من كنوز عرشه، «لا حول ولا قوة إِلَّا بالله العلي العظيم».

٦ - إن مع العسر يوجد اليسر، ولا يغلب عسر يسرين؛ كما قال الرسول - صلوات اللَّه وسلامه عليه.

٧ - إِذَا فرغت من أمور الدنيا، وأشغالها فانصب إِلَى العبادة، وقم إليها نشيطا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة.

٨ - الصبر عند البلاء، فقد جعل اللَّه المعونة من السماء عَلَى قدر المئونة، ونزل الصبر عَلَى قدر المصيبة.

قال - تعالى - ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾. ولله الفضل العظيم.

* * * * *

سورة التين

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي

معاني الكلمات: -

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: المراد بهما موضعان في بلاد الشام ومنبتهما من الأرض المباركة.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجبل الذي بشبه جزيرة سيناء، جبل المناجاة للكليم عليه السلام. ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة المكرمة.

التفسير

عن البراء بن عازب كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه. قيل: المراد بالتين «مسجد دمشق» وقيل هي دمشق نفسها، وقيل الجبل: الذي عندها، وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف، وعن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي عَلَى الجودي. وقال مجاهد: هو تينكم هذا، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ هو مسجد بيت المقدس، وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي يعصرون، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم اللّه عليه موسى عليه السلام، ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾؛ يعني مكة، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث اللّه في كل واحد منهما نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محله التين والزيتون، وهي بيت المقدس، التي بعث اللّه فيها عيسى بن مريم عليه السلام، والثاني: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، وهو طور سيناء الذي كلم اللّه عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ، وفي التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء اللّه من طور سيناء؛ يعني الذي كلم اللّه عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث اللّه منه عيسى عليه السلام واستعلن من جبال فاران؛ يعني جبال مكة التي أرسل اللّه منها محمدا

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أجمل صورة، وأحسن شكل.
﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: جعلناه من أهل النار، الذين هم في أسفل من كل سافل، أو الهرم، أو أرذل العمر.
﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع ومنقوص عنهم. ﴿بِٱلدِّينِ﴾: بالجزاء والبعث.

ﷺ فذكرهم مخبرا عنهم عَلَى الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم فِي الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هذا هو المقسم عليه، وهو أنه ـ تعالى ـ خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي إلى النار، ثم بعد الحسن والنضارة مصيرهم إِلَى النار، إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي إِلَى أرذل العمر، قال عكرمة: من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي غير مقطوع، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾؛ أي يا ابن آدم، ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي بالجزاء فِي الميعاد، ولقد علمت البدأة، وعرفت أن من قدر عَلَى البدأة فهو قادر عَلَى الرجعة بطريقة الأولى، فأي شيء يحملك عَلَى التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟ وعن سفيان عن منصور قال: قلت لمجاهد: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ عنى به النبي ﷺ قال معاذ الله، عنى به الإنسان، وهكذا قال عكرمة وغيره، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور، ولا يظلم أحدا، ومن عدله أن يقيم القيامة، فينتصف للمظلوم فِي الدنيا ممن ظلمه، وعن أبي هريرة: فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى عَلَى آخرها، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، فليقل بلى، وأنا عَلَى ذلك من الشاهدين.

* * * * *

اشتملت السورة الكريمة عَلَى وجوه من البيان والبديع:

١ - المجاز العقلي بإطلاق الحال، وإرادة المحل، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أراد موضعهما الشام وبيت المقدس.

٢ - الطباق بين ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وبين ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

٣ - جناس الاشتقاق ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

٤ - الالتفات من الغيبة إِلَى الخطاب زيادة فِي التوبيخ والعتاب ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾؟

٥ - الاستفهام التقريري ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؟.

٦ - السجع ﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ - أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ - بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

ما نتعلمه من سورة التين

١ - تكريم اللَّه ﷻ للنوع البشري، فقد خلق الإنسان فِي أجمل صورة، وأبدع شكل.

٢ - الإيمان بالحساب والجزاء.

٣ - أقسم اللَّه ﷻ بالأماكن المشرفة والبقاع المقدسة التي خصها اللَّه - تعالى - بإنزال الوحي فيها عَلَى أنبيائه ورسله، وهي «بيت المقدس»، وجبل الطور، ومكة المكرمة.

٤ - علينا أن نشكر نعم اللَّه علينا، وإذا لم نشكر نعمة ربنا فسنرد إِلَى أسفل درجات الجحيم.

٥ - توبيخ الكافرين؛ لأنهم أنكروا البعث والنشور بعد تلك الدلائل الباهرة التي تدل عَلَى قدرة اللَّه وعظمته.

٦ - تثبت الآيات عدل اللَّه بإثابه المؤمنين، وعقاب الكافرين، وفيها تقرير للجزاء وإثبات للمعاد.

٧ - أقسم اللَّه ﷻ بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم منفعتهما. قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، وقال عكرمة: أقسم - تعالى - بمنابت التين والزيتون، فإن التين ينبت كثيرًا بدمشق، والزيتون ببيت

المقدس، ويدل عليه أن اللَّه ـ تعالى ـ عطف عليه الأماكن «جبل الطور»، والبلد الأمين، فيكون قسما بالبقاع المقدسة التي شرفنا اللَّه ـ تعالى ـ بالوحي والرسالات السماوية، كما أقسم ﷻ بالجبل المبارك الذي كلم اللَّه عليه موسى، وهو «طور سيناء» ذو الشجر الكثير الحسن المبارك، وأقسم بالبلد الأمين، مكة المكرمة، التي يأمن فيها من دخلها عَلَى نفسه وماله. والغرض من القسم بهذه البقاع الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثة الأنبياء والمرسلين.

٨ ـ المؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، لهم ثواب دائم غير مقطوع عنهم (وهو الجنة دار المتقين).

٩ ـ الدلائل والبراهين تدل دلالة قاطعة عَلَى قدرة اللَّه فِي خلقه فإنه خلق الإنسان من نطفة، وأوجده فِي أجمل شكل وأبدع صورة فما الذي يدعو الإنسان إِلَى التكذيب بيوم الجزاء، بعد هذه البراهين الثابتة، والقاطعة عَلَى قدرة اللَّه، وإعادته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾.

١٠ ـ اللَّه ﷻ اتصف بالعدل فهو أعدل العادلين حكما وقضاء وفصلا بين العباد.

* * * * *

سورة العلق مكية

وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ

معاني الكلمات:

﴿عَلَقٍ﴾: دم جامد استحال إليه المني، والعلق جمع علقة وهي

أسباب النزول

نزلت هذه الآيات إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول هذه السورة بمدة طويلة وذلك لأن أبا جهل كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عدواة الرسول ﷺ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ أخبرني يا محمد عن حال المجرم الأثيم الذي ينهى عبدًا من عباد الله عن الصلاة ما أسخف عقله وما أشنع فعله.. وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو محمد ﷺ لأن الذي نهاه هو اللعين أبو جهل حيث قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن على عنقه ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ أخبرني نَ كان هذا العبد المصلي وهو النبي ﷺ الذي تنهاه عن الصلاة صالحاً مهتديًا على الطريقة المستقيمة في قوله وفعله ﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ أي وكان آمرًا بالإخلاص والتوحيد داعيًا إلى الهدى والرشاد كيف تزجره وتنهاه فما أبلهك أيها الغبي الذي تنهى من هذه أوصافه: عبد لله مطيع مهتد منيب داع إلى الهدى والرشاد وما أعجب هذا. ما أشنع أن يجترئ مثل هذا الإنسان وينهى عبدًا من عبيد الله عن الصلاة والخضوع له أما كان الأحق بمثل هذا العاصي أن يؤدي حقوق الله ويأمر بطاعته اعترافًا بنعمته عليه ألا يرى أن من يكذب النبيين ويعرض عن صالح الأعمال ستكون عاقبته سيئة هل يجهل أن الله عالم بأمره مطلع على أعماله ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أخبرني يا محمد إن كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ألم يعلم ذلك الشقي أن الله مطلع على أحواله مراقب لأفعاله وسيجازيه عليها!!! ويله ما أجهله وما أغباه ثم ردعه وزجره فقال: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ أي ليرتدع

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي

القطعة اليسيرة من الدم الغليظ.
﴿الْأَكْرَمُ﴾: الزائد في الإكرام.
﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: علم الخط بالقلم.
﴿كَلَّا﴾: حقًا وهي للردع. ﴿لَيَطْغَىٰ﴾: ليجاوز الحد في العصيان.

هذا الفاجر «أبو جهل» عن بغيه وضلاله فوالله لئن لم ينته عن أذى الرسول ويكف عما هو عليه من الكفر والضلال ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي لنأخذنه بناصيته (مقدم شعر الرأس) فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ونقذفه فيها ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي صاحب هذه الناصية كاذب فاجر كثير الذنوب والإجرام والخاطئ الذي يفعل الذي يفعل الذنب متعمدًا والمخطئ الذي يفعله بدون قصد ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أي سندعوا خزنة جهنم الملائكة الغلاظ الشداد روي أن أبا جهل مر على النبي ﷺ وهو يصلي عند المقام فقال: ألم أنهك عن هذا يا محمد فأغلظ له رسول الله ﷺ القول فقال أبو جهل بأي شيء تهددني يا محمد والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا فأنزل الله ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته.

ليرتدع هذا المغرور عن طغيانه فأقسم لئن لم يرجع لنأخذنه أخذ عزيز مقتدر ولنذيقنه عذابًا شديدًا ولنذلن صاحب هذه الناصية الكاذب بغروره الخاطئ بطغيانه فلن ينفعه أعوانه الذين يشدون من أزره فيناصرونه حين تدعو له جنودا أشداء يجرونه على وجهه إلى النار وإياك أن تسمع لقوله في نهيه لك عن الصلاة فداوم عليها وتقرب إلى بطاعته ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ أي ليرتدع هذا الفاجر ولا تطعه يا محمد فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ أي واظب على سجودك وصلاتك وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

التفسير

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء

﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: الرجوع في الآخرة للجزاء (المرجع).

﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ﴾

فكان يأتي حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ، قال رسول الله ﷺ فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره. حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة «مالي» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي» فقالت له: كلا أبشر فوالله يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمي فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جزعا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ «أو مخرجي هم» فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردي من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذورة جبل لكي يلقي نفسه (الغار: شق في الجبل. بوادره: ما يبدو من الرجل عند غضبه. زملوني: غطوني. الروع: الفزع والخوف. تحمل الكل: تساعد الضعيف. تقري الضيف: تكرم الضيف. غطني: ضمني بشدة. الجهد: التعب. نوائب الحق: مصائب الدهر. الناموس: الوحي. جذعًا: الشاب الحدث. مؤزرًا: مقويًا له. جأشه: قلبه ونفسه).

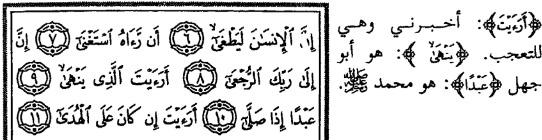
خرج رسول الله ﷺ إلى حراء حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم

العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى قال رسول الله ﷺ فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ قلت: ما أقرأ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ قال فقلت: ماذا اقرأ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ قال فقلت: ماذا اقرأ؟ فقال:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابًا قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال: فوقفت انظر إليه فلما أتقدم ولا أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفًا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني.

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات: وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة.

والعلم تارة يكون في الأذهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان أي ذهني ولفظي ورسمي، ذهني في العقل، ولفظي في القراءة ورسمي في الكتابة. ولهذا قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾.

وفي الأثر «قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضًا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم». (نمط: ثوب. ديباج: حرير ثخين. الغث: حبس النفس. وغتني: ضغطني ضغطًا شديدًا). أتل ما أوحي إليك من الكتاب يا محمد وإن كنت أميًا فإن الذي خلق جميع الكائنات وخلق الإنسان العاقل من دم جامد وزاد في التفضل عليه فعلم بالقلم وهو آله صماء قادر على أن يعينك على حفظ القرآن ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ هذا أول خطاب إلهي وجه وجه إلى النبي ﷺ وفية دعوة إلى القراءة والكتابة والعلم لأنه



﴿أَرَءَيْتَ﴾: أخبرني وهي للتعجب. ﴿يَنْهَىٰ﴾: هو أبو جهل ﴿عَبْدًا﴾: هو محمد ﷺ.

شعار دين الإسلام أي اقرأ يا محمد مبتداءًا ومستعينًا باسم ربك الجليل الذي خلق جميع المخلوقات وأوجد جميع العوالم ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي خلق هذا الإنسان البديع الشكل من العلقة، وقد أثبت الطب أن المني الذي خلق منه الإنسان يحتوي على حيوانات صغيرة لا ترى بالعين، وإنما ترى بالمجهر وهذه الحيوانات المنوية لها رأس وذنب فتبارك الله أحسن الخالقين، وخص الإنسان بالذكر تشريفًا له والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها ما تمر به ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ أي اقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم الذي لا يساويه ولا يدانيه كريم وقد دل على كمال كرمه أنه علم العباد ما لم يعلموا ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ أي علم الخط والكتابة بالقلم وعلم البشر ما لم يكونوا يعرفونه من العلم والمعارف فنقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وكما علم سبحانه بواسطة الكتابة بالقلم فإنه يعلمك بلا واسطة وإن كنت أميًا لا تقرأ ولا تكتب وقد نبه ﷻ على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي إ يحيط بها إنسان وما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين. وإذا كان الله ﷻ قد تفضل على الإنسان فخلقه وعلمه فليرتدع عن ضلاله وغروره ولا يخرج عن حدود الله أن رأي نفسه غنيًا بالمال والقوة ألا يعلم أن ثروته وحياته زائلة وأن مرجعه إلى الله يحاسبه على ما قدمت يداه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ أي حقًا إن الإنسان ليتجاوز الحد في الطغيان وإتباع هوى النفس ويستكبر على خالقه ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أي من أجل أن رأي نفسه غنيا وأصبح ذا ثروة ومال أشر وبطر ثم توعده ربه وهدده بقوله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي إن إلى ربك المرجع

أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ (١٢) أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ (١٧) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ (١٩)

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أعرض عن العمل الطيب. ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: لنسحبنه بناصيته إلى النار (لنجذبنه بشدة) والناصية (شعر مقدم الرأس). ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: أهل مجلسه من أهله وعشيرته. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب، وهم جنود أشداء يدفعون المجرمين إلى النار. ﴿وَٱقْتَرِب﴾: تقرب إلى ربك بالعبادة.

والمصير فيجازيك على أعمالك وفي الآية تهديد وتحذير للإنسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ ومتكبر.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الإطناب بتكرار الفعل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم قال ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ لمزيد من الاهتمام بشأن القراءة والعلم.

٢ ـ الجناس الناقص: بين (خلق ـ وعلق).

٣ ـ طباق السلب: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

٤ ـ الكناية: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * عَبْدًا ﴾ كنى بالعبد عن رسول الله ﷺ ولم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره.

٥ ـ الاستفهام للتعجب من شأن الناهي: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ * أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

٦ ـ المجاز العقلي ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ أي كذب صاحبها خاطئ فأسند الكذب إليها مجازًا.

٧ ـ السجع المرصع مثل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ﴾.



ما نتعلمه من السورة الكريمة «العلق»

١ - بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ وهو في غار حراء.

٢ - أول سورة نزلت من القرآن الكريم ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ نزل بها جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ.

٣ - أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء من إنس وجان وحيوان ونبات.

٤ - الإيمان بقدرة الخالق جل وعلا فقد خلق الإنسان من علقة.

٥ - من صفات الله سبحانه وتعالى وحده الخلق والإيجاد من العدم ومن صفاته تعالى أنه الكريم الأكرم.

٦ - القلم وسيلة للتعلم، وهو آلة صماء يتعلم عن طريقها الإنسان الكتابة والقراءة بقدرة الله تعالى وأول من كتب به إدريس عليه السلام.

٧ - علم الله الإنسان ما لم يكن يعلمه كما علم آدم الأسماء كلها وعلم الله يهبه لمن يشاء من عباده وهو العليم الخبير.

٨ - النفوس البشرية تطغى وتتجبر إذا اغتنت وكثر لديها المال.

٩ - وعيد وتهديد ووعظ لمن طغى وبطر وأشرك بنعم الله عليه ومرجعه إلى الله يوم القيامة.

١٠ - الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة أولًا فقد وعظ الله تعالى أبا جهل حين توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت ونهاه عنها فأغلظ له الرسول ﷺ وانتهره واستمر في صلاته.

١١ - الخوف من عقاب الله ووعيده فقد توعد الله أبا جهل إذا لم يرجع عن شقاقه وعناده لرسول الله بأن الله سيجازيه على فعله أتم الجزاء.

١٢ - المداومة على العبادة والإكثار من الدعاء في السجود فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

والله ولي التوفيق،

سورة القدر

عدد آياتها خمس وهي مكية



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ

معاني الكلمات:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا. ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾: أي الشرف والعظم. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: ما أعلمك يا «محمد» ﷺ. ﴿مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: تعظيم لشأنها وتعجب منه.

التفسير

أنزل الله القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان. قال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىّ بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

ثم قال تعالى: معظما لشأن ليلة القدر التي اختصها الله بإنزال القرآن الكريم فيها فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فهي الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم وهي ليلة عظيمة الشرف فضلها الله وجعلها خيرا من ألف شهر لأنه اختار فيها سيد المرسلين لهداية الناس أجمعين وأنزل عليه الملائكة ومعهم جبريل الأمين يحمل رسالة الله إلى النبي محمد ﷺ وأوامره التي فيها هداية للناس ونورا ولفضلها وعظم قدرها جعلها الله أمنا وسلاما للناس من مبدئها حتى طلوع الفجر.

أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: ليس فيها ليلة القدر. ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تتنزل الملائكة. ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا﴾: أي جبريل عليه السلام.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بأمره. من كل أمر: قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: جعلت سلامة لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه.

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي يكثر نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزيل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له. وأما الروح فالمراد به جبريل عليه السلام ﴿ سَلَامٌ هِيَ﴾ هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى.

قال قتادة: وغيره: تقضي فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ تسلم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر وقال قتادة وابن زيد في قوله ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ في قوله ﴿ سَلَامٌ هِيَ﴾ يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر.

من علامات ليلة القدر:

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر: تسع أو سبع

أو خامسة أو ثالثة أواخر ليلة.

وعن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة.

ما يستحب في ليلة القدر:

الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي رمضان أكثر وفي العشر الأخيرة منه ثم في أوتاره أكثر ويستحب أن يكثر من هذا الدعاء «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» رواه الإمام أحمد وعن عبدالله بن بريدة أن عائشة رضي الله عنها قال: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: قولي «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

فضائل ليلة القدر:

ليلة القدر خير من ألف شهر: قال المفسرون: العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر لما اختصت به من شرف إنزال القرآن الكريم فيها. فقد روي أن رجلًا لبس السلاح وجاهد في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ والمسلمون من ذلك وتمنى رسول الله ﷺ لأمته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارًا وأقلها أعمالًا فأعطاه الله ليلة القدر وقال: «ليلة القدر خير لك ولأمتك من ألف شهر جاهد فيها ذلك الرجل. تتنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض في تلك الليلة من أجل كل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة القابلة. وليلة القدر سلام من أول يومها إلى طلوع الفجر تسلم فيها الملائكة على المؤمنين ولا يقدر الله فيها إلا الخير والسلامة لبني الإنسان.

من دلائل الإعجاز

- رعاية الفواصل مراعاة لرءوس الآيات (القدر - شهر - أمر - الفحر) وفيه من الجرس الموسيقي والإيقاع ما يؤثر في النفس ويثلج القلب.

- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ الاستفهام هنا الغرض البلاغي منه التفخيم والتعظيم لليلة القدر.

- كررت ليلة القدر في السورة ثلاث مرات من باب الإطناب زيادة في الاعتناء بها والتفخيم لأمرها.

- ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ ذكر الخاص بعد العام فقد ذكر الملائكة ثم ذكر جبريل عليه السلام لينبه على جلالة قدره.

وعليك أخي الكريم أن تكثر من تلاوة القرآن وتتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان لتحظى بسعادة الدنيا والآخرة ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله من وراء القصد

* * * * *

سورة البيـنـة

نزلت بالمدينة وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

معاني الكلمات: -

﴿كَفَرُوا۟﴾: جحدوا دين الله.
﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود

أسباب النزول

لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله: إن الله يأمرك أن تقرئها أبيًا، فقال النبي ﷺ لأبي: «إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة» قال أبي وقد ذكرت ثمّ يا رسول الله؟ قال نعم: قال: فبكى أبي.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال وسماني لك؟ قال: «نعم» فبكى رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن حديث شعبة به.

ولما نزلت هذه السورة وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم، والله أعلم. وعن مطر المزني عن النبي ﷺ : «إن الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا، ويقول: أبشر عبدي فو عزتي لا أنساك عَلَى حال الدنيا والآخرة، ولأمكن لك فِي الجنة حَتَّى ترضى».

التفسير

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم، قال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُنفَكِّينَ﴾؛ يعني منتهين حَتَّى يتبين لهم الحق، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي هذا القرآن، ثم فسر البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾؛ يعني محمدًا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب فِي الملأ الأعلى فِي صحف مطهرة كقوله: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى

﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا

والنصارى. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾: الذين يعبدون الأوثان. ﴿مُنفَكِّينَ﴾: مزايلين ما هو عليه من الكفر وراجعين عما هم فيه. ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: الحجة والدليل الواضح، وهي الرسل - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ. ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ. ﴿صُحُفًا﴾: مكتوبا فيه القرآن العظيم. ﴿مُّطَهَّرَةً﴾: منزهة عن الباطل والشبهات، نقيه من الباطل والبدع. ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: آيات وأحكام مكتوبة. ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة محكمة.

سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قال الصاوي: المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن، والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها، وفيها كتبة قيمة؛ لأن القرآن جمع ثمرة كتب اللَّه المتقدمة من الزبور والتوارة والإنجيل، وما اختلف اليهود والنصارى في شأن محمد ﷺ إِلَّا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة عَلَى صدق رسالته، وأنه الرسول الموعود في كتبهم قال أبو السعود: والآية مسوقة لغاية التشنيع عَلَى أهل الكتاب خاصة، وتغليظ جناياتهم، ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق، وانقطاع الأعذار بالكلية؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾. قال ابن جرير - أي في الصحف المطهرة كتب من اللَّه قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها أخطاء؛ لأنها من عند اللَّه ﷻ، قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثني عليه بأحسن الثناء، وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة معتدلة، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ يعني بذلك أهل الكتب المنزلة عَلَى الأمم قبلنا بعدما أقام اللَّه عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فالذي أراده اللَّه من كتبهم واختلفوا عَلَى ثنتين وسبعين فرقة، وستتفرق هذه الأمة عَلَى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إِلَّا واحدة،

ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ

﴿ٱلدِّينَ﴾: العبادة.
﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن الباطل إِلَى الإسلام، وعن الضلال إِلَى الهدى.
﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: الأمة المستقيمة عَلَى الحق.
﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخلائق أو البشر.
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: لا يخرجون منها أبدا.

قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ...﴾، ولهذا قال: ﴿حُنَفَآءَ﴾؛ أي محتفين من الشرك إِلَى التوحيد؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ وهي الإحسان إِلَى الفقراء والمساكين والمحتاجين، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي الملّة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقد استدل الشافعي بهذه الآية الكريمة عَلَى أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾. ثم يخبر الله ـ تعالى ـ عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها؛ أي ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؛ أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها، (برأها: خلقها، وذرأها: خلقها أيْضًا).

ثم أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء عَلَى تفضيل المؤمنين من البرية عَلَى الملائكة لقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، ثم قال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ

﴿عَدْنٍ﴾: إقامة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

رَبِّهِمْ﴾؛ أي يوم القيامة، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوا من النعيم المقيم، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه ـ (هيعة: كل ما أفزعك من صوت أو فاحشة تشاع). ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «رجل في ثلة من غنمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ألا أخبركم بشر البرية؟» قالوا: بلى، قال: «الذي يسأل بالله ولا يعطي به».

اشتملت السورة الكريمة عَلَى وجوه من البيان والبديع:

١ ـ الإجمال ثم التفصيل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، ثم فصل بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

٢ ـ الطباق بين: ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٣ ـ الاستعارة التصريحية ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾، لفظ مطهرة فيها استعارة تصريحية؛ حيث شبه تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.

٤ - المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، وبين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية.

٥ - توافق الفواصل مثل: «ٱلْبَيِّنَةُ، ٱلْقَيِّمَةِ، خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ، شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ» وهو من المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - اليهود والنصارى هم الذين خالفوا دين اللّه حَتَّى جاءهم بالهدى محمد ﷺ ، وما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد إِلَّا من بعد ما علموا أنه حق، وخص أهل الكتاب بالذكر؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوته في كتبهم.

٢ - لقد جاءت إليهم الرسل بدين من عند اللّه مشتمل عَلَى الخير والسعادة لهم فتفرقوا فيه شيعا ومذاهب، وأخذ بعضها يبطل بعضا حَتَّى ضاعت حقيقة دينهم الذي جاءت به أنبياؤهم، وليس عجيبا أن يجحد كثير من اليهود والنصارى دين محمد.

٣ - لقد أمر اللّه اليهود والنصارى أن يخلصوا الدين له، فلا يشركوا بعبادته أحدا، وأن يقيموا صلاته خاشعين لله خاضعين، وأن يؤدوا الزكاة للفقراء والمساكين وسائر المستحقين، وخص الصلاة والزكاة لشرفهما، ولكنهم حرفوا وبدلوا فعبدوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله.

٤ - جزاء الذين يجحدون دين اللّه يوم القيامة عذاب دائم في نار جهنم؛ لأنهم شر الخلق، أما الذين يصدقون بدين الله، ويعملون بما جاء به فهم خير البرية، وأعد اللّه لهم نعيما مقيما، وخيرا عميما، في جنات يشملهم فيها الرضا؛ لأنهم خافوا ربهم، وأطاعوه فأحسن جزاءهم.

* * * * *

سورة الزلزلة

نزلت بالمدينة وآياتها تسع آيات

معاني الكلمات: ـ

﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حركت تحريكا عنيفا واهتزت اهتزازًا شديدًا «النفخة الأولى».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ

من أسباب النزول

عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق ﷺ قاعد، فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ : «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكاني هذه السورة، فقال رسول الله ﷺ : «لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم».

قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾، قال مقاتل: نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا الشيء، وإنما نؤجر عَلَى ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير؛ كالكذبة والغيبة، ويقول: ليس عليَّ من هذا بشيء، إنما أوعد الله بالنار عَلَى الكبائر، فأنزل الله ﷻ يرغبهم في القليل من الخير، فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ إلَى آخره.

التفسير

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل ربع القرآن»، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن». وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل

ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ

﴿أَثْقَالَهَا﴾. موتاها في النفخة الثانية، وما فيها من المعادن والنيران التي في جوفها.

﴿مَا لَهَا﴾؟: ما الذي حدث لها؟

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: في ذلك الوقت.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تدل بحالها عَلَى ما عمل عليها. ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أمرها، وجعل في حالها دلالة عَلَى ذلك. ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: يخرجون من قبورهم إِلَى الحشر.

وأصحابه: هلا تزوجت يا فلان؟ قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج؟ قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ قال: بلى، قال: ربع القرآن «تزوج».

قال ابن عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؛ أي تحركت من أسفلها، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؛ يعني ألقت ما فيها من الموتى؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾. ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾؛ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر عَلَى ظهرها؛ أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ـ تعالى ـ ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد له عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: «فإن أخبارها أن تشهد عَلَى كل عبد وأمة بما عمل عَلَى ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا، فهذه أخبارها». وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي أوحى إليها بمعنى أذن لها. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ أي يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا؛ أي أنواعا

﴿أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين عَلَى حسب أحوالهم.
﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مقدار وزن أصغر هباءة من الهباء الذي يرى في ضوء الشمس، أو الجزيء الذي لا يتجزأ. ﴿خَيْرًا﴾: من الخير.

وأصنافا ما بين شقي وسعيد، مأمور به إِلَى الجنة، ومأمور به إِلَى النار، وقال السدى: أشتاتا: فرقا، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي ليعلموا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾. وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعًا: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»، وله أيضًا في الصحيح: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط»، وفي الصحيح: «يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» يعنى ظلفها، وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»، وعن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾، فرفع أبو بكر يده، وقال يا رسول الله إني أجزي بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال: «يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حَتَّى توفاه يوم القيامة»، وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت: ما فيها من مثقال ذرة، ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ يعني في كتابه ويره ذلك، قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين بكل واحدة عشرًا، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته عَلَى سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة»، وعن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن عَلَى الرجل حَتَّى يهلكنه».

بالسورة الكريمة وجوه من البيان والبديع الآتي

١ ـ الإضافة للتهويل والتفظيع ﴿زِلْزَالَهَا﴾.

٢ ـ الإظهار في مقام الإضمار، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾ لزيادة التأكيد.

٣ ـ ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ الاستفهام للتعجب والاستغراب.

٤ ـ جناس الاشتقاق: (زلزلت ـ زلزالها).

٥ ـ المقابلة بين (خيرا يره، شرا يره).

٦ ـ السجع مثل: زلزالها، أثقالها، مالها، من المحسنات البديعية التي تكسب الكلام جرسا موسيقيا جميلا يؤثر في النفس.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ من علامات الساعة حينما ينتهي أمر الدنيا، ويأتي أمر الآخرة تهتز الأرض اهتزازًا عنيفا وتتشقق، فيخرج من جوفها ما فيه من كنوز ومعادن ونيران وأموات، ويحصل الدهش لما وقع بها من انقلاب وخراب.

٢ ـ يتساءل الناس ذاهلين ما الذي حدث للأرض حَتَّى وقع فيها ما لم نره من قبل، فيدل ما هي عليه من الثورة والعنف والتصدع، عَلَى أن اللّٰه أمرها بذلك، وتحدث الأرض أحاديثها بأن اللّٰه قال لها: كوني خرابا، ثم يخرج الموتى من قبورهم متفرقين يجزيهم اللّٰه جزاء أعمالهم في الدنيا، فمن عمل خيرًا ولو يسيرًا كوفيء عليه، ومن ارتكب شرًا ولو قليلًا عوقب عليه.

٣ ـ تشهد الأرض عَلَى كل إنسان بما عمل عَلَى ظهرها تقول: عملت يوم كذا، كذا وكذا وكل هذا من عجائب ذلك اليوم الرهيب.

٤ ـ ينصرف الناس من أرض المحشر إلى الجنة أو النار، وينقسمون إِلَى أصناف ما بين شقي وسعيد، اللَّهُمَّ قنا شر فيح نار جهنم، واكتبنا من السعداء الفائزين بجنات الخلد يا كريم.

* * * * *

سورة العاديات

نزلت بمكة، وآياتها إحدى عشرة آية

معاني الكلمات: -

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٢)

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخيل التي تجري مسرعة في الغزو. ﴿ضَبْحًا﴾: هو صوت أنفاسها إِذَا عدت.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: المخرجات النار بصك حوافرها الأحجار.

من أسباب النزول

قال مقاتل: بعث رسول اللَّه ﷺ سرية إِلَى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم فقال المنافقون: قتلوا جميعا، فأخبر اللَّه - تعالى - عنها، فأنزل: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾؛ يعني تلك الخيل. وعن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ بعث خيلا فأسهبت شهرًا لم يأته منها خبر، فنزلت ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ ضبحت بمناخرها إِلَى آخر السورة، ومعنى «أسهبت» أمعنت فِي السهوب، وهي الأرض الواسعة جمع سهب.

التفسير

يقسم اللَّه - تبارك وتعالى - بالخيل إِذَا أجريت فِي سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾؛ أي فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها عَلَى الحجارة عند عدوها وشدة جريها، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾؛ يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول اللَّه ﷺ يغير صباحا، ويستمع الآذان فإن سمع آذانا وإلا أغار، فالخيل تغير عَلَى العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس، هذا هو المعتاد فِي الغارات كانوا يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾؛ أي فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو، فِي الموضع الذي أغرن به، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾؛ أي فتوسطن به جموع

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: المباغتات للعدو وقت الصباح. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: هيجن في الصبح غبارا. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: فتوسطن فيه جمعا من الأعداء. ﴿لَكَنُودٌ﴾: لكفور جحود، كافر بنعمة ربه. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: لأجل حب المال. ﴿لَشَدِيدٌ﴾: لقوي مجدٌ في تحصيله متهالك عليه،

الأعداء وأصبحن وسط المعركة، أقسم ﷻ بخيل المجاهدين في سبيل اللَّه تعظيما للمقسم به، هذه الخيل التي تسرع عَلَى أعداء اللَّه، وتقدح النار بحوافرها، وتغير عَلَى الأعداء وقت الصباح، فتثير الغبار، وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفزع، أما الأمور التي أقسم عليها فهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾؛ أي إن الإنسان لجاحد لنعم ربه، شديد الكفران. قال ابن عباس: جاحد لنعم الله، وقال الحسن: يذكر المصائب وينسى نعم اللَّه عليه، وعن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ قال: الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده»، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أي أن اللَّه عَلَى ذلك لشهيد، ويحتمل أن يعود الضمير عَلَى الإنسان فيكون تقديره، وإن الإنسان عَلَى كونه كنود لشهيد؛ أي بلسان حاله، أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله؛ كما قال - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي وإنه لحب المال لشديد، وله معنيان: أنه شديد المحبة للمال، أو أنه حريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح، وهو لحب اللَّه وعبادته وشكر نعمه ضعيف متقاعس، ثم بعد أن عدد عليه قبائح أعماله خوفه، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي أفلا يعلم هذا الجاهل إذا أثير ما في القبور وأخرج ما فيها من الأموات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾؛ يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في أنفسهم من الأسرار والخفايا التي كانوا يسرونها، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾؛ أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾

فلذلك بخل به. ﴿بُعۡثِرَ﴾: أخرج ونشر.
﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: ظهرت أسرار الصدور من خير وشر.
﴿لَّخَبِيرُۢ﴾: عليم بحال الناس.

ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة، وإنما خص علمه بهم في ذلك اليوم - يوم القيامة -؛ لأنه يوم الجزاء يقصد الوعيد والتهديد، فهو - تعالى - عالم بهم في ذلك اليوم وغيره.

ما تضمنته السورة من وجوه البيان والبديع

١ - التأكيد بإن واللام؛ مثل: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾.

٢ - الجناس غير التام بين (لشهيد، ولشديد)، (وضبحا، وصبحا).

٣ - الاستفهام الإنكاري للتهديد والوعيد، ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

٤ - التضمين ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ ضمن لفظ خبير معنى المجازاة؛ أي يجازيهم عَلَى أعمالهم.

٥ - توافق الفواصل؛ مثل: (شهيد، شديد، والصدور، والقبور) ويسمى السجع المرصع، وهو من المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - يقسم اللَّه - تعالى - بالخيل التي تجري مسرعة لغزو الأعداء، فتخرج من أفواهها زفيرا عاليا، وتضرب الأرض بحوافرها فتخرج نارًا من شدة عدوها وتفاجئ الأعداء بالهجوم عليهم صباحا وهم غافلون.

٢ - وقد بدأت السورة بالقسم بخيل الغزاة إظهارًا لشرفها وفضلها عند الله.

٣ - كما يقسم اللَّه ﷻ بأن الإنسان مع توالي نعم اللَّه عليه، كافر بهذه النعم، وأنه

ليشهد عَلَى نفسه بكفرانه نعم اللَّه لمنعه الخير عن عباده.

٤ ـ إن الإنسان يحب المال حبا جمًّا، فيجد فِي طلبه وتحصيله، ويبخل به بخلًا شديدًا عَلَى المحتاجين.

٥ ـ ألا يعلم ذلك الجحود البخيل أن عاقبته سيئة يوم القيامة حين يخرج الناس من قبورهم للحساب، ويظهر ما تكنه صدورهم.

٦ ـ إن اللَّه ﷻ ليجازي كل امرئ بما قدمت يداه، من خير أو شر؛ لأنه عالم بأحوالهم، مطلع عَلَى خفايا صدورهم.

٧ ـ لا ينفع فِي الآخرة مال ولا جاه، وإنما ينفع العمل الصالح، وعلينا أن نؤدي حق اللَّه من صلاة وزكاة وصوم وحج، وأن يكون شعارنا لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله، وأن نتمسك بعقيدتنا السمحة حَتَّى نحظى برضاء اللَّه ورضوانه.

* * * * *

سورة القارعة

نزلت بمكة وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا

معاني الكلمات: ـ

﴿الْقَارِعَةُ﴾: القيامة تفزع القلوب بأهوالها.
﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾: أي شيء هي؟
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾: أي وصف يحيطك علما بها.
﴿كَالْفَرَاشِ﴾: هو طير كالبعوض يتهافت في النار. ﴿الْمَبْثُوثِ﴾: المتفرق المنتشر. ﴿كَالْعِهْنِ﴾: كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة. ﴿الْمَنفُوشِ﴾: المفرق بالأصابع ونحوها.

التفسير

من أسماء يوم القيامة ﴿الْقَارِعَةُ﴾؛ كالحاقة والطامة، والغاشية، ثم قال ـ تعالى ـ معظما أمرها ومهولا لشأنها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾؛ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه؛ كأنهم فراش مبثوث؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾؛ أي صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، ثم أخبر ﷻ عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة والإهانة بحسب أعمالهم فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي رجحت حسناته عَلَى سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ يعني في الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾؛ أي رجحت سيئاته عَلَى حسناته، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾؛ قيل معناه: فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعبر عنه بأمه يعني دماغه، قال قتادة: يهوي في النار عَلَى رأسه، وقيل معناه: فأمه التي

﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: رجحت مقادير حسناته. ﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾: في حياة تمتع ولذة. ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: نقصت حسناته، لقلة فضائله، وكثرة رذائله.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾: فمأواه جهنم يهوي فيها ومقره جهنم، يأوي إليها كما يأوي الولد إِلَى أمه. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾؟: ما هي - والهاء للسكت - أي شيء يعلمك - مقدار هول جهنم وشدتها؟ ﴿حَامِيَةُۢ﴾: ملتهبة.

يرجع إليها ويصير إليها في المعاد إليها هاوية - وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾، وعن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم، ولهذا قال - تعالى - مفسرًا للنهاية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾؛ أي حادة شديدة الحر، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» قالوا: يا رسول اللَّه إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا» ورواه البخاري، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»، وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «أوقد عَلَى النار ألف سنة حَتَّى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حَتَّى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حَتَّى اسودت فهي سوداء مظلمة». وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه»، وثبت فِي الصحيحين أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اشتكت النار إِلَى ربها فقالت: يا رب أكلي بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس فِي الشتاء، ونفس فِي الصيف، فأشد ما تجدون فِي الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون فِي الصيف من حرها».

وفي الصحيحين: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»،

اللَّهُمَّ نجنا من النار يا كريم.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ تتحدث السورة الكريمة عن القيامة وأهوالها والآخرة وشدائدها وما يكون فيها من أهوال عظام كخروج الناس من القبور وانتشارهم فِي ذلك اليوم الرهيب كالفراش المنتشر هنا وهناك، يجيئون ويذهبون عَلَى غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم، كما تحدثت عن نسف الجبال وتطايرها حَتَّى تصبح كالصوف المنبث المتطاير فِي الهواء، بعد أن كانت صلبة راسخة فوق الأرض، وإذا كانت هذه هي حالة الأرض، فكيف يكون حال البشر فِي ذلك اليوم العصيب؟

٢ ـ يوم القيامة توجد الموازين التي توزن بها أعمال الناس فمنهم شقي وسعيد حسب ثقل الموازين وخفتها، وسميت السورة الكريمة بالقارعة؛ لأنها تقرع القلوب والأسماع بهولها وشدتها أجارنا اللَّه من هولها وشدتها والجمهور عَلَى أن الميزان حقيقي له كفتان ولسان، توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات، وعن ابن عباس أنه يؤتي بالأعمال الصالحة فِي صورة حسنة، وبالأعمال السيئة عَلَى صورة قبيحة، فتوضع فِي الميزان، فمن رجحت حسناته سعد، ومن رجحت سيئاته شقي.

٣ ـ القارعة تؤثر فِي الأجرام العظيمة فتؤثر فِي السموات بالانشقاق، وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالنسف، وفي الكواكب بالانتشار، وفي الشمس والقمر بالتكوير، وهذا شيء عجيب فِي الفخامة والفظاعة.

٤ ـ يخرج الناس من قبورهم فزعين، كأنهم جراد منتشر، يموج بعضهم فِي بعض من شدة الفزع والحيرة، ولقد أثرت القارعة فِي الجبال العظيمة الصلبة، فكيف حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب.

٥ ـ علينا أن نتعرف عَلَى أهوال وأحوال يوم القيامة حَتَّى نستعد لهذا اليوم العظيم، وما فيه من أهوال وعجائب، ونرجع إِلَى البارئ ـ جلا علاه ـ، ونخشاه فِي السر والعلن، ونسير عَلَى درب الواصلين إليه عسى أن يكف عنا عقابه وعذابه يوم لا

ينفع مال ولا بنون، إِلَّا من أتى اللَّه بقلب سليم، والقلب السليم من أخلص العبودية لله وعمل بمحكم كتابة واتبع سنة رسوله الكريم، ومن الأدعية المأثورة لطهارة القلب أن تقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق والسمعة والرياء، اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق والرياء حَتَّى نلقى اللَّه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ومن تطهر قلبه من هذه الصفات فقد يلقى اللَّه بقلب سليم، والله أعلم.

اشتملت السورة الكريمة عَلَى وجوه من البيان والبديع؛ مثل:

١ ـ الاستفهام للتفخيم والتهويل: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾؟.

٢ ـ وضع الظاهر مكان الضمير للتخويف والتهويل: ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؟ والأصل أن يقال: ما هي؟

٣ ـ التشبيه المرسل المجمل: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه؛ أي في الكثرة والانتشار والضعف والذلة ومثله ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ أي في تطايرها وخفة سيرها فيسمى مرسلا مجملا.

٤ ـ المقابلة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، ثم قابلها بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾.

٥ ـ توافق الفواصل في الحرف الأخير: (راضية ـ هاوية ـ ما هية ـ حامية).

* * * * *

سورة التكاثر

نزلت بمكة وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا

معاني الكلمات: -

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلكم عن طاعة ربكم. ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: التباهي والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد.
﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر؛ أي ارتدعوا وكفوا عن هذا العمل.

أسباب النزول

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما لحاء فتعادُّوا السادة والأشراف أيهم أكثر؟ فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا، وأعظم نظرا، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا حَتَّى زاروا القبور، فعدوا موتاهم فكثر بنو سهم؛ لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية.

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حَتَّى ماتوا ضلالا.

التفسير

قال رسول اللَّه ﷺ: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ - عن الطاعة - حَتَّى زرتم المقابر - حَتَّى يأتيكم الموت»، وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ في الأموال والأولاد، وعن عبد اللَّه بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إِلَى رسول اللَّه ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إِلَّا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق

سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: العلم المبني عَلَى الحقيقة؛ أي لو تعلمون مآلكم علما يقينا لما ألهاكم التكاثر. ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: والله لترون الجحيم. ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: لترونها رؤية حقيقية تشاهد بالعين وتدرك بالحواس. ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: كل ما يتلذذ به في الدنيا من مأكل ومشرب ومال وجاه.

فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»، تفرد به مسلم. وعن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقي عمله»، وحدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؛ أي صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول اللَّه ﷺ دخل عَلَى رجل من الأعراب يعوده فقال: «لا بأس طهور إن شاء اللَّه»، فقال: قلت طهور بل هي حمى تفور، عَلَى شيخ كبير، تُزيره القبور، قال: «فنعم إذن».

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ يعني أيها الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ يعني أيها المؤمنون، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حَتَّى صرتم إِلَى المقابر، ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ هذا هو تفسير الوعيد المتقدم، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إِذَا زفرت واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل عَلَى ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم اللَّه به

عليكم من الصحة والأمن والرزق، وعن جابر بن عبدالله يقول: أكل رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء، فقال: رسول اللَّه ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسئلون عنه»، وعن أبي هريرة ؓ يقول: قال النبي ﷺ: «إن أول ما يسئل عنه يوم القيامة العبد من النعيم، أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونروك من الماء البارد»، وقال الزبير لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول اللَّه لأي نعيم نسئل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء قال: «إن ذلك سيكون»، وعن عكرمة قال: لما أنزلت هذه الآية، قالت الصحابة يا رسول الله: وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبزًا لشعير؟ فأوحى اللَّه إِلَى نبيه ﷺ: قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم. وقال زيد بن أسلم عن رسول اللَّه ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم، وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قال: «الأمن والصحة»، وعن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل اللَّه العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، وعن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، ويعني هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق وجب عليه فهو مغبون.

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع:

١ ـ الوعظ والتوبيخ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقد خرج الخبر عن حقيقته إِلَى التذكير والتوبيخ.

٢ ـ التكرار للتهديد والإنذار ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعطف بثم للتنبيه عَلَى أن الثاني أبلغ من الأول.

٣ ـ حذف جواب «لو» للتهويل، ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي لرأيتم ما تشيب له الرءوس وتفزع له النفوس من الشدائد والأهوال.

٤ ـ الإطناب بتكرار الفعل ﴿لَتَرَوُنَّ﴾، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ لبيان شدة الهول.
٥ ـ الكناية ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ كنى عن الموت بزيارة القبور، والمراد مُتُّم.
٦ ـ المقابلة بين (النعيم .. والجحيم).
٧ ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات وهو من المحسنات البديعية.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ انشغال الناس بمغريات الحياة، وتكالبهم عَلَى جمع حطام الدنيا من المال والجاه، وكثرة البنين، والتباهي والفخر بما أنعم اللَّه به عليهم.
٢ ـ لم يقوموا بأداء الشكر لله الواحد الأحد، صاحب الفضل والنعم.
٣ ـ يقطع الموت عليهم متعتهم، ويأتيهم فجأة وبغتة، فيقلبهم من القصور إِلَى القبور.
٤ ـ الزجر والإنذار تخويفا للناس، وتنبيها لهم عَلَى خطئهم، باشتغالهم بالفانية عن الباقية ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.
٥ ـ بينت السورة المخاطر والأهوال التي سيلقاها الإنسان فِي الآخرة، ولن يفلت من هذه الأهوال وتلك المخاطر إِلَّا المؤمنون الذين قدموا فِي حياتهم صالح الأعمال يوم القيامة وستشاهدون الجحيم عيانا ويقينا، ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾، وهذا جواب قسم مضمر؛ أي والله لترون الجحيم رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية، وزاد التأكيد بقوله: ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ نفيا لتوهم المجاز فِي الرؤية الأولى.
٦ ـ سنسئل فِي الآخرة عن نعيم الدينا من الأمن والصحة، وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب، ومفرش، ومركب.
٧ ـ رسمت السورة الكريمة هذه المشاهد التي ستحدث يوم القيامة فهل لنا أن نتعظ؟ هل لنا أن نعد العدة للقاء، ولنقوم بواجب الشكر عَلَى تلك النعم التي لا تعدو ولا تحصى.

اللَّهُمَّ وفقنا لشكرك وطاعتك لنحظى برضاك يا رب العالمين.

* * * * *

سورة العصر

نزلت بمكة، وآياتها ثلاث آيات

معاني الكلمات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾: قسم بالدهر، أو عصر النبوة. ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: خسران ونقصان وهلكة. ﴿آمَنُوا﴾ : اعتقدوا بالله وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر. ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: الأعمال التي تنفع الإنسان والأهل والوطن، ولا تضر أحدا. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أوصى بعضهم بعضًا بالتوحيد والإيمان. ﴿بِالصَّبْرِ﴾: قوة النفس عَلَى احتمال المشقة فِي العمل الصالح، ومنعها من الشر.

التفسير

ذكر الطبراني عن عبيدالله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إِذَا التقيا لم يفترقا إِلَّا عَلَى أن يقرأ أحدهما عَلَى الآخر سورة «العصر» إِلَى آخرها، ثم يسلم أحدهما عَلَى الآخر. وقال الشافعي - رحمه الله - لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

﴿وَالْعَصْرِ﴾: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال مالك: هو العصر، ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾؛ أي أقسمُ بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات، فأقسم - تعالى - بذلك عَلَى أن الإنسان لفي خسر؛ أي فِي خسارة وهلاك، وقال قتادة: العصر هو آخر ساعات النهار، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة، والعظة البالغة، وقال القرطبي: أقسم الله ﷻ بالعصر - وهو الدهر - لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلالة عَلَى الصانع، وقيل: هو قسم بصلاة العصر؛ لأنها أفضل الصلوات،

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم؛ أي جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، فهؤلاء هم الفائزون؛ لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضا عن الشهوات العاجلات، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ وهو أداء الطاعات وترك المحرمات؛ أي أوصى بعضهم بعضا بالحق، وهو الخير كله، من الإيمان والتصديق، وعبادة الرحمن، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ أي عَلَى المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ أي عَلَى الشدائد والمصائب، وعلى فعل الطاعات، وترك المحرمات، حكم - تعالى - بالخسار عَلَى جميع الناس إِلَّا من أتى بهذه الأشياء الأربعة؛ وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فإن نجاة الإنسان لا تكون إِلَّا إِذَا كمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكمل غيره بالنصح والإرشاد فيكون قد جمع بين حق الله، وحق العباد.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - إطلاق البعض وإرادة الكل ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ أي الناس.

٢ - التنكير للتعظيم، ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾؛ أي فِي خسر عظيم، ودمار شديد.

٣ - الإطناب بتكرار الفعل ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾؛ لإبراز كمال العناية به.

٤ - ذكر الخاص بعد العام ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ بعد قوله: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ فإن الصبر داخل فِي عموم الحق، إِلَّا أنه أفرده بالذكر إشادة بفضيلة الصبر.

٥ - السجع؛ مثل: (العصر - الصبر - خسر).

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ - يقسم اللَّه - تعالى - بالدهر، وهو من مرور الليل والنهار عَلَى أكمل وجه؛ وهو وقت الضوء والظلام، والحر والبرد.

٢ - فِي الدهر تقع أعمال الإنسان من خير وشر، إن الإنسان ضال خاسر لميله إِلَى الشر، واتباعه هوى نفسه، وليس لهذا الدهر دخل فِي ضلاله وخسرانه.

٣ ـ لا ينجو من هذا الضلال والخسران والهلاك إِلَّا الذين يصدقون بالله، ويؤمنون بكتبه ورسله، ويعملون الأعمال الصالحة التي تنفعهم ولا تضر غيرهم.

٤ ـ علينا أن يدعوا بعضنا بعضا إِلَى اتباع الحق، وعمل الخير، وإلى تعويد النفس على تحمل المشقات وعمل الطيبات، واحتمال المكروه فِي منعها من الشهوات والسيئات.

٥ ـ هذه السورة مع إيجازها وبلاغتها فيها ما يكفينا فِي الدنيا والآخرة فهي تحذرنا من أن نقع فِي الهلاك والخسران، وأن نميل إِلَى الشر، واتباع هوى النفس وتدعونا إِلَى الإيمان بالله العلي العظيم، وأن نعمل عملا صالحا يرضاه، وأن نتواصى باتباع الحق، وعمل الخير، وأن نتوصى بالصبر حَتَّى يرضى ربنا ـ جل جلاله ـ عن الذين يتمسكون بما جاء فِي هذه السورة وهو أرحم الراحمين.

* * * * *

سورة الهمزة

نزلت بمكة، وآياتها تسع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا

معاني الكلمات: ـ

﴿وَيْلٌ﴾: هلاك وعذاب. الهماز ـ اللماز: الهماز الذي يغتاب الناس ويطعن في أعراضهم، واللماز: الذي يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين. ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: طعان عياب للناس، مشاء بالنميمة بينهم. ﴿وَعَدَّدَهُ﴾: أحصاه، أو أعده للنوائب، وعده مرة بعد أخرى تلذذا بإحصائه. ﴿أَخْلَدَهُ﴾: يخلده في الدنيا. ﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر كما يظن. ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: ليطرحن. ﴿الْحُطَمَةِ﴾: جهنم لحطمها ما يلقى فيها.

أسباب النزول

نزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس يلمزهم ويعيبهم مقبلين ومدبرين، والحكم عام؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

التفسير

الهماز بالقول واللماز بالفعل؛ يعني يزدري الناس وينتقص منهم قال: ابن عباس وقتادة يعني الاغتياب، ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين؛ وهي الحالقة، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين، فقال: إنهما لبعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «لا يدخل الجنة قتات»؛ يعني نماما. وقال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ طعان معياب. وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه في وجهه، واللمزة

أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ ۝٩

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾؟: لا يمكنك أن تتصور شدة هذه النار. ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: تصل إلى القلوب، وتغشى حرارتها أوساطها. ﴿مُّؤۡصَدَةٞ﴾: مطبقةٌ مُغْلقةٌ أبوابها. ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ﴾: بأعمدة ممدودة عَلَى أبوابها (أعمدة طويلة).

من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾؛ أي جمعه بعضه عَلَى بعض، وأحصى عدده؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾، قال السدى وابن حجر في قوله ﴿جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾، ألهاه ماله بالنهار هذا إِلَى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾؛ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذا الدار، ﴿كَلَّاۖ﴾؛ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾؛ أي ليلقين هذا الذي جمع ماله فعدده في الحطمة، وهي اسم صفة من أسماء النار؛ لأنها تحطم من فيها، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾؛ أي تحرقهم إِلَى الأفئدة وهم أحياء، وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده حَتَّى إِذَا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع عَلَى جسده، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾؛ أي مطبقة، وقوله ـ تعالى ـ:﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ﴾؛ أي من النار، وعن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ﴾؛ يعني الأبواب هي الممددة، وفي قراءة عبدالله بن مسعود (إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة)، وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار، وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۢ﴾؛ يعني القيود الثقال.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ صيغة المبالغة: (همزة ولمزة)؛ لأن بناء فُعَله يدل عَلَى أنها عادة مستمرة.

٢ ـ التنكير للتفخيم ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾؛ أي مالا كثيرا لا يكاد يحصى.
٣ ـ التفخيم والتهويل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تهويل لشأن جهنم.
٤ ـ الجناس الناقص بين (همزة، ولمزة).
٥ ـ توافق الفواصل؛ مثل: (عدده، أخلده، الموقدة، ممددة).

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ الوعيد والتهديد من المولى عز وجل بالعذاب الشديد والهلاك والدمار، لكل من يعيب الناس، ويغتابهم، ويطعن في أعراضهم، أو يلزمهم سرًا بعينه أو حاجبه.
٢ ـ كما ذمت الآيات الكريمة الذين يشتغلون بجمع الأموال، وتكديس الثروات، كأنهم مخلدون في هذه الحياة، ويظنون لفرط جهلهم، وكثرت غفلتهم أن المال سيخلدهم في الدنيا.
٣ ـ هؤلاء التعساء الأشقياء، سيدخلون نارًا لا تخمد أبدا، تحطم المجرمين، ومن يلقى فيها من البشر تحرق أجسامهم، وتصل إلى قلوبهم، وموضع شعورهم، وذلك بسبب احتقارهم للناس، وكثرة الطعن في أعراضهم، ويتغامزون عليهم، ويمشون بينهم بالنميمة.
٤ ـ يجب ألا نغتر بما يعطينا الله من المال، فهو عرض زائل يجب أن نسخره في مرضاة الله من صدقة أو نسك، أو عمارة بيوت الله، أو إقامة المشروعات الخيرية كالمدارس والمشافي حتى يكون لنا ذخيرة عند الله يوم القيامة.
٥ ـ لنأخذ العظة والعبرة ونسير على نهج الله الكريم، ولا نغتاب الناس ولا نذكر معايبهم، ولا أن نسخر منهم، بالهمز واللمز فهما الطريق إلى نار سقر التي تحطم من فيها، وقانا الله وإياكم شر نار الحطمة، والله أكبر والعزة لله وحده.

* * * * *

سورة الفيل

نزلت بمكة، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

معاني الكلمات: -

﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: وقعت القصة أوَّل عام مولده - ﷺ.

﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: سعيهم لتخريب الكعبة.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: تضييع وإبطال.

أسباب نزول السورة الكريمة

نزلت في قصة أصحاب الفيل، وقصدهم تخريب الكعبة، وما فعل اللَّه - تعالى - بهم، من إهلاكهم وصرفهم عن البيت.

قام ذو نواس آخر ملوك حمير بقتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، ولم ينج منهم سوى دوس ثعلبان، فاستغاث بقيصر ملك الشام، وكان نصرانيا، فكتب له إِلَى النجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إِلَى بلاد اليمن، فبعث معه أرياط وأبرهة في جيش عظيم، واستلبوا الملك من حمير، واختلف أرياط وأبرهة واحتكما إِلَى السيف وضرب أرياط أبرهة فشرم أنفه، فحمل مولى أبرهة عَلَى أرياط فقتله، واستقل أبرهة بملك اليمن فغضب عليه النجاشي، وتوعده بالقتل، ولكن أبرهة أرسل إليه الهدايا والتحف والذهب، واستعطفه حَتَّى رضي عنه. وكتب إليه أبرهة يقول: سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم ين مثلها من قبل، وشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء، مزخرفة الأرجاء، وذلك ليصرف العرب عن الحج إِلَى الكعبة، ويذهبون إِلَى الكنيسة، وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا، وقصدهم رجل من كنانة وأحدث فيها ليلا، ولطخها بالنجاسة، احتقارا لها، وكر راجعا، وأخبر سدنة الكنيسة أبرهة بذلك، وقالوا: إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم فأقسم ليهدمن الكعبة، واستصحب معه فيلا

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: جماعات متفرقة. ﴿سِجِّيلٍ﴾: طين متحجر محرق. ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: كتبن أكلته الدواب فراثته، أو كورق زرع أكل ما فيه من حب.

عظيما كان النجاشي قد بعثه إليه لذلك، فلما قرب الجيش من مكة أمر أبرهة أن تنهب أموال العرب وإبلها، وكان فيها إبل عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وهو يومئذ سيد قريش، وذهب عبدالمطلب إِلَى أبرهة، فلما دخل عليه رآه أبرهة وسيما جميلا عليه الهيبة والوقار، فأكرمه وأجلسه بجواره وسأله عن حاجته، فقال عبدالمطلب: حاجتي أن ترد علي إبلي، فتعجب أبرهة وقال: أتحدثني عن الإبل وتترك الكعبة ، وقد جئت لهدمها، فقال عبدالملطب: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه. فرد عليه أبرهة الإبل، وعزم عَلَى هدم الكعبة، وفي الصباح وجه أبرهة الجيش نحو الكعبة، وأمامه الفيل، فلما قرب منها رجع الفيل خائفا مذعورا، وحاول الجند أن يوجهوه نحو الكعبة، فما استطاعوا، فأرسل اللَّه عليهم جماعات من الطير تحمل أحجارا صغيرة فيها جراثيم الجدري والحصبة، وأخذت تلقيها عليهم حَتَّى أهلكتهم، ونجى اللَّه البيت الحرام من أبرهة وجنوده، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامتهم كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إِلَى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات، وذلك جزاء الظالمين.

التفسير

هذه من النعم التي امتن اللَّه بها عَلَى قريش فيما صرفه عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا عَلَى هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله وخيب سعيهم وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص

والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد، ولسان حال القدر يقول: لن ننصركم يا معشر قريش عَلَى الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ خاتم الأنبياء، وقصة أصحاب الفيل: أن أبرهة الأشرم حاول هدم الكعبة ليصرف الحجيج عنها، وكان معه فيل عظيم أراد أن يهدم الكعبة به، ولكن الله خيب أملهم، وأرسل طيرا من البحر في مناقيرها وأرجلها حجارة من طين متحجر محرق أهلكتهم وشتت جمعهم، وردتهم خائبين خاسرين، وقال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون عَلَى كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حَتَّى قدموا به صنعاء، فما مات حَتَّى انصدع صدره عن قلبه، وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبدالمطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة.

قال ابن إسحاق، فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به عَلَى قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، وأما السجيل: الشديد الصلب، والعصف: ورق الزرع الذي لم يقضب واحدته عصفة، ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفِرق، وقال ابن عباس: أبابيل يتبع بعضها بعضا، وقال قتادة الأبابيل: الكثيرة، وعن ابن عباس ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: لها خراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب، وعن عكرمة في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيرًا خضرًا خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع. وعن عبيد بن عمير ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحجارة. وعن ابن عباس: ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: طين في حجارة، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسميه العامة هبور، وعن سعيد: ورق الحنطة، وعنه أَيْضًا: العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب، وعن ابن عباس: العصف القشرة التي عَلَى الحبة، وقال ابن زيد: العصف: الزرع وورق البقل إِذَا أكلته البهائم فراثته فصار درينا، والمعنى أن الله ﷻ أهلكهم ودمرهم، ولما مات أبرهة ملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده

أخوه مسروق بن أبرهة، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إِلَى كسرى فاستعانه عَلَى الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد اللَّه إليهم ملكهم، ومان كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب بالتهنئة، وعن عائشة قالت: لقد رأيت قائدًا لفيل وسائسه بمكة أعميين مُقعدين يستطعمان، وعن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائله حيث يذبح المشركون ذبائحهم. وفي الصحيحين أن رسول اللَّه ﷺقال يوم فتح مكة: «إن اللَّه حبس عن مكة الفيل، وسلط اللَّه عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ الآية، الاستفهام للتقرير والتعجب.

٢ ـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺبإضافته إِلَى اسم الجلالة تشريف للنبي العظيم، وإشادة بقدرة اللَّه ـ تعالى.

٣ ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ التشبيه المرسل المحمل ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

٤ ـ توافق الفواصل في الحرف الأخير، (الفيل، تضليل، سجيل، أبابيل).

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ أصحاب الفيل حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة، رد اللَّه كيدهم في نحورهم، وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم.

٢ ـ أرسل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى جيش أبرهة الأشرم وجنوده أصعف مخلوقاته، وهي الطير التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة، حَتَّى أهلكهم اللَّه وأبادهم.

٣ ـ كان ذلك الحدث التاريخي الهام، في عيد ميلاد سيد الكائنات محمد بن عبدالله سنة سبعين وخمسمائة ميلادية، وكان من أعظم الإرهاصات الدالة عَلَى صدق

نبوته ﷺ.

٤ ـ هذه القصة تدل عَلَى تكريم اللَّه للكعبة، وإنعامه عَلَى قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوا اللَّه ويشكروه عَلَى نعمائه.

والله من وراء القصد.

* * * *

سورة قريش

نزلت بمكة، وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا

معاني الكلمات: -

الإيلاف: المعاهدة والمصالحة. ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾: اعْجَبُوا لإيلافهم الرحلتين، وتركهم عبادة رب البيت؛ وهي قبيلة النبي - ﷺ -. ﴿رِحْلَةَ﴾: سفر. ﴿الْبَيْتِ﴾: الكعبة.

أسباب النزول

كان عبد مناف زعيم قريش، وكان له أربعة أولاد عظماء؛ هم: هاشم أبو عبدالمطلب جد النبيﷺ، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، وقد عقد كل واحد من هؤلاء الإخوة إيلافا (أي معاهدة تجارة) مع مملكة من الممالك التي حول جزيرة العرب، فعقد هاشم معاهدته مع ملك الروم، وعقد عبد شمس معاهدته مع ملك الحبشة، وعقد المطلب معاهدته مع ملك اليمن، وعقد نوفل معاهدته مع ملك الفرس، ولقد أصبح لقريش بفضل هذه المعاهدات حرية التجارة والسفر إِلَى هذه البلاد صيفا وشتاء، فكانوا يسافرون آمنين، ويعودون رابحين.

التفسير

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ المراد بذلك ما كانوا يألفوته من الرحلة فِي الشتاء إِلَى اليمن، وفِي الصيف إِلَى الشام فِي المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إِلَى بلدهم آمنين فِي أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم اللَّه فمن عرفهم احترمهم بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم، وهذا حالهم فِي أسفارهم ورحلتهم فِي شتائهم وصيفهم، وأما فِي حال إقامتهم فِي البلد فكما قال اللَّه - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، ولهذا قال - تعالى -: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ﴾،

﴿ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

﴿وَءَامَنَهُم﴾: نجاهم وسلمهم.

بدل من الأول ومفسر له، ولهذا قال - تعالى -: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾، وقال ابن جرير: الصواب أن اللام للتعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قرش، ونعمتي عليهم في ذلك، ثم أرشدهم إِلَى شكر هذه النعمة العظيمة، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتًا محرما، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ أي هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾؛ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنًا، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع اللَّه له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه.

عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف».

عن أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول اللَّه ﷺ قال: «فضل اللَّه قريشا بسبع خلال: أني منهم، وإن النبوة فيهم، والحجابة والسقاية فيهم، وأن اللَّه نصرهم عَلَى الفيل، وأنهم عبدوا اللَّه ﷻ عشر سنين لا يعبده غيرهم، وإن اللَّه أنزل فيهم سورة من القرآن، ثم تلا رسول اللَّه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

* * * * *

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الطباق بين الشتاء والصيف، وبين الجوع والإطعام ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، وبين الأمن والخوف ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

٢ ـ الإضافة للتكريم والتشريف، ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾.

٣ ـ تقديم ما حقه التأخير ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ والأصل: (ليعبدوا رب هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف)، فقدم الإيلاف تذكيرًا بالنعمة.

٤ ـ التنكير في لفظة ﴿جُوعٍ﴾ ولفظة ﴿خَوْفٍ﴾؛ لبيان شدتهما؛ أي جوع شديد، وخوف عظيم.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ من نعم اللَّه الجليلة عَلَى أهل مكة رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إِلَى الشام من أجل التجارة.

٢ ـ إن اللَّه ﷻ نجا قريشا من الخوف والأذى الذي يتعرض له المسافر فِي رحلاته إِلَى بلد بعيد، وكفاهم شر الجوع والقحط فِي جزيرة العرب، لما كانوا يجنونه من ربح وافر من هذا السفر فِي رحلتهم صيفا وشتاء.

٣ ـ وإذا كان اللَّه ـ تعالى ـ قد أنعم عَلَى قريش بنعمة الأمن والسلامة، وكفاهم شر الجوع، فقد وجب عليهم أن يعبدوه، وهو رب الكعبة التي يقدسونها، وأن يتركوا عبادة الأوثان؛ لأنها لا تذهب الخوف، ولا تمنع الجوع، بل هي لا تضر ولا تنفع.

٤ ـ يجب عَلَى كل مسلم فِي مشارق الأرض ومغاربها أن يشكر اللَّه ﷻ عَلَى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأن يفرد العبادة لله وحده لا شريك له، حَتَّى يلقى اللَّه عَلَى الحنيفية السمحة، فهي طوق النجاة لمن تاب، وآمن وعمل صالحا.

٥ ـ الإنعام عَلَى قسمين: أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره فِي سورة الفيل، والثاني جلب النفع، وهو ما ذكره فِي هذه السورة، وقد دفع اللَّه عنهم الضر، وجلب لهم النفع، وهما نعمتان عظيمتان فأمرهم بالعبودية وأداء الشكر، ويجب علينا أن نسير عَلَى نهج اللَّه القويم، وأن نؤدي حق العبودية لله بشكره وتعظيمه.

سورة الماعون

مكية وآياتها سبع

معاني الكلمات: -

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى﴾: أخبرني الذي يكذب من هو؟

﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: يجحد الجزاء لإنكاره البعث. ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾: يدفعه دفعا عنيفا عن حقه. ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾: لا يحُثُ ولا يبعث أحدًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾

أسباب النزول

قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وقال ابن جريح: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا، فأنزل الله - تعالى -: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾.

التفسير

يقول اله - تعالى -: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾؛ وهو المعاد والجزاء والثواب والاستفهام للتعجيب والتشويق؛ أي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة؟ هل عرفت من هو وما هي أوصافه؟ إن أردت أن تعرفه: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾؛ أي هو الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي ولا يحث عَلَى إطعام المسكين؛ يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته، ولم قال: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولم يقل: ولا يطعم المسكين؟ فالجواب: إذًا منع اليتيم حقه، فكيف يطعم المسكين من مال نفسه؟ بل هو بخيل من مال غيره، وهذا هو النهاية في الخسة، ويدل عَلَى نهاية بخله، وقساوة قلبه، وخساسة طبعه، والحاصل أنه لا يطعم المسكين

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾: هلاك أو حسرة أو شدة عذاب. ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون غير مبالين بها. ﴿يُرَآءُونَ﴾: يقصدون الرياء بأعمالهم. ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: ما يتعاوره الناس بينهم بخلا، وكل ما فيه منفعة للناس؛ كالفأس، والقدر، والدلو.

ولا يأمر بإطعامه؛ لأنه يكذب بالقيامة، ولو آمن بالجزاء وأيقن بالحساب لما صدر عنه ذلك، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر؛ أي هلاك وعذاب للمصلين المنافقين، ولهذا قال قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية كما قال ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية، وقال عطاء الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقال في صلاتهم ساهون، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الآية فقال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» قال المفسرون: لما قال - تعالى -: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ بلفظة ﴿عَن﴾ علم أنها في المنافقين، ولهذا قال بعض السلف: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل في صلاتهم؛ لأنه لو قال «في صلاتهم» لكانت في المؤمنين، والمؤمن قد يسهو في صلاته، والفرق بين السهوين واضح، فإن سهو المنافق سهو ترك، وقلة التفات إليها، فهو لا يتذكرها، ويكون مشغولًا عنها، والمؤمن إذًا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو، فظهر الفارق بين السهوين، ثم زاد في بيان أوصافهم الذميمة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾؛ أي يصلون أمام الناس رياء؛ ليقال إنهم صلحاء، ويتخشعون ليقال: إنهم أتقياء، ويتصدقون ليقال إنهم كرماء، وكل أعمالهم للشهرة والرياء.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾؛ أي يمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به؛ كالفأس والقدر والماء، وأصل الماعون من كل شيء منفعته، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾؛ أي لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إِلَى خلقه حَتَّى ولا بإعارة ما ينتفع به، ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى، وعن مجاهد قال عن الماعون، قال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله، وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها، وقال ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾؛ يعني متاع البيت، وعن الحارث قال عن علي: الماعون: منع الناس الفأس والقدر والدلو، وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو والإبرة، وقال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ المعروف، ولهذا جاء فِي الحديث: «كل معروف صدقة»، وعن علي النميري سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم إِذَا لقيه جاء بالسلام، ويرد عليه، ما هو خير منه لا يمنع الماعون» قلت: يارسول اللّه ما الماعون؟ قال: «الحجر والحديد وأشباه ذلك»، وفي الآية: زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة، فإن البخل بها نهاية البخل، وهو مخل بالمروءة.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ الاستفهام الذي يراد به تشويق السامع إِلَى الخير والتعجيب منه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾؟.

٢ ـ الإيجاز بالحذف ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ حذف منه الشرط إن أردت أن تعرفه، فذلك الذي يدع اليتيم.

٣ ـ الذم والتوبيخ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾، ووضع الظاهر مكان المضمر: (فويل لهم) زيادة فِي التقبيح؛ لأنهم مع التكذيب ساهون عن الصلاة.

٤ ـ الجناس الناقص ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

٥ ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات: (ساهون ـ يراءون ـ الماعون).

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ تحدثت السورة الكريمة عن فريقين من البشر هما:

أ ـ الكافر الجاحد لنعم اللَّه المكذب بيوم الحساب، وهو الذي يهين اليتيم ويزجره غلظة لا تأديبا، ولا يفعلون الخير حَتَّى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير، فلا هم أحسنوا فِي عبادة ربهم، ولا أحسنوا إِلَى خلقه.

ب ـ المنافق الذي لا يقصد بعمله وجه اللَّه، بل يرائي فِي أعماله وصلاته، ومن صفاته أنه لا يؤدي الصلاة فِي أوقاتها، ويقوم بها صورة أمام الناس؛ ليقال أنه يصلي، وإنه من الصلحاء.

٢ ـ توعدت السورة الفريقين بالويل والهلاك، وشنعت عليهم أعظم تشنيع، بأسلوب الاستغراب والتعجب الشديد من ذلك الصنع.

٣ ـ الدعوة إِلَى الكرم والإحسان إِلَى اليتامى والفقراء والمساكين، وتقديم يد العون إليهم، ولا يمنعون الناس منافع ما عندهم.

٤ ـ النهي عن البخل؛ لأن من اتصف بالبخل فهو من المنافقين، وإن المنافقين فِي الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا.

وقانا اللَّه وإياكم شر الشح والبخل، فهو مخل بالمروءة والنبل، ووفقنا إِلَى فعْل الخيرات، وترك المنكرات، والله من وراء القصد.

* * * * *

سورة الكوثر

نزلت بمكة، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

معاني الكلمات: ـ

﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: نهر في الجنة، أو الخير الكثير في الدنيا والآخرة.
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: اجعل صلاتك لله. ﴿وَٱنْحَرْ﴾: واذبح الأضاحي نسكًا شكرا لله ـ تعالى. ﴿شَانِئَكَ﴾: مبغضك الكاره لك. ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: المقطوع الذي لا يبقى أثره، ولا يحسن ذكره.

أسباب النزول

قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، وذلك أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذلك الأبتر، يعني النبي ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ، وكان قد توفى قبل ذلك عبدالله بن رسول اللَّه ﷺ، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ هذه السورة.

وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل السهمي إذَا ذكر رسول اللَّه ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، ولو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ إلَى آخر السورة. وقال عطاء عن ابن عباس: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إنِّي لأشْنَؤُكَ وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ من خير الدنيا والآخرة.

التفسير

عن أنس قال: بَيْنَا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذَا أُغفي إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، قلنا: ما أضحك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت علي آنفا سورة فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾. ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء فيحتلج (تنازعه) العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري، ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ».

وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺعن الكوثر فقال: «هو نهر أعطانيه الله ـ تعالى ـ في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر» قال أبو بكر: يا رسول الله إنها الناعمة، قال: «آكلها أنعم منها». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؛ أي كما أعطاك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، واعبده وحده لا شريك له، وانحر عَلَى اسمه وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك نحر البدن ونحوها، ﴿وَانْحَرْ﴾؛ أي اسيتقبل بنحرك القبلة، والصحيح أن المراد بالنحر: ذبح المناسك، ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه، ويقول: «من صلَّى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾؛ أي أن مبغضك يا محمد ومبغض

ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره. وعن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذَا ذكر رسول اللَّه ﷺ يقول دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل اللَّه هذه السورة، وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل، وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾؛ يعني عدوك، وقال عكرمة: ﴿ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الفرد، وقال السدي: كانوا إذَا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء النبيﷺ قالوا: بتر محمد فأنزل اللَّه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾، وقد توهم المشركون لجهلهم أنه إذَا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى اللَّه ذكر رسوله عَلَى رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه عَلَى رقاب العباد مستمرا عَلَى دوام الآباد، إِلَى يوم المحشر والمعاد، صلوات اللَّه وسلامه عليه إِلَى يوم التناد.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ ـ تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم ﴿إِنَّآ﴾؛ لأن أصلها إن ونحن.

٢ ـ صيغة الجمع الدالة عَلَى التعظيم، ﴿أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، ولم يقل «أنا أعطيتك».

٣ ـ صيغة الماضي المفيدة للوقوع ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، ولم يقل «سنعطيك»؛ لأن الوعد كان محققا عبر عنه بالماضي مبالغة؛ كأنه حدث ووقع.

٤ ـ المبالغة في لفظة ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾.

٥ ـ الإضافة للتكريم والتشريف ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.

٦ ـ إفادة الحصر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

٧ ـ المطابقة بين (الكوثر، والأبتر)؛ فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير.

ما نتعلمه من السورة الكريمة

١ ـ أنعم اللَّه عَلَى رسوله الكريم بإعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة، ومنها (نهر الكوثر)، وقد دعت السورة الرسول إِلَى إقامة الصلاة ونحر الهدي

شكرًا لله عَلَى هذه النعم، مع إطعام الفقراء من لحوم الذبائح.

٢ ـ الذي يبغضون الرسول ﷺ فسوف يذهب ذكرهم، وينمحي أثرهم وانقطاعهم من كل خير فِي الدنيا والآخرة.

٣ ـ سيبقى ذكر الرسول ﷺ مرفوعا عَلَى المنائر والمنابر، واسمه الشريف عَلَى كل لسان، خالد إِلَى آخر الدهر والزمان ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه إِلَى يوم الدين.

* * * * *

سورة الكافرون

نزلت بمكة، وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا

معاني الكلمات:

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: المعاندون الجاحدون. ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: لا أعبد آلهتكم التي

أسباب النزول

نزلت في رهط من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت خير مما بأيدينا [كنا] قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يدك [كنت] قد أشركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره ، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك. عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة، أو بضع عشرة مرة، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وعن الحارث بن جبلة قال: قلت يا رسول الله: علمني شيئا أقوله عند منامي قال: إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فإنها براءة من الشرك.

التفسير

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش، وهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى

﴿تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

تعبدونها. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: لستم بعابدين إلهي. ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: لا أعبد عبادتكم المؤسسة عَلَى الشرك بالله. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: ولا تعبدون عبادتي المبنية عَلَى وحدانية الله. ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾: لكم عبادتكم ولي عبادتي.

عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل اللَّه هذه السورة، وأمر رسوله أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾؛ يعني من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾؛ وهو اللَّه وحده لا شريك له، وما هاهنا بمعنى مَنْ ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾؛ أي ولا أعبد عبادتكم؛ أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد اللَّه عَلَى الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾؛ أي لا تقتدون بأوامر اللَّه وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم؛ كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فإن العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون اللَّه بما شرعه، ولهذا كانت كلمة الإسلام: «لا إله إلَّا اللَّه محمد رسول اللَّه»؛ أي لا معبود إلَّا اللَّه ولا طريق إليه إلَّا بما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير اللَّه عبادة لم يأذن بها الله ، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، وقال البخاري يقال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد، وقد حكى البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ في الماضي، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا

عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ في المستقبل، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ عَلَى أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إِذَا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان، وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إِلَى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى».

من أسرار إعجاز القرآن الكريم

١ - الخطاب بالوصف ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؛ للتوبيخ والتشنيع عَلَى أهل مكة.

٢ - طباق السلب ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فالأول نفي والثاني إثبات.

٣ - المقابلة بين ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي في الحال، والمقابلة بين ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي في الاستقبال، وفي هذه المقابلة نفي لعبادة الأصنام في الحال والاستقبال؛ وهو من المحسنات البديعية.

٤ - توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾.

ما نتعلمه من السورة الكريمة «الكافرون»:

١ - هي سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال.

٢ - نزلت السورة تقطع أعمال الكافرين، وتفصل النزاع بين الفريقين: أهل الإيمان، وعبدة الأوثان، وترد عَلَى الكافرين تلك الفكرة السخيفة في الحال والاستقبال، فقد دعا المشركون رسول اللَّه ﷺ إِلَى المهادنة وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فنزلت السورة تقطع هذه الفكرة الرديئة.

٣ - يأس الكافرين من دعوتهم الرسول إلى عبادة آلهتهم سنة، وعبادة إلهه سنة، فأيسوا منه، وآذوه وأصحابه.

٤ ـ في قوله (قل) دليل عَلَى أنه مأمور بذلك من عندك الله، وخطابه لهم بلفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ونسبتهم إِلَى الكفر، وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إِلَى ذلك دليل عَلَى أنه محروس من عند اللَّه، فهو لا يبالي بهم ولا بطواغيتهم.

٥ ـ المشركون يعبدون الأوثان الأحجار، والرسول يعبد الإله الحق وهو رب العالمين وشتان بين عبادة الرحمن، وعبادة الهوى والأوثان.

٦ ـ التمسك بدين اللَّه وتوحيده، والإخلاص له في السر والعلن، وتحمل الأذى في سبيله من أجل إعلاء كلمة التوحيد، والله أعلم.

* * * * *

سورة النصر

نزلت بمنى في حجة الوادع، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

معاني الكلمات: -

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: عونه لك عَلَى الأعداء، وتغلب دين الله. ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتح مكة في السنة الثامنة الهجرية. ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾: الدين الإسلامي. ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات جماعات كثيرة. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فنزهه - تعالى -، حامدًا له. ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾: اسأله الصفح عنك، وعن أصحابك الذين قلقت نفوسهم لتأخر انتصارهم. ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾: كثير القبول لتوبة عباده.

أسباب النزول لسورة النصر

نزلت في منصرف النبي ﷺ من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين، عن ابن عباس قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة حنين، وأنزل الله - تعالى -: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قال: «يا علي بن أبي طالب، ويا فاطمة قد ﴿جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، فسبحان ربي وبحمده واستغفره إنه كان توابا». وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله فاطمة وقال: «إنه قد نعيت إليَّ نفسي» فبكت ثم ضحكت وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال: اصبري فإنك أوَّل أهلي لحاقا بي، فضحكت. رواه النسائي. وعن ابن عباس قال: يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قال: صدقت. وهي تعدل ربع القرآن، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن. وعن ابن عمر قال: أنزلت هذه

السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ عَلَى رسول اللَّه ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس، فذكر خطبته المشهورة.

التفسير

عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأ ن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قوله اللَّه ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد اللَّه ونستغفره إِذَا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت هو أجل رسول اللَّه ﷺ أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح .. توابا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إِلَّا ما تقول. تفرد به البخاري.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ حَتَّى ختم السورة، قال: نعيت لرسول اللَّه ﷺ نفسه حين نزلت قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة، وقال رسول اللَّه ﷺبعد ذلك: «جاء الفتح ونصر اللَّه، وجاء أهل اليمن فقال: رجل يا رسول اللَّه، وما أهل اليمن؟ قال. «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»، وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت هذه السورة قرأها رسول اللَّه ﷺ حَتَّى ختمها فقال: «الناس خير وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»، وقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال في يوم الفتح: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، ولكن إِذَا استنفرتم فانفروا»، أخرجه البخاري ومسلم. وقد فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر - رضي الله عنهم أجمعين - من أنه قد أمرنا إِذَا فتح اللَّه علينا المدائن والحصون أن نحمد اللَّه ونشكره ونسبحه، يعني نصلي ونستغفره، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، وهي صلاة الفتح، ويستحب لأمير الجيش، إِذَا

فتح بلدا أن يصلي فيه أوَّل ما يدخله ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين. وقالت عائشة كان رسول اللَّه ﷺ يكثر فِي آخر أمره من قول «سبحان اللَّه وبحمده، أستغفر اللَّه العظيم وأتوب إليه» وعن أم سلَمة قال: كان رسول اللَّه ﷺ فِي آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إِلَّا قال «سبحان اللَّه وبحمده» فقلت: يا رسول اللَّه رأيتك تكثر من سُبْحَانَ الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تعقد إِلَّا قلت، سُبْحَانَ اللَّه وبحمده قال: إني أمرت بها. وعن أبي عبيدة عن عبدالله قال: لما نزلت عَلَى رسول اللَّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ كان يكثر إِذَا قرأها وركع أن يقول: «سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثا. والمراد بالفتح فتح مكة قولا واحدًا فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر عَلَى قومه فهو نبي، فلما فتح اللَّه عليه مكة، دخلوا فِي دين اللَّه أفواجا فلم تمض سنتان حَتَّى استوسقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق فِي سائر قبائل العرب، إِلَّا مظهر للإسلام وداخل فيه.

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع منها

١ ـ ذكر الخاص بعد العام ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، نصر اللَّه يشمل جميع الفتوحات، فعطف عليه فتح مكة؛ تعظيما لشأن هذا الفتح واعتناء بأمره.

٢ ـ إطلاق العموم وإرادة الخصوص ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ لفظ الناس عام والمراد به العرب.

٣ ـ دين اللَّه هو الإسلام ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ وأضافه إليه تشريفا وتعظيما.

٤ ـ صيغة المبالغة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾؛ لأن صيغة «فعَّال» للمبالغة.

ما نتعلمه من السورة الكريمة سورة «النصر»

١ ـ تتحدث السورة عن فتح مكة الذي عز به المسلمون، وانتشر الإسلام فِي الجزيرة العربية، ودخل الناس فِي دين اللَّه أفواجا من غير حرب ولا قتال.

٢ ـ تقلمت أظافر الشرك والضلال، وتطهرت الكعبة من مظاهر الشرك وعبادة

الأوثان.

٣ ـ ارتفعت راية الإسلام، وزالت ملة الأصنام.

٤ ـ من أظهر الدلائل عَلَى صدق نبوته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه، وهو إخبار بالغيب.

٥ ـ هذه السورة فيها نعي النبي ﷺ، ولهذا تسمى سورة «التوديع»، وحين نزلت قال رسول اللَّه ﷺ لعائشة: «ما أراه إلَّا حضور أجلي»، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى فِي حجة الوداع، ثم نزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، فعاش بعدهما النبي ثمانين يومًا.

٦ ـ الأمر بالتسبيح والتحميد عَلَى هذه النعم، والإكثار من قول «سبحان اللَّه وبحمده، أستغفر اللَّه وأتوب إليه»، وأن يقول فِي الركوع إِذَا قرأها «سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك، اللَّهُمَّ اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثًا.

* * * * *

سورة المسد

وهي مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ

معاني الكلمات:

﴿تَبَّتْ﴾: هلكت أو خسرت أو خابت. ﴿وَتَبَّ﴾: وقد هلك أو خسر أو خاب.

أسباب نزول السورة الكريمة (المسد)

عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال: أبو لهب: ألهذا جمعتنا، تبًا لك فأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخرها. وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول «تبًا لك» سائر اليوم ألهذا جمعتنا فأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبدالعزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذيَّة لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه.

وعن طارق المحاربي قال: بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا بشاب حديث السن يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه - مؤخر القدم - ويقول: أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت من هذا؟ فقالوا: هو محمد يزعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب.

التفسير

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أي هلكت يدا ذلك الشقي «أبي لهب» وخاب وخسر وضل عمله. والمراد من اليد صاحبها من إطلاق الجزء وإرادة الكل، وأبو لهب هو

أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ﴾: ما دفع التَّبابَ عنه. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: الذي كسبه بنفسه. ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾: سيدخلها أو يقاسي حرها.

عبدالعزى بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وامرأته العوراء أم جميل أخت أبي سفيان، وقد كان كل منهما شديد العداوة للرسول ﷺ فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها. أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر ﵁ وفي يدها قطعة من الحجارة فلما دنت من الرسول ﷺ أخذ الله بصرها عنه فلم تر إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر: بلغني أن صاحبك يهجوني فوالله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فاه، ثم انصرفت فقال: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني. ﴿وَتَبَّ﴾ أي قد تحقق هلاكه وخسارته. وقوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ أي لم يفده ماله الذي جمعه ولا جاهه وعزه الذي اكتسبه قال ابن عباس ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ من الأولاد، فَن ولد الرجل من كسبه، وري أن الرسول لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا، فإني أفتدي نفسي من العذاب بمالي وولدي فنزلت قال الألوسي: كان لأبي لهب ثلاثة أبناء «عتبة» و«معتب» و«عتيبة». وقد أسلم عتبة ومعتب يوم فتح مكة. وشهد حنينا والطائف. وأما عتبة فلم يسلم. وكانت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عنده وأختها رقية عند أخيه عتبة، فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما: رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد فطلقاهما، ولما أراد عتبة الخروج إلى الشام مع أبيه قال: لآتينَّ محمدا وأوذينَّه فأتاه فقال يا محمد: إني كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل أمام النبي ﷺ وطلق ابنته «أم كلثوم» فغضب ﷺ ودعا عليه فقال: «اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك» فافترسه الأسد، وهلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال بمرض معدٍ يسمى «العدسة» وبقي ثلاثة أيام حتى أنتن، فلما خافوا العار حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعود حتى وقع فيها، ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه.

﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها.
﴿مِّن مَّسَدٍ﴾: مما يفتل قويا من الحبال، والمسد في كلام العرب: الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا إذا أجاد فتله، وكل شيء فتل من الليف والخوص فهو مسد.

وقوله تعالى ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد. ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ وكانت أم جميل زوجة أبي لهب من سادات نساء قريش واسمها «أروى بنت حرب» ابن أمية، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له. قال مجاهد: من مسد النار. وعن السدى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنميمة بين الناس، قال ابن زيد: وكانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، وقيل كانت تعير النبي ﷺ بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك والصحيح الأول. قال سعيب بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقال: لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبها الله عنها حبلًا في جيدها من مسد النار. قال عروة: المسد: سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا، وعن الثوري: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعًا. وقال مجاهد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي طوق من حديدُ فأخبر عنهما رسول الله ﷺ بالشقاء وعدم الإيمان. وفي هذا دليل من أقوى الأدلة على نبوة محمدٍ ﷺ.

من أسرار إعجاز القرآن العظيم

١ - ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ مجاز مرسل أطلق الجزء «يدا» وأراد الكل؛ أي هلك أبو لهب.
٢ - بين ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ وبين ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ جناس فالأول كنية، والثاني وصف للنار.
٣ - ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ كنية للتصغير والتحقير والمراد تشهيره كأبي جهل.

٤ - ﴿ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ استعارة للنميمة وهي استعارة لطيفة.

٥ - ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ النصبُ على الشتم والذم أي أخص بالذم حمالة الحطب.

٦ - توافق الفواصل: وتبّ، ما كسب، لهب، الحطب، مسد مراعاة لرءوس الآيات.

ما نتعلمه من سورة «المسد»

١ - سورة «تبت» تحدثت عن هلاك «أبي لهب» عدو الله ورسوله، فقد كان شديد العداء لرسول الله ﷺ يترك عمله ويتبع الرسول ﷺ ليفسد عليه دعوته، ويصد الناس عن الإيمان به.

٢ - توعدته السورة في الآخرة بناء شديدة الحرارة يصلاها ويشوى بها وقرنت زوجته به في ذلك، واختصتها بلون شديد من العذاب هو ما يكو حول عنقها من حبل من ليف تجذب به في النار زيادة في التنكيل والعذاب بها.

٣ - لن يدفع أبي لهب عذاب الله ماله الذي كان له ولا جاهه الذي كسبه.

٤ - من حادَّ الله ورسوله سيكون مصيره مصير أبي لهب وزوجته أم جميل التي أساءت إلى رسول الله ﷺ.

٥ - البعد عن الغيبة والنميمة والبعد عن السخرية من الفقراء والمساكين، فإن الغني غني النفس، والله هو الغني عن مخلوقاته. وعلينا أن نصون ألسنتنا عن الخوض في أعراض الناس، فإن الجنة لا يدخلها قتات أي مغتاب.

٦ - من الإيمان أن تعطف على الفقراء والمساكين وأن تمد لهم يد المساعدة لا أن تسخر منهم فيكون مصيرك الهلاك والوقوع في حبائل الشياطين الذين يردونك في النار. وقانا الله شرها.

٧ - حاسب نفسك قبل أن تحاسب فالعاقبة للمتقين.

ولله الحمد والشكر،

سورة الإخلاص

نزلت بمكة وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)

معاني الكلمات:

﴿ اللَّهُ ﴾: الإله الذي نعبده.
﴿أَحَدٌ﴾: واجد لا رب غيره.
﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾: هو وحده

أسباب نزول سورة «الإخلاص»

عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد: انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾.

وعن جابر رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء نسبة ونسبة الله ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾.

ومن فضائلها عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه وهي تعدل ثلث القرآن.

عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها فقال: النبي ﷺ «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا

يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»، وعن سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ قال: من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة» فقال عمر بن الخطاب: إذًا نكثر فقال رسول الله ﷺ «الله أوسع من ذلك».

وحدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه، أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال: والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب. وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوّج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد» وفي فضلها مع المعوذتين، عن عقبة بن عامر: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال: يا عقبة أخرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك قال ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي فقال: يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم قال: قلت - بلى - جعلني الله فداك قال: فأقرأني ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم قال يا عقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن» قال: فما نسيتهن منذ قال: لا تنسهن ومابت ليلة قط حتى أقرأهن قال: عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده، فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: «يا عقبة صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك». وعن عائشة أن النبي ﷺ كان «إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

المقصود في الحوائج.
﴿لَمْ يَلِدْ﴾: ليس له ابن ولا بنت. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: ليس له أب ولا أم.
﴿كُفُوًا﴾: مكافئا ومماثلا.

التفسير

قال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيز بن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزلها الله على رسوله. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه كامل في جميع صفاته وأفعاله.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ عن ابن عباس: يعني الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. وعن أبي وائل «الصمد» السيد الذي قد انتهى سؤدده. وعن ابن عباس أيضا: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، الصمد ـ السيد والباقي بعد خلقه والحي القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة: الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم وقال الضحاك والسدى: «الصمد» الذي لا جوف له، وقال عبدالله بن بريدة أيضا: الصمد ـ «نور يتلالأ» ـ وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أي ليس له ولد ولا والد، ولا صاحبة قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

أَحَدٌ﴾ يعني لا صاحبة له. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وفي صحيح البخاري: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، أنهم يجعلون له ولد وهو يرزقهم ويعافيهم، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمنى ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الرحمن ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد».

فالله جل جلاله ليس له أبناء وبنات فهو متصف بالكمالات ومنزه عن النقائص وفي الآية رد على كل مَنْ جعل لله ولدًا، كاليهود في قولهم: «عزير بن الله» والنصارى في قولهم «المسيح بن الله» وكمشركي العرب في زعمهم أن «الملائكة بنات الله» فرد الله عليهم في أنه ليس له ولد؛ لأن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى أزلي قديم، فلا يصح أن يكون مولدًا ولا أن يكون له والد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾ فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأن الولد لا يكون إلا من زوجة، والله تعالى ليس له زوجة ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ﴾؟ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود حادث، والله تعالى قديم أزلي، فلا يصح أن يكون مولودًا ولا أن يكون له والد، فهو الأول الذي لا ابتداء لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي ليس له جل وعلا مثيل ولا نظير ولا شبيه أحد من خلقه لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه، فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص.

من أسرار إعجاز القرآن الكريم «الإخلاص»

١ ـ الاسم الجليل «هو» ضمير الشأن للتعظيم والتفخيم.

٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ تعريف الطرفين لإفادة التخصيص.

٣ - ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ جناس ناقص.

٤ - التجريد فإن قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقتضي نفي الكفء والولد.

٥ - السجع المرصع ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ بين المحسنات البديعية.

٦ - روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن» وذلك لما تضمنته من المعاني والعلوم والمعارف فإن علوم القرآن ثلاثة: «توحيد؛ وأحكام؛ وقصص» وقد اشتملت السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وقيل إن ذلك الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن. وبالله التوفيق.

ما نتعلمه من سورة «الإخلاص»

١ - تحدثت سورة الإخلاص عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصور على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة وردت على اليهود والنصارى وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

٢ - وَصْفُ الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ - الأول: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد، والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض.

٣ - من البراهين الدالة على وحدانية الله قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ وهذا دليل الخلق والإيجاد، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وهو دليل الإحكام والإبداع، وقوله تعالى: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ وهو دليل القهر والغلبة وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وهو دليل التنازع والاستعلاء، وقد أكد تعالى وحدانيته واستغناءه عن

الخلق فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي هو جل وعلا المقصود في الحوائج على الدوام.

٤ ـ الإيمان بواحدانية الله، فهو واحد لا شريك له، وهو رب الخلق كلهم يحتاجون إليه ويقصدونه في كل مطالبهم، وهو لا يحتاج إلى أحد، ولا يطلب المساعدة من أحد، وليس له ابن ولا بنت، وليس له أب ولا أم، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

٥ ـ شرط الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن تؤمن بالقدر خيره وشره - اللهم ثبتنا على الإيمان يا أكرم الأكرمين، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

سورة «الفلق»

نزلت بمكة، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا

معاني الكلمات: ـ

﴿أَعُوذُ﴾: أعتصم واستجير.

أسباب النزول

قال المفسرون:

كان غلام من اليهود يخدم رسول اللَّه ﷺ، فدنت إليه اليهود، ولم يزالوا به حَتَّى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ ، وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي، ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها «ذروان» فمرض رسول اللَّه ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم ذات يوم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ قال: وما الطُّب؟ قال: سُحِر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذراوان، والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله ﷺ فقال ياعائشة ماشعرت إن الله أخبرني بدائي، ثم بعث عليًا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطة إذا فيه وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فأنزل اللَّه تعالى سورتي «المعوذتين» فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول اللَّه ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام، يقول: بسم اللَّه أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن حاسد وعين اللَّه يشفيك، فقالوا: يا رسول اللَّه أولا نؤم الخبيث فنقتله؟ فقال: أما أنا فقد نجاني الله، وأكره أن أثير عَلَى الناس شرًا، فهذا من حلم الرسول ﷺ.

خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

التفسير

عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول اللّه ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي: قال:يا عقبة ألا تركب، قال: فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل قال فقال رسول اللّه ﷺ وركبت هنيهة ثم ركب ثم قال: يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما النّاس » قال: بلى: يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق)و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مرَّ بي فقال: كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت أو قمتِ» وجعة كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها، وعن ابن عباس: الفلق الصبح؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، وعن ابن قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الخلق، والصواب: أنه فلق الصبح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾؛ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال قتادة: إنه الليل إِذَا أقبل بظلامه، ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾؛ يعني السواحر، قال مجاهد: إِذَا رقين ونفثن في العقد، وفي حديث آخر أن جبريل جاء إِلَى النبي ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فقال: نعم، فقال: باسم اللَّه أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، اللَّه يشفيك. ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، ولا يرضى بما قسمه اللَّه ـ تعالى.

من وجوه البيان والبديع في السورة

١ ـ (فلق ـ خلق) جناس ناقص.

٢ ـ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾، ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، إطناب

بتكرار الاسم شر، تنبيها عَلَى شناعة هذه الأوصاف.

٣ - ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام يدخل تحته شر الغاسق، وشر النفاثات ، وشر الحاسد، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

٤ - (حاسد، وحسد) جناس الاشتقاق.

٥ - توافق الفواصل؛ وهو ما يسمى بالسجع، وهو من المحسنات البديعية، ودليل عَلَى إعجاز القرآن الكريم، ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

ما نتعلمه من السورة الكريمة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: -

١ - فيها تعليم للعباد أن يلجأوا إِلَى حمى الرحمن، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه، من شر مخلوقاته، ومن شر الليل إِذَا أظلم، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة، ولانتشار الأشرار والفجار فيه، ومن شر كل ساحر وحاسد.

٢ - سورة الفلق هي إحدى السورتين اللتين كان ﷺيعوذ نفسه بهما.

٣ - سبب تخصيص الصبح بالتعوذ أن انبثاق نور الصباح بعد شدة الظلمة؛ كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة، فكما أن الإنسان يكون منتظر طلوع الصباح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح.

٤ - أمرنا اللَّه أن نتعوذ من الليل؛ لأن فِي الليل تخرج السباع من آجامها، والهوام من مكانها، ويهجم السارق والمكابر، وتقع فيه الكوارث والموبقات، ويقل فيه الغوث.

٥ - الحرص عَلَى قراءة المعوذتين ثلاث مرات صباحا ومساء فهي,تقي من شر السحر ومن شر الحسد، وهي رقية للمريض تأسيا برسول اللَّه ﷺ، وقانا اللَّه وإياكم شر السحرة والحاسدين والمنافقين.

٦ - السحر شرك بالله، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فلا تتبعوا السحرة فتضلوا وتهلكوا، واستعينوا باللَّه فِي السر والعلانية، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * * * *

سورة «الناس»

مكية، وآياتها ست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

معاني الكلمات: -

﴿أَعُوذُ﴾: أعتصم واستجير. ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾: مربيهم ومدبر أحوالهم. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: مالكهم ملكا تاما. ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾: معبودهم الحق. ﴿الْوَسْوَاسِ﴾: الموسوس جنيا أو إنسيا، والشيطان الموسوس مشتق من الوسوسة؛ وهي الكلام الخفي وحديث النفس. ﴿الْخَنَّاسِ﴾: المتواري المختفي، الذي من عادته أن يخنس؛ أي يتوارى ويختفي، وسمي الشيطان خناسا؛ لأنه يتوارى ويختفي إِذَا ذكر العبد ربه، فإذا غفل عن ذكر اللَّه بما فوسوس له، والخنوس التأخر. ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ : هي الشهوات المكنونة.﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: الشيطان الذي يلقي حديث السوء في

التفسير

هذه ثلاث صفات من صفات الرب ﷻ: الربوبية، والملك، والإلهية،؛ فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات مِن شر الوسواس الخناس؛ وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إِلَّا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهدا فِي الخيال، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت فِي الصحيح أنه: «ما منكم من أحد إِلَّا وقد وكل به قرينه»، قالوا: وأنت يا رسول الله، قال: «نعم، إِلَّا أن اللَّه أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إِلَّا بخير»، وثبت فِي الصحيحين عن أنس فِي زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه ليلا ليردها إِلَى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

النفس ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان. ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الجن.

أسرعا فقال رسول اللَّه: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا: سُبْحَانَ اللَّه يا رسول اللَّه، فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا ـ أو قال شرا»، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه عَلَى قلب ابن آدم، فإن ذكر اللَّه خنس، وإن نسي التقم قلبه فذلك الواسواس الخناس»، وعن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم عَلَى قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر اللَّه خنس (هرب)، قوله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وعن ابن عباس قال: جاء رجل إِلَى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن لأحدث نفسي بالشيء؛ لأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به، قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، اللَّه أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إِلَى الوسوسة» أي الشيطان. قال القرطبي: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إِلَى القلب من غير سماع صوت، ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ من بيانية؛ أي هذا الذي يوسوس في صدور الناس هو من شياطين الجن والإنس، فالآية استعاذة من شر الإنس والجن جميعا، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن؛ فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزين له الفواحش ويغريه بالمنكرات ولا يثنيه عن عزمه شيء، والمعصوم من عصمه الله، وقانا اللَّه وإياكم شر شياطين الإنس والجن.

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع؛ مثل:

١ - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، الإضافة للتشريف.

٢ - ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ إطناب بتكرار الاسم زيادة في التعظيم لهم، والاعتناء بشأنهم.

٣ - الطباق بين ٱلْجِنَّةِ ، وَٱلنَّاسِ.

٤ - جناس الاشتقاق (يوسوس - والوسواس).

ما نتعلمه من السورة الكريمة «الناس»

١ - في السورة الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن، الذي يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء.

٢ - احذر شياطين الإنس والجن، فالشيطان يوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان، فهو الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر صنوف الوساوس والأهواء، وشياطين الإنس أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يهرب بالاستعاذة منه، وشيطان الإنس يغريه بالمنكرات، ولا يثنيه عن عزمه شيء.

٣ - علينا أن نلجأ إِلَى اللَّه، ونستجير به، ليحفظنا من شر مخلوقاته من الإنس والجن، وأن يحفظنا من الشهوات المستكنة في نفوسنا، التي تحدثنا بعمل الشر، وذلك بأن نظن أن الجن يضرون وينفعون، ونتوهم أن الناس يعلمون الغيب بالتنجيم والكهانة فنصدقهم، وهذا شر نستعيذ اللَّه منه؛ لأن اللَّه وحده هو الذي يضر وينفع.

٤ - يجب عَلَى كل مسلم أن يقرأ صباحا ومساء سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاثا ليحفظه اللَّه من كل سوء، وأن ينجيه من شر الشيطان وأعوانه، والمعصوم من عصمه اللَّه، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

* * * * *



تم الجمع التصويري بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
: ٣١٥٨٨٦ / ٠٨٢ محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١
بني سويف - ج . م . ع

فهرس السور حسب ترتيبها بالتفسير

فهرس السور حسب ترتيبها بالتفسير

